في خُطى الناجحين

1



حسن الخاطر

في خُطى الناجحين

يحتوي الكتاب على (١٥) تجربة لشخصيات ناجحة من مشارب مختلفة

١

ح حسن بن سعيد الخاطر، ١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الخاطر، حسن بن سعيد
في خطى الناجحين. / حسن بن سعيد الخاطر - القطيف، ١٤٣٣هـ.
٣٢٨ ص: ١٤ × ٢١ سم
ردمك : ٤ - ٩٦٦٦ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- المقابلات الصحفية ٢- الفكر العربي ٣- الأدب العربي أ. العنوان
ديوي ٠٨١ ١٤٣٣ /٣١١٢

رقم الإيداع: ٣١١٢/ ١٤٣٣
ردمك : ٤ - ٩٦٦٦ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الفهرست

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«أيْ بُنَّـي، إنِّـي وَإنْ لَـمْ أَكُـنْ عُمِّـرتُ عُمُـرَ مَنْ كَانَ قَبْلـي، فَقَـدْ نظَرْتُ فِـي أَعْمَالِهِـمْ، وَفَكَّرْتُ فِـي أَخْبَارِهِمْ، وَسِـرْتُ فِي آثَارِهِـمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِـمْ، بَـلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهى إلَيَّ مِـنْ أُمُورِهِمْ قَـدْ عُمِّرْتُ مَعَ أوَّلِهِمْ إلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِه، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِه».

علي بن أبي طالب عليه السلام



الإهـــداء

تُصاب الكلمات بضيق خناق عندما تريد أن تترجم لك هذا الحبّ الذي يخفق لك به قلبي.

أقـدّم لـك أيها الصديـق الحبيب المهندس حسـن الجشـي رحلة قضيت فيها سنة كاملة، غصت فيها أعماق البحار لأستخرج لك منها هذا الكنز الدفين الذي بين يديك.

أخي وحبيبي ومن نقش بصدقه وإخلاصه نقشًـا على نفسي وطوّقنـي به طوق الحمامـة، لا يزيله الدهر أبـدًا، إليك أهدي هذا الكتاب.

صديقك حسن



شكر خاص

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان..

لكل من ساهم بوقته في إخراج هذا الكتاب إلى الوجود..

لكل من ساهم بماله في طباعة هذا الكتاب وتخيفض سعره..



ملحوظة مهمة

جميع ما ورد في هذه المقابلات من آراء تُنسب لأصحابها، وليس بالضروري أني أوافق عليها.

بعض هذه المقابلات نشرت في مجلة الخَط ومواقع إلكترونية مختلفة، والنصف الآخر منها لم ينشر، وقد تعمدت ذلك؛ كي لا أقتل لذّة الاستمتاع بقراءة هذا الكتاب، فقد قالوا قديمًا: «لكلِّ جَديدٍ لذّة».

المؤلف



أبيات شعرية حول الكتاب

للأستاذ الأديب محمد الشماسي

مِـنْ (حَسَـنِ الخَاطِرِ) سِـفْرٌ ثميـنْ
بَيـنَ غِلافيـهِ (حَكَايَـا) سِـنِينْ
تَحْكِـي عـن الأَيَّـامِ فـي بُؤْسِـها
وعـن سَـوَاقِيها بمـاءِ الجَبِيـن
تحكـي الصِّـراعَ الحُلْـوَ فـي مُرِّهـا
قـد حُـفَّ بالشَّـوكِ وبالياسـمين
والتَّعـبُ الشَّـائكُ وهـجُ الخطـى
لكنَّـهُ فـي الأفـقِ سـعدٌ مُبيـن
يـا مـن بِكَفَّيـهِ كِتَـابُ الهـوى
دَعْـهُ وقـل حسـبي (خُطَـى النَّاجِحِيـن)

محمد الشماسي

القطيف–١٤/ ٣/ ١٤٣٣هـ



كلمة حول الكتاب[1]

دائمًا هناك مسافة بين ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، بين الواقع والمفروض، ومهمة الإنسان الفرد والمجتمع، هي اجتياز هذه المسافة، والانتقال من عالم الواقع إلى المفروض، إلا أنه ليس جميع الناس يكونون على المستوى العملي، من اجتياز المسافة، وتحقيق التطلعات في الواقع الخارجي، حيث إنه لأسباب ذاتية وموضوعية، قد يتمكن امرؤ ما من النجاح في تحقيق ما ينبغي أن يكون، وهناك أناس آخرون، لا يحالفهم الحظ في تحقيق هذه الأمور.

---

(١) المفكر الإسلامي الشيخ الكاتب محمد المحفوظ، مواليد سيهات عام ١٩٦٦م، سافر لطلب العلم في حوزة القائم لأكثر من خمسة عشر عامًا، أسس معهد (آفاق الثقافي) بـ(سيهات)، له العديد من المؤلفات، منها: نظرات في الفكر السياسي الإسلامي، الإسلام مشروع المستقبل، الأهل والدولة بيان من أجل السلم المجتمعي، الإسلام ورعاية المسنين، الإصلاح السياسي والوحدة الوطنية، العرب ومتغيرات العراق، الواقع العربي وتحديات المرحلة الراهنة.

ومن هنا يتشكل مفهوم الفشل والنجاح في الوجود البشري، فالمرء الذي يحقق طموحاته وتطلعاته، يطلق عليه مفهوم النجاح، والمرء الذي لم يحالفه الحظ في تحقيق ما يصبو إليه، يطلق علية مفهوم الفشل، فالنجاح ليس عملية خاضعة لمفهوم الصدفة أو مقتضيات الفجأة، بل هو عملية مدروسة تتطلب توفير العناصر الضرورية لتحقيق النجاح، سواءً على الصعيد الفردي أو الجماعي، وكذلك الفشل، فهو في حقيقته نتاج القصور في توفير مستلزمات النجاح، أو وجود العوامل المضادة التي تمنع الوصول إلى مستوى النجاح والتفوق.

لهذا، فإن السؤال الذي يطرح في هذا الصدد، هو: ما هي العناصر الأساسية التي يتشكل من خلال الالتزام بها مفهوم النجاح؟

١- **اتّباع الأسباب**: عادة حينما ينظر المرء، إلى أحد المتفوقين أو الناجحين في الحياة، يبهر بالنتائج التي حصل عليها المتفوق من جرّاء تفوقه ونجاحه، ولا فرق في ذلك بين النجاح الذي يحققه الفرد أو النجاح الذي يحققه المجتمع، وبفعل حالة الانبهار، يتم تناسي الأسباب والعوامل التي أوصلت الفرد أو المجتمع إلى تلك الرتبة من النجاح والتفوق.

بينما من المفروض أو ما يقتضيه قانون النجاح، هو ألا نكتفي بالانبهار بالنتائج التي توصل إليها المتفوق في حياته، وإنما

نتعرف الأسباب والوسائل التي استعملها (الفرد أو المجتمع) وأوصلته بعد جهد جهيد إلى المرتبة التي يبهر منها الإنسان عادة وغالبًا.

ويحدثنا التاريخ الإنساني، أن انبهار فردٍ أو شعبٍ بزعيم أو شعب آخر، دون التعرف على الأسباب التي أوصلت الزعيم أو الشعب إلى المستوى الذي يغبط عليه، تتحول هذه الحالة الانبهارية إلى عامل كبح يمنع عمليات الرقي للوصول إلى مستوى ذلك المرء أو المجتمع المتفوق، لهذا فإن العنصر الأول من عناصر قانون النجاح، أن ندرك ونتبع الأسباب، التي أوصلت المتفوق إلى المكانة التي هو فيها، حتى يتسنى لنا الإفادة من خبرته ووسائل وصوله إلى مدارج النجاح.

واتباع الأسباب يعني:

* توفير الصفات النفسية للنجاح، من عمل ومثابرة وسعي، ونبذ الصفات السلبية المانعة للنجاح كـ(الكسل والضجر والتسرع والترهل)، فلكلّ شيءٍ ثمن، وثمن النجاح نبذ الكسل والمعوقات النفسية الأخرى، وتحقيق صفات النجاح في الفرد أو المجتمع الذي يتطلع إلى النجاح، ومن الضروري أيضًا توفر التصميم وإرادة النجاح، إذ ما من إنجاز إنساني إلا ومن ورائه تصميم مستمر، وإرادة فولاذية صنعت المنجز، وتسعى نحو الحفاظ عليه، عن طريق تطويره وتركيزه في الواقع الخارجي.

لذلـك تبقـى طموحات الإنسـان التي لا تسـتند علـى إرادة وتصميم مستميت، أقرب إلى أحلام اليقظة منها إلى الحقيقة.

* اختيار الوسائل والأساليب المنسجمة والتطلع، فوسائل النجاح في التجارة، تختلف عنها في التعليم، والخلط في الوسائل قد يضيع الهدف، لذلك فإن اتّباع الأسـباب، يعني انتخاب وسائل وتكتيكات من سنخ الهدف.

إن اتّباع الأسـاليب يعني: أن تتحمل مسـؤولية ما تصبو إليه وتنشده، وأن تمنح كيانك ذلك التطلع النبيل، وتتفاعل مع متطلباته، وتسـعى نحـو تحقيقها فـي ذاتـك، وأن يدفعك تطلـع النجاح إلى التفكير والتعبير، وإلى شـيء من الفعل والتدبير، ويتجلى ذلك في المزيد من التغيير الذاتـي والموضوعي، الذي يقربك من الهدف، ويحقق في ذاتك سمة النجاح.

إن طريق النجاح ليس التحملق في الفراغ والفضاء المجرد، إنـه إرادة وعـزم يترجمـان إلى عمـل متواصل، وجهـد مكثف، لا يعـرف السـأم والكسـل والضجر والترهـل، حتى يصـل إلى غايته المنشـودة، وبهذا فقط يتجاوز المرء عالم الرغبة والتطلع المجرد، إلـى عالـم القـدرة والتنفيـذ، فيغـدو في طريـق النجـاح والتفوق، وهنا يبدأ شـاطئ الوهج ينبعث من أركان الإنسـان، فيصبح الزمن لديـه، معبرًا لوعي الوجود وترسـيخ الخلود، وتكتشـف أن دقائق الزمـن وثوانيه فرص متاحة للبناء والعطاء والتميز، والإرادة مفتاح

الممكـن، وكل مـا يحلم به الإنسـان يغدو حقلًا للممكـن، ترتاده الإرادة وتحيلـه غرسًـا مـن ثماره السـعادة على حـدّ تعبير الأديب علي عقله عرسان.

وخلاصـة الأمـر: إن اتّبـاع الأسـباب، يعنـي توفيـر كل المسـتلزمات النفسـية والمادية والاجتماعية، لتحقيق النجاح، في أي جانب من جوانب الحياة، وأن لا سبيل إلى تحقيق النجاح، إلا باتّباع الأسباب، وتوفير مستلزماته في النفس والمحيط.

٢- **وضوح المقصد**: من البديهي القول: إن الإنسان لا يبقى علـى أديـم الأرض عبثًا، ولا يسـعى فـي مناكبها دون غايـة، وإنما خلق الإنسان من أجل غاية وهدف، وما حياته إلا السبيل والقنطرة لتحقيق تلك الغاية والهدف.

ومفهـوم النجاح، لا يخرج عن الناموس الكوني القائم على نفـي العبثيـة ووضـوح المقصد والهـدف، وإنما هو جـزء من هذا الناموس العام، إذ لا يمكن لفرد أو مجتمع أن يحقق نجاحًا ما، إذا لـم يتضح المقصـد والهدف، لذلك فإن من العناصـر المهمة التي يتشكل من خلالها مفهوم النجاح، هو وضوح الهدف.

بمعنـى الإجابة الواعيـة والتفصيلية عمّا يريد الإنسـان، وما هـو هدفه من هذه الخطـوة أو تلك العملية؛ لأن كل هدف وتطلع، لا يسـعى من ماء الإرادة والعزم والتصميـم، ولا يتوجه إلى هدف

الإنسـان ومقصده الواضـح، يصبح عبئًا على الإنسـان وكابحًا له، ومانعًـا لـه من التطـور والنجاح؛ لأنها سـتميت بقايا نفسـه الحية، وروحه المتوهجة، لذلك سيبقى جسدًا بلا روح وإنسانًا بلا تطلع.

٣-**فقـه الأولويـات**: مـن الطبيعـي أن طموحـات الإنسـان الخاصة والعامة، لا يمكن أن تتحقق دفعة واحدة، ولـم يسـجل لنا التاريخ أن شـخصًا من الأشخاص أو أمة من الأمم، استطاعت أن تحقق طموحاتهـا وتطلعاتها دفعة واحدة، وإنما دائمًا وطبيعيًا، أن الإنسـان، يبدأ بتحقيق الممكن من الأمـور والقضايا، التي هي في حقيقة الأمر تقرّبه خطوة إلى هدفه وتطلعه، لذلك فإن من العناصر الأساسـية لقانون النجاح، هو العمل وفق أولويات، يبدأ الإنسـان بتحقيـق الممكـن والمقدور عليه، وصـولًا إلى غيره مـن القضايا والأمور.

وفقـه الأولويـات يقتضي البدء بتحقيـق الممكن، بحيث إن الإنسـان، لا ينعزل أو يبتعد من الممكن، باعتباره مثلًا مسألة تافهة أو صغيرة بالنسبة إلى أهدافه وتطلعاته.

إن تحقيـق هذا الشـيء التافـه أو الصغير، يقربك مسـافة من أهدافك العليا وتطلعاتك البعيدة.

إن هذه العناصر، كالتربة الصالحة لنمو بذرة النجاح، بحيث إنه لا يمكن تحقيق أيّ نجاح إنسـاني خاص أو عام، من دون هذه

العناصر، فالإنسان الذي يتمنى ويتطلع إلى النجاح في حياته العلمية أو العملية، إذا لم يردف هذا التطلع بإرادة وعزم وتصميم والتزام بالأسباب الموصلة إلى ذلك الهدف أو التطلع، يبقى ذلك التطلع أمنية، ويظل الهدف جزءًا من أحلام اليقظة.

وهكذا بالنسبة إلى وضوح المقصد: إذ لا يتحقق النجاح صدفة، وإنما النجاح غاية إنسانية، يتطلع كل كائن بشري إلى الوصول إليها والتربع على عرشها، لكن يختلف الناس في الهدف، فالإنسان الذي يريد أن يصل إلى قمة النجاح العلمي والدراسي، لا بد له من الاهتمام بالدرس والتحصيل العلمي، واعتباره الاهتمام الأول، لأنه يهدف التفوق العلمي.

والجدير بالذكر في هذا المجال: أن اختلاف المقاصد والأهداف، يؤدي إلى اختلاف الوسائل والسبل الموصلة إليها، فوسائل تحقيق التفوق والنجاح الاقتصادي، تختلف عن وسائل تحقيق التفوق العلمي والدراسي، وهكذا دواليك.

ولكن جميع هذه المقاصد، تشترك في ضرورة وجود هذه العناصر الثلاثة، التي هي بمثابة قانون النجاح.

فالإنسان لا يكفي لنجاحه، أن يمتلك تطلع النجاح والتفوق؛ لأن كل الناس الأسوياء يشتركون معه في هذا التطلع وإنما لا بدّ له من عمل وكفاح وسعي وجهد، وهدف واضح، وأولويات يسير

عليهـا في حياته اليومية، حتى يتمكن من تحقيق النجاح في حياته، ومن دون هذه العناصر، تبقى التطلعات والأهداف حبيسـة الذهن والضمير أو مكنـوزة في حبـر علـى ورق، وبهذه العناصـر ينتقل المرء من عالم الكون السـلبي، إلى حيويـة الروح والعمل، وبداية الانطلاق إلى عالم النجاح والتفوق.

والحـوارات التي بين يديك -عزيزي القارئ- والتي أعدها الأخ الصديق الأسـتاذ حسـن الخاطر هي محاولـة لتظهير عناصر النجاح وتجاربـه، من خلال التعرف إلى بعض الشـخصيات التي نجحت وتركت بصمات في مسيرة اهتمامها وتخصصها.

وكلّنـا أمـل أن يضيف هذا الكتاب، إلـى القارئ، المزيد من الوعي للقبض على أسباب النجاح وعوامل التفوق والتميز في أيّ حقل من حقول الحياة.

وأنهـي هذه المقدمـة بتقديم الشـكر للأخ الأسـتاذ الخاطر الـذي بذل -ولا يزال- الكثير من الجهود لتعميم الوعي والمعرفة في أرجاء المجتمع.

ونتمنى له المزيد من التوفيق والسداد، وخدمة المجتمع من موقع المعرفة وصناعة الفكر وصياغة الرؤى والمعنى.

محمد المحفوظ

سيهات- ١٢/ ٣/ ١٤٣٣هـ

الهدف من هذا الكتاب؟

«إذا كانت رؤيتي أبعد من الآخرين، فذلك لأني أقف على أكتاف العمالقة».

إسحاق نيوتن

بدأت بإجراء هذه المقابلات في شهر جمادى الأولى من عام ١٤٣٢هـ، وكانت مجلة الخَط -مشكورة- تنشر لي هذه المقابلات، وبعد مرور سنة كاملة تقريبًا، اقترح عليّ الكثير من الكتّاب كالأستاذ عبد الباري دخيل، والأستاذ الشاعر فريد النمر، والأستاذ مظاهر الخميس، والأستاذ سعيد المطرود، أن تُجمع هذه المقابلات في كتاب مستقل، فهي أكثر قيمة من أن تتبعثر في أوراق متفرقة، ورغم أنني مشغول في ما هو أهم من ذلك، وهما كتابي (الشهيد) و(السجاد)، استحسنت هذه الفكرة فعمدت على إخراج هذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ، وأثناء إعداد

الكتاب وتجهيزه للطباعة والنشر كانت هناك مجموعة من العناوين المقترحة (من تجارب العظماء)، (من تجارب المبدعين)، (من تجارب الناجحين)، (مسرحية الحياة)، (سيمفونية الحياة)، وقد استقر بي الأمر إلى عنوان (في خطى الناجحين)، وإني أقرّ بأن اختيار عنوانٍ لهذا الكتاب كان أمرًا صعبًا بالنسبة لي، وأتمنى أن أكون وفقت في اختيار العنوان المناسب، وهذه السلسلة تتكون من ثلاثة أجزاء، كل جزء يحتوي على خمس عشرة مقابلة، وبذلك يكون عدد المقابلات خمسًا وأربعين مقابلة.

الجزء الأول الذي بين يديك، قسمته إلى خمسة أقسام مرتبة على التوالي: العلماء والمكتشفين، المفكرين والباحثين والكتّاب، الأدباء والشعراء، المشاريع الفكرية والدينية، رجال الأعمال. وقسمت الحلقات بالتساوي على هذه الأقسام بمعدل ثلاث حلقات لكل قسم.

ومن أجل الرغبة في نقل تجارب هؤلاء الناجحين للثقافات الأخرى؛ للجمال الذي تتميز به، هناك خطة مستقبلية في ترجمة هذه السلسلة للغة الإنجليزية، فأنا على ثقة تامة بأن هذه التجارب جديرة بأن تنقل للثقافات الأخرى.

قمت بمقابلة العديد من الكتّاب والعلماء والخطباء والأدباء والمفكرين والمكتشفين والفلاسفة ورجال الدين ورجال العلم ورجال الأعمال وأكثر من ذلك، لقد أفدتُ كثيرًا من هذه المقابلات،

وأنا أعتقد أن القارئ سيجد ضالّته، وما زلت أذكر قبل أكثر من عشر سنوات عندما كنت طالبًا في قسم الفيزياء، كان أستاذنا الدكتور فتحي عبد الوهاب يوصينا بقراءة قصص أولئك الناجحين الذين تركوا بصمتهم في هذه الحياة كجاليليو ونيوتن وأديسون، وكان يحدّثنا بقصصهم دائمًا، وكما يقول الرافعي في كتابه وحي القلم: «إن لم تَزِدْ شيئًا على الدنيا، كنْتَ أنتَ زائدًا على الدنيا»[1].

إنني أظن أن هذه المقابلات هي محاولة جادة وذات لغة سهلة وبسيطة يجد من خلالها القارئ متعة جيدة وهو يشاهد مسرحية الحياة التي يقوم فيها البشر بأداء أدوار مختلفة، ويتعلم من هذه الأدوار التي تساعده في إعطائه الكثير من الخبرات، وبذلك يكون القارئ قد اكتسب سجلًا واقعيًّا عمليًّا عن النضال الأبدي الذي وجد في الأرض لحظة وجود البشر فيها، سيتعلم منه حياة الكفاح والصمود والغربة وإبداع الفكر الإنساني وأكثر من ذلك بكثير، وسوف يُفيد منه بالطبع لو أحسن قراءته.

وهكذا يتضح للقارئ أن الهدف الأساس من هذا الكتاب هو الإفادة من تجارب الناجحين، والنظر للحياة عن كثب، هذه الحياة التي يقوم فيها البشر بأداء أدوار مختلفة ويعزفون ألحانًا موسيقية مختلفة لتتشكل من ألحانهم الموسيقية سيمفونية الحياة، وهذه الألحان الموسيقية التي يعزفونها والأدوار التي يقومون بها

---

(١) وحي القلم ٢/ ٧٥.

مبنية على صورة ناجحة في دماغهم البشـري تجعلهم يعتقدون أن ما يقومون به هو دور ناجح عن تلك الصورة الناجحة في دماغهم، عنـد ذلك يسـتطيع القـارئ أن يحدد الـدور المناسـب ويتعلم منه ويفيـد من ذلك فـي حياته ويحاول أن يطـوره، فهذه التجارب هي خلاصة جيدة لحياة فئة من البشر قاموا بأداء أدوار مختلفة.

سـأعزف لكم قبل بداية الكتاب لحنًا موسيقيًا جميلًا ضمن سـيمفونية الحيـاة، في القرن الرابع الهجـري كان هناك رجل فقير جدًّا اسـمه الحسن المهلبي، ويلقب بأبي محمد، بينما هو في أحد أسفاره قال ارتجالًا:

ألا مـوتٌ يُبـاعُ فأشتريه فهذا العيشُ ما لا خَيرَ فيهِ
ألا مـوتٌ لذيذُ الطعمِ يأتي يُخَلِّصَنـي من العيشِ الكَريهِ
إذا أبـصـرتُ قبـرًا مِـن بعيدٍ وددتُ لـو أنـني مما يليهِ
ألا رَحِـمَ المهيمنُ نَفْسَ حُرٍ تـصـدَّقَ بالوفاةِ على أخيهِ!

فسـمعه رفيقـه الـذي كان معـه فرق لحالـه فأعطـاه درهمًا، لكـن اللحن الموسـيقي لم يكتمل بعد، فتمضي السـنوات فيصبح المهلبـي المعدم الفقير وزيـرًا! أما ذلك الرجل فقد ضاق به الحال فذهب للوزير المهلبـي ليوسّع عليه حاله، فكتب إليه:

ألا قـل للوزير فدته نفسي مـقـال مُـذَكِّـرٍ مـا قـد نسيه
أتذكر إذ تقول لضنك عيشٍ: ألا مـوتٌ يباع فأشتريه؟[1]

(١) راجع هذه القصة في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي.

قـد يبدو أمـرًا سـخيفًا أن نفكر بحدوث ذلـك، وربما ذهب البعض إلى اسـتحالة حدوث ذلك، إلّا أن تجارب زماننا أثبتت أن ذلـك ممكن الحـدوث، بل قد حدث مثل ذلـك وأعظم من ذلك، وهذه التجارب تدلّ بكل بساطة على حدوث ذلك.

كل عصـر له رجاله، وكل مسـرح له ممثلوه، وكل موسـيقى لهـا ألحانهـا، وهؤلاء الممثلون يتكررون بنسـخهم فـي كل زمن، فالتاريـخ يعيـد نفسـه لكن بثوب جديـد، وذلك لاختـلاف الزمان والمـكان ونتيجـة لاختلافهما فإن ظروف النـاس تتغير كثيرًا، وإن النـاس الأذكياء هم الذين يفيدون مـن تجارب الآخرين الناجحين ويطورونهـا، وقد قال أمير الكلام عليه السلام في حكمه: «في التجارب علم مستأنف [مستحدث]»[1].

وهنـاك مبـدأ دارونـي أن الكائنـات تطـور فـي نفسـها كـي تنتخبهـا الطبيعـة وتكـون الأصلـح للبقـاء، أمـا الأخـرى فتلفظها الحياة، والإنسـان هو أذكى الكائنات، فعليه أن يطوّر من التجارب الناجحة السابقة ويفيد منها في حياته ويترك التجارب الفاشلة، كي تنتخبـه هذه الحياة ويقوم فيها بدور مسـرحي جميل، ويعزف فيها لحنًـا موسـيقيًا رائعًا، ونحن إذ نفعل ذلك ليـس خوفًا من الموت، فالموت هو ذلك الغموض الذي لا يُقهر، ولكن نفعل ذلك لصراع البقـاء، وماذا نفعـل إذا كانت غريزة حب البقـاء زرعت فينا لحظة

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٢٥٩.

خروجِنا من بطون أمهاتنا!

إن الجمال الذي تتميز به هذه التجارب عن غيرها أنها تجارب من نفس البيئة التي عشنا فيها، وبهذا فهي أوقع في النفس وتميل إلى الواقعية أكثر من غيرها، والواقعية يجب أن نحترمها ولا يسعنا إلّا أن نصدقها، إنها ليست مثل تلك القصص التي حدثت في الماضي كقصة أبي محمد المهلبي التي ذكرناها أعلاه، وقصة صياد الأسماك أبي شجاع الذي حلم أنه يبول وقد خرجت نارًا عظيمة من ذكره فانطلقت إلى السماء وانقسمت إلى ثلاث شعب! لقد طلب منه مفسر الأحلام بعض الدراهم فلم يستطع أن يعطيه لفقره المدقع، وكان حلمه يوحي بأن أولاده الثلاثة سيملكون الدنيا، وقد تحقق لهم ذلك بالفعل[1]، بالطبع قد لا تكون هناك غرابة في أن تكون هاتان القصتان صحيحتين، لكن ما هو أجمل من هاتين القصتين عندما تكون القصة وقعت في زماننا والأجمل من ذلك عندما تكون وقعت في زماننا ومكاننا، وهذا ما يميز تجارب هذا الكتاب.

أشكر كل من أعطاني من وقته الثمين من الكتّاب والعلماء والخطباء والأدباء والمفكرين والمكتشفين والفلاسفة ورجال

(١) المقصود هنا الدولة البويهية التي ظهرت في القرن الرابع الهجري، أبوهم اسمه (بويه)، والأولاد الثلاثة هم: علي (عماد الدولة)، الحسن (ركن الدولة)، أحمد (مُعِزّ الدولة)، والقصة مشهورة في كتب التاريخ، راجع كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي.

الديـن ورجال العلم ورجال الأعمال وغيرهم، وبالتأكيد لو لا هم ما خرجت هذه المقابلات للوجود.

إننـي ممتن جدًّا لأخي الأسـتاذ مظاهر الخميـس على تلك الجهـود التـي قـام بها معـي في مسـاعدتي فـي إجراء بعـض هذه المقابلات، وعلى تقديمه الاقتراحات والنصائح في هذا الكتاب.

إننـي أقـر بالجميـل إلـى السـيد هاشـم الهاشـم، الصديـق الصيدلي موسـى الخويلدي، الأسـتاذ علي الأصيل، على ما قاموا بـه من جهـود واضحة فـي مراجعـة الكتاب مـن أوله إلـى نهايته، وتصويب الكثير من الأخطاء.

الشـكر الجزيل إلى الصديق المهندس حسن الجشي، على اهتمامه الشديد ومرافقته لي في إجراء بعض هذه المقابلات.

أخيرًا، أرجو من القرّاء التجاوز عن الأخطاء الواردة في هذا الكتـاب، فلسـت متأكدًا حتى هذه اللحظة مـن خلوه من ذلك، إلا أننـي قد بذلت الشـيء الكثيـر من جهدي في تجاوزهـا، وإخراجه بأفضل صورة.

حسن الخاطر

القطيف/ ١٤٣٣هـ



القسم الأول

العلماء والمكتشفون

- أنور آل محمد
- محمد المحروس
- جعفر آل توفيق





١
الفيزيائي الفلكي
أنور آل محمد



الفيزيائي الفلكي أنور آل محمد

«فالسعي عن رضا لفهم الكون هو من الأشياء النادرة التي تسمو بالإنسان فوق مستوى الترَّهات، وتنعم عليه بشيءٍ من شرف المشاركة في هذه المسرحية المأساوية».

ستيفن واينبرغ

ركب واينبرغ طائرته للعودة إلى مدينة بوسطن، وهو الآن يحلِّق على ارتفاع ٣٠,٠٠٠ قدم من ولاية وايومنغ قادمًا من سان فرانسيسكو، ومن الممكن أن نتخيل تلك المناظر الجميلة التي كان يشاهدها، الغيوم المخملية والثلوج المتورّدة والشمس الغاربة، كانت لحظات جميلة جدًّا تستمتع بها العين البشرية لتبعث في النفس الراحة والطمأنينة.

كان من الصعب أن يتخيّل واينبرغ أن كلّ هذا الجمال سوف يُسحق ويتدمر! من هنا يبدأ الإنسان يشعر بالخوف والتساؤل عن ذلك المصير المأساوي الذي يلاحقنا كبشر، والأعظم من ذلك أن الموت لا يقهر البشر وحسب بل سيسحق هذا الجمال الكوني بأكمله! كيف لكون ولد في ظروف من الصعب أن نتصورها ولا يمكن أن نتخيلها إلا بالجهد الجهيد وأنه أمام خيارين: إما أن يتوسع ويصبح صقيعًا أو يتقلص ويصبح جهنمًا.

وعلى هذا الأساس، هناك نتيجة منطقية قادت واينبرغ أن يقول: كلَّما ازداد فهمنا للكون، اتضح لنا بأنه لا يهدف إلى شيء! لكنه في الوقت ذاته يعترف أن السعي لفهم الكون يقدم لنا العزاء الدائم لهذا المصير المأساوي، ولهذا الموت الذي لا يقهر، وينعم علينا بشيءٍ من شرف المشاركة في هذه المسرحية المأساوية.

ولا شك ولا ريب أن التعرف على الكون رغبة من رغبات البشر، وربما تكون من الرغبات الأساسية، فهي تقدّم للجنس البشري العزاء الدائم لهذه الدنيا الفانية، وتجعلهم يترفعون عن السخافات ويتقبلون هذه الحياة بواقعيتها مبتعدين فيها عن الأساطير والأحلام.

إن الكون في يومٍ ما سيضمحل ويتلاشى وسيعود على الأغلب إلى جحيم مسعور كلحظة ولادته قبل ما يقرب من خمسة عشر مليار سنة، فالحياة كما يراها واينبرغ ليست مجرد نهاية

مضحكة تعود للدقائق الثلاث الأولى من ولادتها!

فلا بد أن يكون هناك علاقة بيننا وبين الكون، وهذه العلاقة وجدت قبل أن نكون وقبل أن تكون هناك نجوم ترصّع هذه السماء، وإلا فماذا يعني أن يترتب الكون من مليارات السنوات لأجل أن يظهر هذا الكوكب الذي نعيش فوقه، وكأن الكون يعلم أنه سيستقبلنا كجنس بشري على كوكب من كواكبه.

إنه السؤال الكبير الذي ظلّ الإنسان يحاول أن يسبر في أعماقه منذ القدم وحتى هذه اللحظة: من أين أتينا؟ ولماذا أتينا؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟ فكلما حاولنا أن نسبر في أعماق هذه الأسئلة نحصل على أجوبة، وللأسف الشديد يظل الغموض يحيط بهذه الأجوبة وتنبثق تساؤلات عديدة حول ذلك، ونحاول أن نعالج هذه التساؤلات الجديدة بإجابات أنيقة ونُصدم بغموض متزايد، وفي النهاية نشعر أننا أمام ألغاز لا حلول لها، وأننا غير قادرين على فهم هذه الحياة! إلا أن سعينا للغوص في هذا الغموض يخفِّف عنا العناء ويقدِّم لنا ذلك العزاء، وعلى وجه الخصوص ذلك الموت الذي يخيِّم علينا كشبح يطاردنا في الصباح والمساء، والنتيجة الأكثر يقينًا أن هؤلاء الأموات يذهبون ولا يرجعون، فما أحوجنا أن نفتش عن عزاء يخفِّف عنا هذا العذاب، ورغم ما أحرزه العلم من تقدمات إلا أنه لم يستطيع أن يقدم لنا ما يشبع فضولنا كبشر حول الموت، لهذا نرى العلماء الماديون يتخبّطون في مسألة

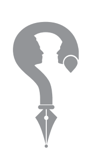
المـوت، فهذا دوكينز يتكلم حـول نعمة الوجود ويعتقد أننا الأوفر حظًـا وأننا ربحنا يانصيـب كونية، فلماذا نكره أن نعـود إلى حالتنا الأولية؟ وعلى أسـاس تشـكيلة حمضنا النووي (DNA) فإن عدد الذيـن يحتمل أن يكونوا هنا أعدادًا مهولة، لكن لم يحالفهم الحظ أن يولـدوا، وربما يكونوا علماء أعظم من نيوتن وشـعراء يفوقون المتنبي.

أما هوكنج وهو أشـهر فيزيائـي نظري على وجه الأرض في هـذا القـرن، يرى أنه لا توجد حياة بعد المـوت، وفكرة الحياة بعد الموت هي خرافة نشـأت من الخيال، وقـد اخترعها أولئك الذين يخافون من الموت ليقدموا إلى أنفسهم العزاء الدائم.

وهـذا واينبـرغ علّامة الفيزياء الشـهير، والحائـز على جائزة نوبـل عـام ١٩٧٩م، يصـف الموت بأنه مأسـاة، ويرى أن السـبب الأقوى احتمالًا لتديّن الناس هو معرفتهم بهذه الحتمية المأساوية، وهـي أنهم سـوف يموتـون، وكلّ أقربائهم سـيموتون أيضًا، وهذا الجمال الذي يحيط بنا سيزول.

وهنـاك عقائد تذهـب إلى أبعد من ذلك، وقـد تطورت هذه العقائد نتيجة تطور الدماغ البشري عبر آلاف السنين، ويجب عليّ أن أقـرّ أن الموت مخيـف جدًّا، إلا أن الدين قدم لنـا العزاء الدائم للحياة بعد الموت، فبمجرد أن يعتقد الإنسـان بهذه الحياة سيكون عنده العزاء الدائم، وما أجمله من عزاء.

أمـا الآن، فسـنحاول أن نسـبر فـي أعماق هـذا الكون في رحلـة جميلة وممتعة جدًّا مع الفيزيائي الفلكي المتديِّن الدكتور أنور آل محمد، وأنا على يقين تامّ أن هذا اللقاء الجميل سيشـبع فضولنـا، وسـوف يسـاعدنا كثيرًا للنظـر إلى هذا الكـون بصورة عقلانية، مترفِّعين عن السـخافات الناتجـة من الجهل ومبتعدين ورافضيـن التمنطـق الشـديد الـذي يسـلكه علماء المـادة الذين حصروا أنفسـهم في زاويـة ضيقة جدًّا أرادوا من خلالها تفسـير جميع ظواهر الحياة.



- **شـكرًا على قبولـك هـذا الحـوار، هـل مـن الممكـن أن تحدثنـا قليـلًا عـن نفسـك وبالخصوص دراستك الأكاديمية؟**

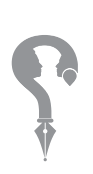
أنـور آل محمد: اسـمي أنور صالح آل محمـد، ولدت في قريـة الآجام بمحافظة القطيف في شـهر رمضـان عام ١٣٩٣هـ، أحـد الأعضـاء المؤسسـين لجمعية الفلـك بالقطيـف، حصلت على درجة الماجسـتير في الفيزياء الفلكية من جامعة الملك فهد للبتـرول والمعادن عـام ١٤٢٣هـ، ومنذ عـام ١٤٢٨هـ إلى هذا الوقـت الحالي أنا متفرغ لدراسـة الدكتوراة فـي الفيزياء بجامعة تكساس.

* * * *



- **مـن الواضح جـدًّا أن لديك اهتمامـات بعلم الفلك، فمتى بدأت هذه الاهتمامات؟ ولماذا الفلك دون غيره؟**

أنـور آل محمد: الاهتمام بعلم الفلك أو التفكر في هذا الكون ونشـأته ومكوناته والقوانين التي تحكمه هي من الأمور الفطرية التي قلّما تجد أي أمة أو حضارة سـابقة أو لاحقة لم يكن لها نظرة خاصة أو إضافة في هذا الأمر. ولهذا تجد دائمًا، وفي كل البلدان، أن أعداد وتخصصـات المنتمين للجماعـات والجمعيات الفلكيـة هي الأكثر مـن بيـن بقية الجمعيـات؛ لأن الجميـع بفطرتهم لهم اهتمـام بذلك. نعـم، يـزداد ذلك الاهتمـام إذا ما توفرت السـبل والوسـائل التي من خلالها ينمِّي الشخص اهتمامه. لذلك فإن بداية الاهتمام منذ الصغر، وعـزَّز ذلك الاهتمام دعوة الدين للتعلم والتفكر في خلق السـموات والأرض، هـذا بالإضافة إلى ارتباط بعض الوظائف الشـرعية ببعض الظواهر الفلكية كالأهلَّة والخسوف والكسوف ونحوه.



- **بصفتك أحد الأعضاء المؤسسين والرئيسين لجمعيـة الفلـك بالقطيـف، هـل بالإمـكان إخبارنا حـول نشـأة الجمعية والتطـور الذي سلكته حتى هذه اللحظة؟**

أنور آل محمد: في الحقيقة هذا سـؤال يهمُّني أن يطَّلع عليه

الإخـوة وخصوصًا المهتميـن بالعمل الاجتماعي والمؤسسـاتي. حيث إن نشـأة الجمعيـة وتطورها من ناحية الحجـم والإدارة هي من النماذج الجديرة بالتأمل. ولا يقلّ الجانب الإداري واستخدام المـوارد المتاحـة عـن الجانـب والمستوى العلمـي الـذي تبنتـه الجمعية على مدى عشر سنوات من تأسيسها.

فقد نشأت فكرة الجمعية بعد عقد دورتين فلكيتين في عامي ١٤٢٢هـ و ١٤٢٣هـ في نادي الآجام، وشـارك في تلك الدورتين مجموعـة من قدامـى المهتمين بهذا العلم في المنطقة، مما سـهَّل سُبل التواصـل بيـن أولئـك المهتميـن، وهـو مـا أدى إلـى طرح فكـرة تكوين مجموعـة مهتمة بعلـم الفلك، تلته عـدة اجتماعات ونقاشـات أفضت إلى فكرة تأسيس الجمعية في رجب ١٤٢٣هـ، باسـم جمعية الفلك بالقطيف لتكون هـي الجمعية الفلكية الأولى في الوطن.

وقـد قـام الإخـوة وبجهدهـم الخـاص بوضـع نظام بسـيط للجمعيـة اشـتمل علـى أهم أهـداف الجمعيـة والخطـوط العامة لإدارة الجمعيـة وعضويتهـا وأهـم أنشـطتها. وقـد تمت مراسـلة بعـض الجمعيـات الفلكيـة العربيـة المشـهورة فـي ذلـك الوقت للحصول على تجاربهم في الجانب الإداري والأنشطة وخصوصًا في الدورات الفلكية، ولم يتم الحصول على شـيء يذكر من تلك الأمـور. فأصبحـت العزيمة بعد التـوكل على الله فـي إعداد تلك

الأمـور بالاعتماد على جهد الإخوة الأعضـاء. وبالفعل فقد تمت كتابـة مناهج الـدورات وإعـداد المحاضرات والنـدوات. وذلك بملاحظـة أن الجمعيـة لا تـزال فـي مرحلـة الطفولـة، وأن جميع أعضاء الجمعية هم من غير المتفرغين لهذا الأمر.

وقـد بدأت الجمعيـة عملها في نادي الحاسـب الآلي التابع لنادي الآجام. حيث سـاهم اثنا عشـر عضوًا مؤسسًـا بمبلغ لشراء منظار الجمعية (MEADE LX200 10’ GPS) بسـعر ٢٠ ألف ريال تقريبًـا. وبعد عـام من تأسيسـها (١٤٢٤هـ) قامـت الجمعية ومن خلال مواردها المتاحة وبعد حصولها على قرض إنشـائي من قبل بعض أعضاء الجمعية المؤسسـين وغيرهم بإنشـاء مقر لها مكون من غرفتين ومرصد في الدور الثالث من نادي الآجام. وقد أثيرت في حينها عدة تسـاؤلات: لماذا في نادي الآجام؟ ولماذا لا يكون في مدينة القطيف طالما أن عنوان الجمعية باسم القطيف؟

وطبعًـا جـاء اختيار الموقع بناء على عدة أسـباب لوجسـتية ومنهجية. فمن الأسـباب اللوجسـتية هو توفر التسهيلات من قبل إدارة النادي، بالإضافة إلى موقع النادي في غرب الآجام التي تقع فـي أقصى غـرب منطقة القطيف، ممـا يوفِّر موقعًا مناسـبًا للرصد الفلكي.

وأمـا السـبب المنهجي فيتلخص في ضـرورة تقدير أطراف البـلاد وعـدم التقليل منها فـي مقابل المراكز. وهـو منهج نابع من

صميم تراثنا؛ لأن أي تقدير وتميز لأي جزء من البلد هو مما يوجب زيادة التقدير لكل البلد. فالعالم كله يعلم ويقدِّر مرصد وتوقيت غرينتش مع أن غرينتش هي إحدى الضواحي الصغيرة للعاصمة البريطانية لندن. وهناك الكثير من الأمثلة سواء كانت جامعات أو مطارات أو حتى شركات عالمية هي بأسماء مناطق صغيرة جدًّا. ولكن لأن أولئك علموا أن تعظيم وتقدير أطراف مناطقهم يكسب بلدانهم ككل زيادة التقدير والاحترام.

وفي نفس العام (١٤٢٤هـ) تم تدشين موقع الجمعية على شبكة الإنترنت حيث وفر بالرغم من بساطته قناة للتواصل بين الجمعية والناس، حيث يمكن الاشتراك في الجمعية وأنشطتها وتلقي الاستفسارات عبر الموقع. وقد كانت الجمعية من أوائل الجمعيات في المنطقة التي يتم فيها ذلك إلكترونيًا.

ومن أهم الأمور التي اعتمدتها الجمعية في إدارة أمورها هو مبدأ التشاور الحقيقي وفتح الباب للاستماع للآراء والمقترحات. لذلك فإن انتخاب أعضاء مجلس الإدارة من قبل باقي أعضاء الجمعية هي من الأركان الأساسية لإدارة أمور الجمعية التي تم تضمينها في أول نظام للجمعية. ولهذا جاء الاجتماع العمومي الأول، بعد سنتين من إنشاء الجمعية، في شعبان ١٤٢٥هـ. وقد حدد المجلس العمومي مدة سنة واحدة لمجلس الإدارة، ثم تم تعديلها لسنتين في الاجتماع العمومي الثاني لعام ١٤٢٦هـ. وقد

كلفني الإخوة الأعضاء إدارة الجمعية على مدى الخمس السنوات الأولى من تأسيسها (١٤٢٣-١٤٢٨هـ).

وأما بالنسبة لأنشطة الجمعية وإنجازاتها على مدى عشر سنوات ماضية فهي مما لا يتسع المقام لحصره، هذا بالرغم من عدم الرعاية الرسمية للجمعية من قبل أي جهة رسمية. ولكن يمكن القول: إن الجمعية قد عقدت أكثر من ٥٠ دورة فلك مختلفة تخرج منها أكثر من ٥٠٠ طالب. كذلك نظمت أو شاركت في أكثر من ١٠٠ محاضرة وندوة فلكية. كما شاركت في أكثر من ٢٠ مؤتمرًا أو ملتقى فلكيًّا محليًّا أو إقليميًّا أو دوليًّا بأكثر من ١٠ مشاركات.

هذا بالإضافة إلى إصدارها مجلة الفلك الفصلية الأولى حيث صدر منها ١٢ عددًا. كذلك طبعت الجمعية كتابًا فلكيًّا بعنوان (الكون) ليكون الكتاب الأول الذي تطبعه الجمعية. وأما موقع الجمعية ومنتداها الفلكي (وهو أول منتدى فلكي عربي) فلا يزال من أهم المصادر الفلكية العربية. وفي الخلاصة يمكن القول: إن الجمعية أسهمت وبشكل كبير في بروز حالة من الوعي الفلكي على مستوى المنطقة لا بل تعدى مداها ليشمل الوطن العربي. أيضًا فإن المنهج الإعلامي للجمعية قام على ضرورة التوازن بين النشاط والإنجاز وبين الإعلام مع ضرورة أن يكون الإعلام أقل من الإنجاز.

وخلاصة القول: إن منهج التدرج في الإدارة والإنجاز وعدم التكلّف، والتشاور الحقيقي، والتوازن في العلاقة مع الجهات الأخرى، الذي انتهجته الجمعية منذ تأسيسها قد أوصلها إلى ما وصلت إليه. ذلك المنهج نراه منسجمًا ومنتظمًا مع السنة التكوينية والتشريعية لهذا الكون. وربما يمكن ملاحظة ذلك في بعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

فالآيات الكريمة من سورة الرحمن: ﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**﴾[1] فالميزان المعرّف يبدو أنه واحد في الآيات الكريمة. فميزان التكوين الذي رفعت به السماء هو نفس ميزان التشريع. كما أن النهي عن الإفراط في الميزان ﴿**أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ**﴾ قد قدّم على التفريط فيه ﴿**وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**﴾، ومن ذلك ما ورد في كتاب البحار، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث يقول في خلق السماوات والأرض: (ولو شاء الله أن يخلقها (أي السماوات والأرض) في أقل من لمح البصر لخلق، ولكنه جعل الأناة والمداراة مثالًا لأمنائه وإيجابًا للحجة على خلقه).

وأيّ تعثر في أداء الجمعية أو أيّ مؤسسة يمكن إرجاعه إلى الخلل في الحفاظ على ذلك المنهج. لذلك نرى من المفيد لأيّ

---

(١) الرحمن:٦-٩.

مؤسسة أو نشاط أن يلتفت القائمون عليها إلى ضرورة مراعاة تلك الأمور. وأن لا يتم تجاوز أيّ مرحلة طبيعية وضرورية بما فيها مرحلة الطفولة للمؤسسة، حتى وإن ظن القائمون عليها أنهم على قدر من الخبرة والدراية بحيث يمكنهم تجاوز تلك المراحل للوصول مباشرة إلى مرحلة النضج والتكامل.



- **دراسة علم الفلك تقود الإنسان للإيمان بوجود الله، هل هذه المقولة صحيحة، وكيف تفسر لي إلحاد بعض علماء الفلك الذين ينكرون وجود الله؟**

أنور آل محمد: هذا المقولة متوقفة على الغاية من الدراسة ومنهجيتها. فجميع العلماء والدارسين يدّعون أن غايتهم هي الحقيقة، ولكن المنهج المحدد الذي يستخدمونه قد ينحرف بهم عن ذلك أو يقودهم إلى نتائج ناقصة أو خاطئة أو بتعبير المناطقة لا تساوي المقدمة التي استندت عليها.

نعم، يتميز علم الفلك وفروعه أنه يتناول الكون بأبعاده الواسعة والكبيرة التي يسهل من خلالها الوصول إلى حقيقة الدقة في نظم هذا الكون بشكل يجعل احتمالية الصدفة أو العشوائية أمرًا مستبعدًا. لذلك جاء الأمر أولًا بالتفكر في خلق السماوات قبل خلق الأرض؛ لأنه الطريق الأقصر للوصول إلى تلك النتيجة.

من ذلك يمكن القول: إن دراسة أيّ علم من العلوم بتجرد وحكمة يقود بالضرورة إلى الحقيقة التي تنتهي لها المعارف والعلوم، وهي الله أو الخالق. كما يقول الإمام السبط الشهيد عليه السلام في دعاء يوم عرفة: «إِلهي، عَلِمْتُ بِاخْتِلافِ الآثارِ، وَتَنَقُّلاتِ الأطْوارِ، أَنَّ مُرادَكَ مِنِّي، أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيءٍ حَتَّى لا أَجْهَلَكَ فِي شَيءٍ». وفي دعاء كميل: «يا غايَةَ آمالِ الْعارِفينَ».

إذًا، لماذا يصبح بعض أشهر علماء الطبيعة ملاحدة؟! وهل إلحادهم عن قناعة أم هو ردة فعل لبعض الأطروحات والنماذج الدينية. وإذا كان ثمة قناعة، هل هي مبنية على منهج متزن شامل يراعي جميع الجوانب والقدرات الإنسانية أم أنه منهج محدود ببعض الجوانب الإنسانية. لذا فالمسألة مرتبطة بالمنهج أو الطرح الديني الذي واجهه ذلك العالِم. وفي حقيقة الأمر فإن الأمر مرتبط بقاعدة عداء الإنسان لما يجهل. ومما يمكن قوله: إن هذا الأمر ليس مرتبطًا بعلماء الطبيعة على نحو الخصوص وإنما قد يشترك فيه حتى بعض علماء الشريعة في موقفهم من بعض النظريات العلمية الطبيعية.

لا بل إن عدم التوازن في القوة العلمية يمكن اعتباره من الآفات الفكرية لهذا الزمان. إذ إن أغلب الناس يظنون أن القوة العلمية ليس لها حدود، ولكنها كملكة أو صفة هي

محصـورة بين حدّي إفـراط وتفريط كباقـي الصفات. فأغلب الناس متفقون على أن الكرم على سبيل المثال هو صفة حميدة محصورة بين حدّ إفراط هو الإسراف، وحدّ تفريط هو البخل. وكذلـك باقي الصفات الحميدة بما فيهـا صفة التعقّل أو القوة العاقلـة. وهذا ما دلت عليه الروايـات الصريحة وما اتفق عليه علماء الأخلاق.

ولأهمية هذا الأمر نسوق بعض النصوص المفيدة لمثل هذا الموضـوع. فالآية الكريمـة ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَـقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُـرْآنِ مِـن قَبْلِ أَن يُقْضَـى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُـل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[١]، بدأت بالنهي عن العجلة والتعجل في الجوانب العلمية قبل الطلب مـن الله زيادة العلم. ومن وصية رسـول الله لأبـي ذرٍّ –رضي الله عنـه–، الواردة في كتاب مكارم الأخـلاق، (يا أبا ذر: من أوتي من العلـم مـا لا يبكيه لحقيق أن يكون قد أوتي علمًـا لا ينفعه). ومثله فـي التعقيب المروي عن رسـول الله صلى اللـه عليه وآله: (اللهم إنـي أعوذ بك من علم لا ينفـع)، فالعلم الذي لا ينفع –الذي تعوَّذ منه سـلام الله عليه– هـو ذلك الذي لا يغرس الخشـية والتواضع في القلب بشـكل يبكي العين كمـا ورد عن أمير المؤمنين: (البكاء عرفـان القلـب)، وكل علم أو نظريـة لا تحمل سـمة التواضع في ذاتها فمآلها التقهقر.

(١) طه: ١١٤.

ولقد أشار سلام الله عليه في وصيته إلى كميل بن زياد الواردة في نهج البلاغة إلى ذينك الصنفين المفرطين أولًا ثم المفرطين، حيث قال: «إِنَّ ها هُنَا لَعِلْماً جَمًّا (وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلى صَدره) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً! بَلَى أَصَبْتُ (الصنف الأول) لَقِنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، وَمُسْتَظْهِرًا بِنِعَمَ اللهِ عَلَى عِبادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، أَوْ (الصنف الثاني) مُنْقَادًا لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لاَ بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ. أَلاَ لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ!».

وخلاصة القول: إن التوازن في إعمال القوة العقلية يقود إلى الحكمة كما ذكر ذلك جملة من علماء الأخلاق، نقتبس ما ذكره الميرزا القمي في قوانين الأصول: «وأما القوة العاقلة إذا اعتدلت بين طرفي إفراطها وهو الجربزة وتفريطها وهو البلادة تسمى حكمة». وما ذكره صاحب كتاب نهج السعادة: «الحكمة هي معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة، وهي العلم النافع المعبَّر عنه بمعرفة مالها وما عليها المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[1]، وإفراطها الجربزة، وهي استعمال الفكر فيما لا ينبغي كالمتشابهات، وعلى وجه لا ينبغي كمخالفة الشرائع».

وقد آثرنا ذكر تلك النماذج مع وجود الكثير من أمثالها

(١) البقرة:٢٦٩.

لكي يتبين كيف أن تلك الإشـكالات القائمة حاليًّا قد تم تشخيص أسبابها ووضع علاجها منذ أن نزل القرآن. وللأسف، فإن الابتلاء بداء الجربزة أو (النكراء) ليس أمرًا يختص بعلماء التكوين، بل إن بعض المحسـوبين على علماء التشريع يمارسونه ربما بشكل أفجَّ حتـى في بعـض القضايا الدينيـة. لا بل فإنهم من فرط ممارسـتهم لذلك الأمر أوجدوا فكرًا سـطحيًّا منهزمًا أمام أبسط الإشكالات. وعلـى كل حـال، فإن الإفـراط والتفريـط في اسـتخدام الملكات الإنسانية سيظل قائمًا وخصوصًا لمن يجهل حدود تلك الملكات. ووظيفة أهل البصائر من هذه الأمة توعية الناس للتخفيف من آثار الجهل المترتب على التفريـط أو الإفراط «الجاهل إما مُفْرِط وإما مُفَرِّط، والعاقل لا مُفْرِط ولا مُفَرِّط».

- **باعتقادك ما هو السـبب الأقوى احتمالًا الذي يجعل الناس يفكرون في تلك الأسئلة الأزلية المرتبطة بالكـون، كولادته وما قبلها، وكيف وجـد والحكمـة من وجوده، وما شـابهها من أسئلة؟**



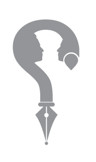
أنـور آل محمد: ذلك أمر فطري مرتبط بقاعدة السـببية، لأن الإنسـان يدرك بفطرته، حتى الطفل الصغير، أن لكل شـيء سـببًا، فهو يبحث عن ذلك السبب.

- **هل التصميم الذكي لهذه الأرض دليل على وجود الخالق؟ أم أن هذا التصميم الذكي ناتج عن عمليات معقدة وبطيئة جدًّا مرت على الأرض واستمرت لملايين من السنين بدءًا من الانفجار الكبير وانفصال الأرض من الشمس ثم يأتي مذنبٌ أو نيزكٌ في لحظة ما ويضرب الأرض ويفصل القمر عنها، ثم تأخذ الأرض تتدرج في تهيئة بيئة مناسبة لظهور الإنسان؟**

أنور آل محمد: القدر المتيقن منه من قبل جميع علماء الكواكب (Planetary Scientists) أن الأرض التي نعيش عليها قد مرت بمراحل معقدة ودقيقة جدًّا ودخلت في تكوين تلك المراحل والأوضاع عوامل كثيرة جدًّا جدًّا. ونحن عندما نتحدث عن تميز كوكب الأرض ليس بحسب موقعها من الشمس فحسب بل من ناحية نشوء وتطور غلافها الجوي وتكوينها الداخلي وتكون الماء ونسبته وتميز نسبة العناصر والغازات في الغلاف الجوي وعلى سطح الأرض وفي باطنها. هذا فضلًا عن العمليات والعوامل الأكثر مما ذكر التي هي ضرورية لنشوء الحياء في أبسط أشكالها فضلًا عن الأشكال المعقدة منها.

كل هذه العوامل لو أردنا أن نحسب احتمالية اجتماعها

بالشكل الـذي أدى لتكـون الأرض علـى مـا هـي عليـه فـإن تلك الاحتماليـة تصبح متلاشـية ومتناهيـة في الصغر بحيـث يصبح من عيـن الجهل تـرك الاحتمال الذي قيمتـه ١٠٠٪ تقريبًا، وهو التدبير في قبال الاحتمال الذي قيمته صفر تقريبًا، وهو الاحتمال والصدفة.



- **نحـن نعلـم يقينًـا، أن الكـون يخضـع لقوانين فيزيائية أصبحنا نعرفها جيدًا، وهي التي تتحكم في عمل الكون، فما هو دور الخالق إذًا؟**

أنـور آل محمد: فهم حقيقة القوانيـن الفيزيائية القائمة على القـوى الفيزيائية هي مـن الأمور التي لا تزال محـل البحث والتي تأتـي فـي مقدمة الأبحـاث العلميـة النظريـة. وحتى وفـق أحدث النظريـات لـم يتـم الوصول إلـى الحقيقـة الجامعة لتلـك القوى، لا وفقًـا للنظريـة النسـبية (Relativity) أو الكميـة (Quantum) أو الأوتار (Strings).

نعـم، أثبتـت النظريـات الحديثة دقـة عالية جـدًّا في وصف الظواهـر الفيزيائية والكونية المختلفة، وذلـك ليس مطلقًا وتحت كل الظروف.

من ناحية أخرى فإن خضوع الكون للقوانين لهو دلالة بالغة على التدبير والإتقان، واسـتمرار تلك القوانين بحاجة إلى سـبب، حسـب قانون السـببية، وذلك هو مسبِّب الأسـباب ومدبر الأمور.

والله -سبحانه- جعل فهم تلك القوانين متاحًا لمن يتفكر في ذلك، وحثَّ على التفكر في خلق السماوات والأرض. فليس فهم القوانين التي تحكم الكون هو شركة في خلق الكون وتدبيره، بل هو حجة ودلالة على انتظام الكون وإتقان مدبره ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[1]. فمعرفة تطور خلقة الإنسان من نطفة ثم علقة ثم باقي مراحل الجنين ليس شركة في خلق الجنين وإن استطاع الإنسان التأثير في ذلك بحسب الأسباب التي أودعها الله، كذلك فإن معرفة نشوء وتطور الكون ليس شركة في خلق الكون ولا يتعارض مع فكرة الخالق المدبر بل يؤكدها لمن تعقل.



- **يقول ستيفن هوكنج في أشهر كتاب له (موجز في تاريخ الزمن): «إذا عثرنا على نظرية موحدة كاملة فإننا سنعرف حقًّا عقل الله»، فهل من المناسب أن نطلق بتعبير مجازي كلمة عقل الله على القوانين الفيزيائية، بصفتها المتحكمة في عمل الكون منذ ولادته وحتى هذه اللحظة؟**

أنور آل محمد: لو جردنا ذلك الوصف عن التجسيد والتشبيه واعتبرناه لفظًا مجازيًا فقط للدلالة على علم الله، ولو

(١) النمل:٨٨.

فرضنـا أنه يمكـن الوصول إلـى النظرية الفيزيائيـة التي تصف كل شيء (Theory of Every Thing) فإن ذلك سيكون مرتبطًا بالجانب المادي الطبيعي المحسـوس لهذا الكون ليس إلا، وما هو إلا جزء ضئيل أمام أبعاد الكون المعنوية. ولكن للأسـف، فإن ذلك التعبير نابع من تجسـيد الخالق أو من حالة التنافس أو التسابق مع الخالق الذي يظنها بعض علماء الطبيعة. في حين أنهم يغفلون أن قدراتهم العقليـة والقوانين الكونية كلها لا يمكن أن تسـتقيم من دون تدبيرٍ وقيمومة حسـب قاعدة السـببية البسيطة. وربما سـاهم ميل بعض علماء الطبيعة للمنهج الحسـي في قبال المنهج الفلسـفي إلى عدم الاعتناء بتلك الأدلة البسيطة بالرغم من بداهتها ووجدانيتها.



- **صرّح هوكنج مؤخرًا، وهو ألمع فيزيائي نظري فـي هذا القرن، في كتابه الجديد الذي طبع عام ٢٠١٠م، الذي يحمل عنوان التصميم العظيم، أن العلم باسـتطاعته تفسير الكون دون الحاجة إلى وجـود الخالـق، حيـث تسـتطيع الجاذبية إضافـة إلـى نظرية الكـم على خلـق الكون من العدم، تعليقك على هذا الكلام؟**

أنـور آل محمد: لو فرضنا أن العلم وصل إلى تفسـير جميع الظواهـر الكونية (وهو أمـر لم يصل له لحدّ الآن) فإن التفسـير لا

يغني عن التدبير والقيمومة؛ لأن الإنسان وصل إلى التفسير باللطف والتدبير. أما حديثه عن خلق الأشياء من العدم أو ما يطلق عليه في فيزياء الكمّ بإنتاج المادة القائم على مبدأ عدم الدقة (Uncertainty) وبالأخصّ في الفراغ الذي تلا نشأة الكون، فإن ذلك لا يمكن أن يكون من دون خلق الفضاء والزمان (الزمكان–Spacetime) الذي يحدث فيهما ذلك الأمر. ثم من سبب ذلك المبدأ أو ما يقوم عليه، وهكذا يستمر السؤال إلى أن نصل إلى وجوب وجود مسبِّب لكل تلك الأسباب، وإلا تنتفي كلّ تلك الأمور حسب قاعدة التسلسل.

- **انطلاقًا من السؤال السابق: هل المعادلات الفيزيائية –أو النظرية النهائية– لها القدرة على خلق ذاتها، أو أنها تحتاج إلى خالق، وإذا كانت تحتاج إلى خالق فلا يمكننا أن نتجاهل ذلك السؤال الأكثر غموضًا الذي سننقاد إليه مباشرة والذي يدور في ذهن الكثير ومن الذي أوجده سبحانه [سبحانك اللهم]؟**

أنور آل محمد: إذا كانت قادرة على خلق ذاتها، فإن هي أوجدت ذاتها قبل أن توجد فليست هي الموجدة، وإن أوجدت ذاتها بعد أن وجدت فمن أوجدها؛ لأن المسألة باطلة بالدور.

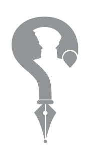
إذن لا بد لها من موجد، وهكذا لا بد لكل شيء من سبب إلى أن تنتهي الأسباب إلى مسبِّب الأسباب جميعًا القائم بذاته وهو الله. لأنه بخلاف ذلك ينتفي وجود كل الأسباب. ولذلك فإن السؤال الأخير فيه خلل منطقي. وهو كالسؤال: هل يجوز أن يكون القادر المطلق عاجزًا أو المتناهي محدودًا أو الخالق مخلوقًا؟

- **يعتقد الفيزيائيان النظريان الشهيران واينبرغ وهوكنج، أن الاكتشافات العلمية فسَّرت الطبيعة دون الحاجة إلى التفسيرات الدينية، وأنه لا حاجة لإقحام الدين في فهم المسرحية الكونية، أريد أن أعرف إذا كنت تمانع أو لا، من إبعاد التفسيرات الدينية عن المسرحية الكونية؟**

أنور آل محمد: مسألة ما إذا كانت النصوص الدينية منسجمة مع الجوانب التكوينية للكون أو غير منسجمة هي من القضايا الحقيقية وليست من القضايا الاعتبارية. بمعنى أنها من القضايا القائمة بذاتها بمعزل عن اعتبار أو رأي أو تأييد أو ممانعة. والوسيلة المنطقية للوصول إلى ذلك هي استخدام منهجٍ متزنٍ مستوفٍ غير منقوص ومجردٍ عن الأحكام والمواقف المسبقة.

فبالنظر إلى بعض نسخ الكتب المقدسة المسيحية فإن عمر الكون ١٠ آلاف سنة، فمثل هذا لا يتماشى مع عمر بعض الأحافير، فضلًا عن الصخور، فضلًا عن عمر الأرض والكون. لذلك فإنه من أهم أسباب اتخاذ أمثال هؤلاء العلماء لتلك المواقف هو ردة فعل لبعض ما أدخل ولحق بالكتب السماوية من تحريف، أو هو من سوء فهم للنصوص الدينية. وإلا ففي الأصل لا تعارض بين الدين والعلم كما ورد (العقل دين داخلي والدين عقل خارجي)، وما أظن التعارض إلا من سوء فهم لأحدهما أو كليهما.

- **هل هناك تعارض بين وجود الله وفهم القوانين الطبيعية التي تحكم هذا الكون؟**



أنور آل محمد: لا يوجد بأيٍّ وجه من الوجوه، كما أشرنا سابقًا.

- **من خلال الورقة التي قدمتها في مؤتمر الفلك الإسلامي الرابع في العاصمة الأردنية عمان عام ٢٠٠٦م، محاولة ربط العلوم الدينية بالنظريات الحديثة، حيث تحاولون تفسير نشأة الكون والمادة الأولية التي تكون منها من خلال النصوص الدينية التي وردت في**



نهج البلاغة أو في تراث أهل البيت عليهم السلام، هل هذا هو الواقع بالفعل أو أننا نظل نخدع أنفسنا في الالتفاف حول النصوص الدينية لإسقاطها على النظريات الحديثة؟ أرجو التوسع في الإجابة عن هذا السؤال؟

أنور آل محمد: من المعلوم إذا كان القرآن الكريم (فيه تبيان لكل شيء) و ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[١]، لا من التشريع ولا من التكوين، فهذا يقتضي أن من يعلّم ويبيّن القرآن لا بد أن يعلم كل ما أحاط به الكتاب لكي يكون معلمًا. وإلا كيف يكون المعلم جاهلًا حتى ببعض الكتاب. وما من أحد أعلم بالقرآن وعلومه كمثل النبي محمد وأهل بيته الطاهرين الذين هم عدل القرآن كما ورد في حديث الثقلين المتفق عليه بين الخاصَّة والعامَّة. ولقد أسَّست تلك المعارف لحركة علمية أصيلة وضع أساسها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد بدأت قبل مرحلة الترجمة بعقود.

أما الحديث عن الإسقاط على النظريات الحديثة، فلا بد من توضيح بعض الأمور. وهي أن أي نظرية متينة لا تتجلّى عظمتها لحظة إعلانها فقط وإنما تظهر عظمتها بشكل أكبر على مرور الأيام كلما ظهر ما يؤكد صدق تلك النظرية بشكل أكبر، كما قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ**

(١) الأنعام:٣٨.

الْحَقُّ﴾[1]. وهذا ليس مرتبطًا بالعلوم التكوينية أو ما يسمى الإعجاز العلمي فحسب، بل يشمل كلّ أوجه العلوم القرآنية التي بيَّنها أهل البيت عليهم السلام. فكما أصبح شبه إذعان لدى البلغاء على إعجاز القرآن والسنة المطهرة البلاغيين، لأسباب منها قدم وكثرة بحث هذا الموضوع على مدى العصور الماضية، كذلك فإن بحث أيّ جانب علمي بالقدر السابق سيقود إلى نفس النتيجة البلاغية. وأما خصائص العلوم الكونية في الكتاب والسنة فقد تم تناولها من قبل العديد من المؤلفات التي أصبح بعضها موسوعات. ولمن أراد المزيد يمكنه الرجوع إلى الورقة السابقة التي قدمناها.

- **حول المعجزات يقول الفيلسوف البريطاني (كولين ماكجين) في حوار مع جوناثان ميلر، أذاعته (بي بي سي فور) البريطانية، في سلسلة عنوانها (الإلحاد تاريخ مختصر لنقض الإيمان): «أنا لا أؤمن بالأشياء الخارقة للطبيعة، لا معجزات، لا معتقدات غيبية، لا جنَّ، لا إلهام، وكل ما إلى ذلك ويتابع ويقول: لا يوجد أيّ دليل مؤكد على وقوع مثل تلك المعجزات في أي وقت مضى، إن اليقين بحدوثها يبنى غالبًا**

---

(١) فصلت: ٥٣.

على اعتقاد مسبق بوجود الإله، بدلًا من أن تكون نفسها مصدرًا للإيمان بوجوده». بصفتك فيزيائيًّا نظريًّا متديِّنًا كيف تقرأ هذا الكلام، وكيف تنظر إلى المعجزة كتوقف أو تباطؤ الشمس للنبي يوشع عليه السلام مثلًا؟



أنور آل محمد: الإنكار هو أهون الأمور، وهو أول ما واجه الأنبياء؛ لأن المنكر يشعر أنه لا يحتاج إلى دليل لإنكاره حتى مع قيام الحجة. وعمومًا هذا مرتبط بالمنهج كما أشرنا سابقًا. وأما بالنسبة للمعجزات وإمكانية حدوثها بشكل قد يخالف القانون الكوني الطبيعي، فإن سلمنا أن قيام القوانين بحاجة إلى سبب ومسبِّب، فإنه متى رفع السبب رفع أثر القانون. ولذلك المستحيلات في المنطق تنقسم إلى مستحيلات منطقية لا تتبدل، مثل استحالة أن يكون حاصل جمع الواحد مع الواحد يساوي أربعة مثلًا. وهناك مستحيلات عملية مثل عدم إحراق النار مع توفر شروط الإحراق الطبيعية، وهذا النوع قائم على التلازم بين السبب والأثر، ولكن لا يوجد مانع منطقي من توقف ذلك التلازم.

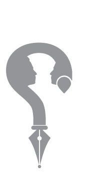
- **طرح أينشتاين هذا السؤال: ما عدد الخيارات التي كانت لدى الله سبحانه وتعالى، في إنشائه الكون، بوضوح أكثر، هل الخيار الوحيد**



لنشوء هذا الكون هو الخيار الذي سلكه، سواءً كان هذا الخيار هو النظرية النهائية كنظرية الوتر التي يعتقد فيها ذلك، أو مجموعة القوانين والمعادلات التي تتحكم في هذا الكون، أو أن هناك خيارات كثيرة تختلف عن هذه المعادلات تقود لنشوء مثل هذا الكون؟

أنور آل محمد: هذا سؤال أكبر من أن يجاب عنه من دون إخبار منه جلّ وعلا.

- **ألا تعتقد أن العلم مثَّل ضربة كبيرة للأساطير والخرافات، وأنه أفقد الطبيعة جمالها وجعلنا ننظر لها بجفاف شديد، فعلى سبيل المثال: الشمس كانت تعبد في يوم ما، أما اليوم فالشمس ليست بأكثر من نجم تتفاعل فيه ذرات الهيدروجين، والأمر أيضًا يخصّ النجوم التي تزيِّن السماء، كذلك القمر الذي يتغزَّل الشعراء به ليس بأكثر من كتلة صخرية صمَّاء تعكس ضوء الشمس وتدور حول الأرض؟**



أنور آل محمد: جمال الطبيعة ليس في غموضها، بل في معرفة دقة انتظامها.

- **يقـول واينبرغ فـي كتابه حلم النظريـة النهائية: «يوجـد نظريـة نهائيـة ونحـن قـادرون علـى اكتشـافها...حتى إننـا قد نسـتطيع أن نجد من بيـن النظريات الوترية نظرية مرشَّـحة لمنصب نظريـة نهائيـة. كـم سـيكون غريبًا لو اكتشـفنا النظرية النهائية ونحن على قيد الحياة! سيكون هذا الاكتشاف قفزة لم يشهد لها أحد مثيلًا من بدء العلـم الحديث في القرن السـابع عشـر»، كرأي شخصي، هل هناك بالفعل نظرية نهائية، أو أنها ستظلّ حلمًا يسعى له الفيزيائيون؟**

أنـور آل محمد: هذا سـؤال سـألته شـخصيًا لواينبرغ عندما كنت أحضـر درس الكونيات معـه. أجاب: نعـم، يمكن الوصول إلـى النظرية النهائيـة. فقلت له: ولكن تاريخ العلـوم وأنت الخبير في ذلك، يثبت أنه بمقدار ما تتسع معرفة الإنسـان، تتسـع مساحة الأسـئلة المفتوحة التـي تحتاج إلى إجابة، وكلما ظنَّ الإنسـان أنه اقترب من المعرفة المطلقة، تفتحت أمامه الكثير من الأشـياء التي يجهلها. فأجاب: إن التاريخ ليس له علاقة بالأمر، وإن الناس كانوا يظنون أنه لا يمكن الوصول إلى القطب الشمالي الجغرافي ولكن النـاس وصلوا. فلـم أعلِّق على إجابته. وقد كنت أتمنى أن أسـمع جوابًا غير ذلك.



◘ ما حقيقة الأكوان المتوازية؟

أنـور آل محمد: هي أكوان افتراضية مبنية على بعض النتائج النظرية للنسبية والكم.



◘ مـا تفسـيرك للسـماوات السـبع والأرضيـن السبع؟

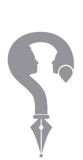
أنور آل محمد: ناقشنا ذلك في الورقة السابقة التي قدمناها، ولكـن اختصـارًا، فـإن لفظ السـماء مـن السـمو وهو العلـو، وقد ورد مفـردًا أو جمعًـا أو مقرونًا بالرقم سـبعة أو موصوفًا بالطباق. وكذلـك بالنسـبة لـلأرض، وإن لم يرد لفـظ الأرضيـن بمقدار ما وردت السـماوات وكذلـك لم تقرن بالسـبع إلا فـي موضع واحد وبشـكل غير مباشـر، وهو قوله: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾[1]، والحقيقة فإن المعنى الحقيقي للسـماوات والأرضين السـبع ولماذا سـبعًا، لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم.

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) الطلاق: ١٢.

- **ألا تعتقد بوجود دراما بشرية أو كائنات ذكية تعيش في غير الأرض، إذا علمنا أن الأرض لا تشكل في الكون إلا نقطة في بحر؟ أليس من المحتمل القوي أن تكون هناك بيئة مناسبة ظهرت على كوكب ما سمحت بظهور الحياة على ذلك الكوكب، أثناء عملية التطور الكوني؟**



أنور آل محمد: أشرنا إلى ذلك عند إجابتنا عن السؤال السادس، ولكنا إذا أضفنا وجود كائن عاقل فإن ذلك يقتضي بالضرورة العقلية أن يكون الواهب للعقل والعلم ذا علم، فإن من لا يملك لا يعطي. والعاقل من لا يستبعد الاحتمال الأكبر في قبال الاحتمال مهمل القيمة.

- **تقويمك لما فعلته الكنيسة في حقّ العلماء ككوبرنيوكس وأبي الفيزياء الحديثة جاليلو اللذين قالا بدوران الأرض؟**



أنور آل محمد: للأسف كان الأمر حفاظًا على مصالح مادية، وقد أدّت تلك الوقائع ونظائرها إلى تراجع دور الكنيسة في قبال تيار لاديني ظهر بأشكال مختلفة.

****

- الكون مليء بالألغاز، ووظيفة العلماء هي حلّ ألغاز الكون، وهذا ما فعله إسحاق نيوتن عندما حلّ لغز النظام الشمسي، إلا أن هناك ألغازًا معقدة جدًّا، ومن أكبر هذه الألغاز لغز الحياة؟ كيف نشأت الحياة على وجه الأرض، نحن نعلم أن الحياة ظهرت تدريجيًا من الكائنات ذات الخلية الواحدة وانتهاءً بالكائنات المعقدة، ولكن اللغز الكبير والأكثر ضبابية: من الذي زرع الحياة على وجه الأرض؟ وكيف تم ذلك؟ وأحبّ أن أضيف لك معلومة، أن عالم البيولوجيا التطورية البريطاني الشهير ريتشارد دوكينز عندما سئل عن أصل الحياة، أقرّ أنه لا يعرف ذلك، ولا أي أحد يعرف ذلك، لكنه يحتمل في وقت سابق أن تكون هناك حضارة تطورت في زاوية ما في هذا الكون إلى مستوى عالٍ من التقنية، وعلى الأغلب بواسطة بعض الطرق الداروينية، وهم الذين صمموا شكل هذه الحياة، ولربما بذروا بذرة الحياة في كوكبنا، وهذه إمكانية محتملة جدًّا، كما يرى؟



أنـور آل محمـد: لو سـلمنا بـكل النظريـة الداروـنيـة (وهي غيـر مسـلّم بها حتـى في الغـرب، ولا تطرح على أنهـا نظرية مثبتة في بعض الولايات الأمريكية)، فمن منح الإنسـان العقل؟ ولماذا الإنسان فقط من دون كلّ الكائنات التي تطورت معه؟

- **ناقـش داروـن بـذكاء شـديد فـي كتابه أصل الأنـواع نشـأة الأنـواع الحيـة عـن طريـق الانتخـاب الطبيعـي أو الاحتفـاظ بالأعراق المفضلـة في أثنـاء الكفاح من أجـل الحياة، وقـد أوضـح داروـن التنـوع الموجـود للكائنـات على وجـه الأرض باعتبار وجود سلف مشترك لها، وأن الكائنات تتطور على مـرّ الأجيال، فقـد ختم كتابه أصـل الأنواع، بهـذه العبارة: (هنـاك عظمة في هـذه النظرة للحيـاة؛ فبـكل قواهـا المتعـددة قـد نُفخت في أنواع قليلـة أو نوع واحد؛ وأنه بينما كان هـذا الكوكب يدور طبقًا لقانون الجاذبية من أشـكال بسـيطة إلى أشـكال جميلـة ورائعة كانت ولا تـزال تتطور)، ألا تعتقد أن نظريته أسـهمت إسـهامًا كبيرًا في النظـر إلى الحياة بصورة علمية وعن كثب؟**



أنور آل محمد: لا إشكال في تأثر الكائنات بما فيها الإنسان بالبيئـة المحيطة وهـو ما قد يؤدي إلى تغير بعـض صفات الكائن. كما يتبدل وضع وهيئة النبات تبعًا للضوء والغذاء. ولكن أن يؤدي الانتخـاب والتكيـف إلى تكون الكائـن العاقل، فهـذا ما لا يمكن التسليم له. وخصوصًا أنه لا توجد حالة وسط بين الكائنات العاقلة وغيرهـا. فمـا دام التطور قائمًا ينبغـي أن يكون مسـتمرًا، وبالتالي جميع أنواعه تكون موجودة. كما أننا نشـاهد مختلف الأعمار من الكائنـات والنجوم والمجرات. فلماذا لا نشـاهد مختلف مراحل التطـور الارتقائي الداروني. هذا بالإضافة إلـى تعارض ذلك مع القانون الثاني للديناميكا الذي يقرِّر زيادة عدم الانتظام (Entropy) مع مرور الزمن، ولكن حسـب التطور الداروني فإن عدم الانتظام يقلّ بدل أن يزداد. سـوف يُشـكل البعض ويقول: إن ذلك النقص موضعـي (Local) ولكن ما هو السـبب الـذي أدى إلى النقص في هذه الحالة؟

- **كتاب الدقائق الثـلاث الأولى من عمر الكون، للعلامـة واينبـرغ، ختمـه بعبـارات أجدهـا مأسـاوية إلـى حـدٍّ ما، فهـو يصف الكـون بأنه كون لا هـدف منه، فكلمـا ازدادت معرفتنا به، ازداد إحساسـنا بأنه كون عبثـي ولا يهدف إلى شـيء، يقول في نهاية كتابـه: (ومهما يكن من**

أمـر، فـإن هـذه المسـائل الكوسـمولوجية قد تجـد لها حـلًا، ولكـن مهما كان أمـر النموذج الـذي سـنتبين صحتـه، فإنه ليس بينهـا نموذج مريـح ومطمئـن. إذ يـكاد يسـتحيل علـى بني الإنسان ألا يعتقدوا بوجود علاقة خاصة بينهم وبيـن الكـون، وأن الحياة ليسـت مجـرد نهاية مضحكـة لعـوارض متتالية تعود فـي الماضي إلى الدقائـق الثلاث الأولى. بل، نحن بشـكل مـا نميل إلـى الاعتقاد بأننا كنا منـذ البداية. فها أنـذا عند كتابة هذه السـطور، فـي طائرة تحلق فـوق ولايـة وايومنـغ علـى ارتفـاع ٣٠,٠٠٠ قدم (١٠,٠٠٠ متر تقريبًـا)، في طريق العودة مـن سـان فرانسيسـكو إلـى بسـطن، والأرض تحتي تبـدو ناعمة ومريحة: غيـوم مخملية هنا وهنـاك، ثلـوج متـوردة تحت أشـعة الشـمس الغاربة، طرقات تمتد من مدينة إلى أخرى عبر البلاد. فمـا أصعب أن نصدق أن هذا كله ليس سـوى جـزء ضئيل من كـون سـاحق عدواني. بل وأصعب من ذلـك أن نتحقق أن هذا الكون قـد تطـور مـن ظـروف ابتدائيـة تـكاد تكـون غيـر مألوفـة، ولا يمكـن تصورهـا إلا بالجهد

الجهيد، وأنه سيخبو يومًا ما في برودة لا حدود لها، أو أنه سيصير إلى جحيم مسعور. حقًا أن الكون كلما ازداد فهمنا له، اتضح لنا بأنه لا يهدف إلى شيء!! ولكن إذا كانت ثمار بحثنا تخفف عنا شيئًا من عنائنا، فلا أقل من أن نجد في أبحاثنا نفسها بعض العزاء. فالرجال والنساء لا يكتفون بطلب الطمأنينة من حكايا الآلهة والمردة، أو من إغراق أنفسهم في مسائل الحياة اليومية، بل إنهم يبنون كذلك مناظير فلكية وتوابع صنعية ومسرِّعات، ثم يجلسون ساعات خلف مكاتبهم يبحثون عن مدلول هذه المعطيات التي جمعوها. فالسعي عن رضا لفهم الكون هو من الأشياء النادرة التي تسمو بالإنسان فوق مستوى الترهات، وتنعم عليه بشيء من شرف المشاركة في هذه المسرحية المأساوية)، ألا يشعر الإنسان بخيبة أمل وإحباط شديد، عندما يعلم أن الكون سوف يتدمَّر، وكل هذا الجمال الذي نشاهده- الجبال، والبحار، والنجوم- سوف يتدمَّر أيضًا، إنها بالفعل نهاية مأساوية، ومن المحتمل أن تكون هذه المأساوية الحزينة هي

السـبب الأقوى الذي قـاد واينبرغ إلى الاعتقاد أن الكون لا يهدف إلى شيء، وعلى الرغم من ذلك فإنني اعترض بالطبع على فكرة أن الكون لا هدف منـه، ألا توافقني على ذلك، كما أريد منك أن تقول لي بلغة واضحة وتجيبني عن هذا السـؤال بصفتك فيزيائيًّا متديِّنًـا: ما هو الهدف مـن هذا الكـون الذي ولد من جحيم مسـعور، وكل هذا الجمال الذي نشاهده سيزول، ويعود على الأغلب إلى جحيم مسعور؟!



أنـور آل محمـد: أودّ أن أشـير فـي البداية إلـى أهمية كتاب الثـلاث الدقائـق الأولى، الذي أوجز نشـأة الكون فـي تلك الفترة باعتبارهـا الفتـرة التـي تحتاجهـا أنويـة العناصـر البسـيطة (مثـل الهيدروجين والهليوم) لكي تتشكل بعد الانفجار الكبير. وبالرغم من أنه كتاب موجَّه لعامَّة القرّاء في سبعينيات القرن الماضي إلا إنه ألهـم الكثير من علماء الفيزياء وخلق اهتمامًا أكبر بالكسـمولوجيا حتـى عنـد علماء الجسـيمات، باعتبـار تناوله اعتمـادًا على نظرية الجسيمات التي أسهم واينبرغ نفسه في تأسيس الكثير من فصولها.

فمثلًا ألن جوث صاحب نظرية التضخم الكوني (Inflation) هـو أحد الذين تأثـروا بذلك الكتاب. وبالرغم مـن العمق العلمي للكتـاب إلا إنه عند تناول جانب الغاية مـن الكون فإنه يبدو حائرًا

مائـلًا إلـى الاحتمال الأقل. فلو سـألته أو أي إنسـان: هل لبناء أي مدينـة مترامية مثل المدن الأميركيـة غاية أم أنها حدثت اتفاقًا ومن دون تدبير بل نتيجة عمليات طبيعية؟

الجـواب المنطقي المبني على الفطـرة أن لها موجدًا ومدبّرًا يرعى استمرار تلك المدينة. أو كما قال ذلك الإعرابي: «البعرة تدلّ على البعير والقدم يدلّ على المسير، وسماءٌ ذات أبراج وأرض ذات فجـاج ألا يدلان علـى اللطيف الخبيـر!». لذلك فجواب سـؤالكم حول التباين بين فهم الجانب المادي المحسـوس للكون وبين فهم الغاية منه هو اسـتبعاد فكرة المدبر. وما كل ذلك التباين إلا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾[١].



- **هناك أناس يمتنعون عن الزواج أو السـفر في أيام معينـة بتواريخ معينة بصفتها غير محبَّذة، فهـل هذا صحيـح، وهل هنـاك بالفعل علاقة بين الأيام وسعادة الإنسان أو نحسه؟**

أنـور آل محمـد: يمكن القول: إن الكـون المتوازن لا بد أن تتأثـر جميع ذراته بالذرات الأخرى التي منها الإنسـان والكواكب والنجـوم وغيرهـا. ولكن طبيعـة تلك العلاقات بيـن جميع ذرات الكون أو محصلة تلك العلاقات على البشر هي من التعقيد بحيث

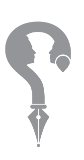
(١) طه: ١٢٤.

لا يحيـط بها إلا من يحيط بجميـع ذرات الكون ويعلم طبيعة تلك العلاقـات منفردة ومجتمعة وهو اللـه. لذلك لا يمكن التعويل إلا على ما ورد عن طريق الوحي أو ما هو في حكمه.



- **يرى واينبرغ أن السبب الأقوى احتمالًا لتديِّن الناس وإيمانهم بالله هو خوفهم من الموت، هل توافقه على ذلك؟**

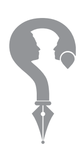
أنـور آل محمد: أثبتـت النظريات الاجتماعيـة ذات العامل الواحد مثل السارترية أو الماركسية وغيرها فشلها السريع. كذلك فإن ربط التدين بخوف الموت فقط هو من قبيل تلك التخرصات.



- **كيف تنظر للموت؟**

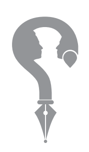
أنور آل محمد: يقول الشاعر أبو العتاهية:

المـوتُ بـابٌ وكلُّ النـاسِ داخلُـهُ
يـا ليـتَ شِـعرِيَ بعـدَ البـابِ مـا الـدارُ



- **الطموح المستقبلي لك، ولجمعية الفلك؟**

أنـور آل محمـد: أسـأل اللـه أن يوفقنـا لطاعتـه وأن يوفـق القائمين عليها لما يرتقي بها في خدمة البلد.



كلمة أخيرة للأستاذ أنور آل محمد؟

أنـور آل محمـد: أدعـو الإخـوة القـراء إلـى زيـادة القـراءة والاطّـلاع خصوصًـا على مصـادر العلوم وعـدم الاكتفـاء بقراءة القصاصـات المنتشـرة في وسـائل المعرفـة المختلفة. كمـا أذكّر نفسـي وإياهـم بضـرورة الاتـزان والتبصر فـي فهم الأمـور وعدم التعجل في تقويم القضايا والنظريات. سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون وسـلامٌ على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين، ألتمس العذر منكم ومن القارئين للإطالة، وأشكر لكم إتاحة هذه الفرصة للحديث إلى إخواني القرّاء وأسـال اللـه أن يتقبّل منا وينفع بها إنه سميع الدعاء.





٢

المكتشف الدكتور

محمد المحروس



المكتشف الدكتور محمد المحروس

«تعمل السياسة من أجل اللحظة الراهنة، أما المعادلات فهي للخلود».

ألبرت أينشتاين

لطالما كان يوصينا أستاذنا في الفيزياء، الدكتور فتحي عبد الوهاب، بدراسة حياة المكتشفين؛ لما فيها من التعامل مع الحياة بواقعية، فهي حياة تبتعد عن الأوهام والأساطير، ولأنها مليئة بذلك النضال والكفاح. ولو فتشت -عزيزي القارئ- في حياة المكتشفين لرأيت أن النضال قد زرع فيهم، فهم فئة من البشر لا تستلم للإحباط واليأس، وكلما وجدوا صعوبة في الوصول إلى هدفهم ازدادوا تحديًا وإصرارًا من أجل الوصول إليه.

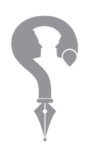
لهذا السبب، أردت أن أنقل لك -عزيزي القارئ- أمثلة واقعية من حياة المكتشفين. إننا نعتقد بأننا سنتعلم منها النضال

الـذي لا يعرف اليأس والإحباط، فالتجربة التي سـنتعرض لها في هذه الأسطر تبرهن ذلك.

إنها تجربة المكتشـف الدكتور محمـد المحروس، الباحث والاستشاري في علم الميكروبات الإكلينيكية وهندستها الوراثية، الذي حاز على درجة الماجستير والدكتوراه من جامعة مانشسـتر ببريطانيا، والذي حصـل أيضاً على لقب «عالم إكلينيكي» من قِبل الوكالة الصحيـة للمُتَخَصِصين الإكلينيكيين، والذي له العديد من المشاريع والأبحاث والاكتشافات.

لقـد حدد هدفه منذُ طفولته، وتجـاوز الصعاب متغربًا لأكثر من عشر ونيف من السنوات لتحقيق حلم الطفولة.

كانـت عقيدتـه فـي الحيـاة النضـال والكفـاح والتحـدي والإصـرار، وتحفيـز الـذات، والالتفـاف حـول الهـدف من أجل الوصول إليه.



- **نـود أن نعـرف شـيئًا بسـيطًا عـن ولادتـك وبدايات حياتك؟**

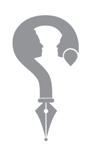
محمـد المحـروس: تنحـدر عائلـة المحـروس مـن أرض ديلمـون وهي البحرين حاليًا، حيث وصلـت إلى أراضي القطيف منذ مئات السـنين، واسـتوطنت فيها، خصوصًـا وأن حياة أجدادنا

المرتبطة بالبحر واشتراك المنطقة بأسرها في الكثير من العوامل المعنوية الحقّة لم تشعر أجدادي بالغربة في مدينة القطيف، فنحن جميعًا أهل وينبض فينا قلب واحد.

وكأني أسمع أجدادي وهم يردّدون حينما وصلوا للقطيف عن طريق البحر – في ذلك الوقت –قول المقدّس الشيخ الخطي:

قالوا القطيف، فقلت: غاية مقصدي
ألقِ المراسي أيها الربان
قالوا القطيف، فقلت: نبض قصائدي
وربيع قلبي حسنها الفتان
قالوا القطيف، فقلت دون تردد:
(معشوقتي) وأنا بها الهيمان
قالوا القطيف، فقلت: موطن مولدي
وبها سيدفن في الثرى الجثمان

وعرفت العائلة بالثراء، إلا أن أبي لم يكن ثريًّا بل كان متوسط الحال، فكان يعمل في التجارة، وكانت تأخذ جلّ وقته، وقد ولدت في محافظة القطيف في عام ١٩٧١م.



- **طفولة المكتشفين تمثل مرحلة مهمة في حياتهم، فماذا عن طبيعة طفولتك؟**

محمد المحروس: من جانب أول، فإنني كنت في طفولتي

شغوفًا بالتساؤل عن تلك الأسئلة الأزلية المرتبطة بالكون ونشأته، وكيف وُجد؟ وكذلك عن ماهية الحكمة من وجوده؟ ومن الذي أوجده؟ وما هي طبيعة ذلك المدبر (الحكيم الخبير) الذي أوجده؟

كنت أسأل مثل هذه الأسئلة كثيرًا، وكنت أُشبع رغبتي وفضولي بالإجابة عنها عن طريق البحث (وبحسب الإمكانيات الموجودة لدي كطفل بريء لا يعلم الكثير عن موارد علم العقائد والفلسفة)، وكل ذلك من أجل مواجهة الغموض القائم حول تلك المواضيع التي بدأت تنمو وتترعرع بطريقة إيجابية مع تقدم الأيام. فكنت أسعى دائمًا لوضع إجابات لها. ويقينًا أقول: «إذا ما قمنا بتحليل شخصية أي إنسان، فإنك ستلاحظ أن هذه الأسئلة موجودة في عقله وفي قلبه؛ لأنها منبت الإيمان والتصديق بوجود خالق هذا الكون عزّ وجلّ».

أما الجانب الثاني الذي كنت شغوفًا به أيضًا في طفولتي فقد كان كتابة النثر والمواضيع المرتبطة بالتعبير عن الذات. ولا شك ولا ريب أن مثل هذه المواضيع تبعث في النفس الراحة والطمأنينة؛ لأنها تزرع الأمل والتفاؤل في نفس الإنسان.

أما الجانب الثالث الذي كان يشغلُ حيزًّا من تفكيري، وبشكل ملحوظ خلال مرحلة طفولتي، فقد كان اهتمامي بجمال الطبيعة والتصميم الذكي لها. وقد انعكس هذا الاهتمام بجمال الطبيعة على شخصيتي مما جعلني أهتم بجمال الأشياء كالديكور العام وتمازج

الألـوان بعضهـا مع بعض. وكنـت دائمًا أميل إلى التأمـل في تمازج الجبال والسـهول والسماء التي كانت ترسم جمال الطبيعة الحقيقي والتصميم الذكي للكون (وهي وبلا شـك مرتبطـة بالجانب الأول) والتي كانت تُوحي بوجود الخالق سبحانه وتعالى.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ**﴾[1].

ويقـول أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب عليه السلام: «ما رأيت شيئًا، إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه».

ويقول أبو العتاهية:

فواعجبًا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ
وفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدلّ عـلـى أنـه الـواحـد

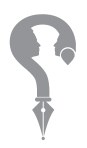


وماذا عن مستواك الدراسي؟

محمد المحروس: لقد كانت مرحلة الابتدائية مرحلة هادئة حصلـت فيهـا كباقي الزمـلاء على تقديـر ممتاز. وعندمـا انتقلت إلى المرحلة المتوسـطة شـعرت بأنني أمرّ بمرحلة كانت تؤسـس لقاعدة الانطلاقة الفكرية الطبيعية عند الإنسـان. وكسـائر الطلاب خـلال هذه المرحلـة، بـدأت أرى بأنني في خضمِّ علاقـاتٍ كثيرةٍ

(١) آل عمران: ١٩٠.

مـع مدرسـين وطـلاب جـدد. أما عـن المسـتوى الدراسـي، فقد حصلـت في جميـع مراحلهـا على تقديـر ممتاز. وبعـد أن أنهيت المرحلة المتوسطة، درسـت المرحلة الثانوية بنظام المطوّر (نظام السـاعات). والأهـم في هـذا كلّه، هـو أن المرحلـة الثانوية كانت تمثـل مرحلة الانطلاقـة الحقيقيـة. فالطالب في المرحلـة الثانوية يشـعر بأنه صاحب قضية. وعن معدلـي خلال هذه المرحلة، فلقد تخرجت من المرحلة الثانوية بمعدل فوق ٩٩٪.



- **فـي المرحلـة الثانوية، ما هـي المواضيع التي كنت تناقشها على الطاولة مع زملائك؟**

محمـد المحـروس: فيمـا يتعلـق بمواضيـع النقـاش، فلقد كانـت كثيرة، فكنت أتسـاءل مع زملائي عن فلسـفة الممارسـات العباديـة العامة التـي نقوم بها كالصلاة والصوم وكثير من الأشـياء المرتبطـة بالديـن على الرغم من اعتـراض الكثير من الزملاء على ذلـك؛ إلا أنني كنت وما زلت أعتقد بأن فهم فلسـفة الممارسـات العامـة والعبادية على وجه الخصـوص يُعطي حلاوة وطمأنينة في ممارسـتها. وكانـت تدور أحاديثنـا أيضًا عن أسـباب الاختلافات الموجودة فـي المجتمع كقضايا الهلال الـذي يؤدي إلى اختلاف تعييـن يـوم العيد مثـلًا، حتى من أتبـاع ومقلدي المرجـع الواحد. فكنـت أرفضها وأتسـاءل عن أسـباب عـدم التوحد فـي صياغتها

(وهي ذات المشكلة التي ما زلنا نُعاني منها حتى يومنا هذا). إنني أفهم الارتكاز الشرعي لكل فرقة الذي لا أناقش فيه، ولكنني لا أفهم أسباب عدم الالتزام بمرجعية واحدة مسؤولة عن اتخاذ ذلك القرار في منطقة صغيرة كمنطقتنا.

وإن من أشدّ ما كنت معارضًا له هو ذلك الاختلاف الناجم عن المراهقات الفكرية والهمجية التي كانت تنتج عن جهل واتّباع أعمى، فكنت أرفض رفضًا تامًّا الاتّباع غير المبني على دليل وعقلانية، حيثُ إنني كنت وما زلت أرى أن على الإنسان إذا ما مارس شيئًا أن يكون لديه أدلة مقنعة على أن الذي يمارسه صحيحًا، حيث إن المجتمع الواعي هو الذي يسند تصرفاته إلى أدلة، ولهذا فإنني أُسمي المجتمعات المثقفة بمجتمعات الدليل.

- **ماذا عن المعتقدات التي كانت رائجة بكثافة في القدم، والتي كانت تشير إلى أنه لا توجد عين إلّا وبداخلها جنّية نسميها كما أتذكر (الراعية)، ولا يوجد نخيل إلّا ويسكنه جنّي ونسميه (أبو دعيع)، كيف كنت تتعامل مع هذه السخافات؟**



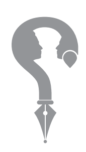
محمد المحروس: أنا أؤمن بحقيقة الآية الكريمة: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1]، وأؤمن بخلق الله سبحانه

(١) الجن: ١.

وتعالـى للجـن ولا أُشـكك في ذلك قيـد أُنملـة، إلا أن المواضيع المتعلقة بالجن وطرحها على الملأ والخوض فيها دون دعم علميّ عادة ما يؤدي إلى نتيجة سلبية، فهي تشغل الإنسان فكريًّا دون فائدة مرجوة منها، فليس من المناسب أن أحكي لأبنائي الصغار قصصًا عـن الجنّ وأزودهم بمواضيـع كان أهلنا يحكوها لنا قديمًا بعفوية وبراءة شديدتين؛ لأني أشـعر أن وقعها السلبي أكثر من الإيجابي، ومـن المحتمـل القوي أن تخلـق هذه المواضيع حالـة من الرعب والخوف عند الطفل مما ينعكس سـلبًا علـى حياته، ويقينًا أقولها: «إن هذه المواضيع مضيعة للوقت بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فيما لو تم تبادلها من باب تبرير عدم فهم الإنسـان لبعض الحقائق الكونية». لهذا نرى، أنه من الجهل إسـناد الكثير من الناس للعديد من القضايا على أنها من أعمال الجنّ تاركين المنهج العلمي الذي من المفترض أن نعتمد عليه.

ولقد ذهب الكثيـر من الناس إلى عالم ما وراء الطبيعة لحلّ مشـاكلهم دون وجـود أدلـة عقلانية.إننـا نقول بضـرس قاطع بأن العلـم فـي العصر الحديث فسّـر الكثير مـن المعتقـدات التي كان يعتقدهـا النـاس قديمًـا – علـى أنها مـن أعمال الجنّ – بأسـلوب علمـي كصـوت المعـادن (المواعيـن) الذي يسـمعه النـاس وهم نائمـون مثلًا، حيث جاء العلم الحديث وفسّـر هـذه الظواهر على أنها تدخل تحت عنوان اختلاف الشـحنات بيـن المعادن (فلزات

وغير فلزات) وتجاذبها نتيجة لاختلاف درجة الحرارة، وهذا يمثل وبلا شك ضربة كبيرة لهذه الخرافات. وهنا أؤكد مرة أخرى على أن العلم قد ضيق الخناق كثيرًا على مثل هذه التفاسير وتغلّب عليها.



• الطموح الذي كنت تسعى إليه؟

محمد المحروس: كان حلم طفولتي هو علاج الناس من الأمراض والرفع من المستوى الصحي في المنطقة، ولقد دفعني هذا الحلم - خلال المرحلة المتوسطة - لمشاهدة البرامج الثقافية وقراءة الكتب العلمية، ولقد شدّ انتباهي كثيرًا برنامج «العلم والإيمان» للدكتور/ مصطفى محمود. لقد زادت هذه الاهتمامات من رغبتي في تحقيق الحلم الذي كان يراودني منذُ الصغر، وفي المرحلة نفسها بدأت تدور في مخيلتي الكثير من التساؤلات حول ما يتعلق بالكائن البدائي ذي الخلية الواحدة وقدرته على عمل كل هذه الوظائف المختلفة، كالانقسام والتغذية ومساهمته في تسبب المرض. وعليه، بدأت تتبلور تلك الأفكار في المرحلة الثانوية، حيث تحولت لسعي جادّ من أجل تحقيق ما كنت أخطط له من حلم في مرحلة الطفولة، مما أثر وبشكل واضح - ودون وجود أي تردّد - في خياراتي التخصصية في المرحلة الثانوية، فكان تفكيري منقادًا إلى اختيار تخصص الأحياء والكيمياء.

- **بعـد تخرجـك من المرحلـة الثانويـة في فترة قياسية وبمعدل قياسي (بلغ سنتين ونصف)، كيف سـلكت الطريـق لتحقيق الحلـم الذي كان يراودك منذ الصغر؟**



محمـد المحـروس: تخرجـت فـي الثانويـة عـام ١٩٩١م. وبعدها، أرسـلني والدي رَحِمَهُ اللَّهُ مباشـرة من أجل دراسـة الطب في النمسـا على أمـل أن ألتحـق بالبعثة فأكـون على حسـاب الدولة. وقـد تبيـن لـي - بعـد وصولـي للعاصمـة فينـا - من خـلال كلام أحـد العاملين فـي الملحقية هناك أن الالتحاق بالبعثة ليس سـهلًا وهو مـن الأمور الصعبة في ذلك الوقـت، ونصحني أن أرجع إلى المملكة لدراسـة الطب في الجامعات السـعودية حيث كان يقول لـي بأن معدلي ممتـاز وأن فرصة الانضمام بالجامعات السـعودية هو الخيار الأمثل.

أنـا لا أدري حتـى الآن عـن سـبب توجيهـه لـي بالرجـوع للسعودية، وحتمًا فأنني لم أكن قادرًا في ذلك الوقت - نظرًا لصغر سـني - على فهـم ما كان يدور حولي. لقد سـبّب لـي هذا الكلام القلـق الكثيـر حيث لم أكن أعلـم الوجهة الصحيحـة لي في ذلك الوقت. تلقيت بعدها اتصالًا من أحد الأقارب كان يخبرني فيه بأنه قـد قام بتقديم أوراقي للتسـجيل في جامعة الملـك فيصل بالدمام (أي جامعة الدمام حاليًا)، وأنه يتوجب عليّ التواجد بعد ثلاثة أيام

من أجل إجراء امتحان القبول. كان أبي يشجعني على الرجوع؛ لأنه كان يحب أن أتواجد بالقرب منه.

ونظرًا للفترة القصيرة جدًّا - والمتبقية لحضور امتحان القبول - قررت الرجوع بسرعة بعد أن قضيت في النمسا فترة من الزمن تعلمت فيها الكثير من الدروس الحياتية. كان خط سير رحلتي حينها هو: النمسا - ألمانيا - ايطاليا - اليونان - الرياض - الظهران. ولحسن الحظ، وصلت إلى مطار الظهران الساعة السابعة صباحًا قبل الامتحان بساعتين بعد أن قضيت مدة ثلاثة أيام في رحلتي المذكورة. حضرت بعدها الامتحان واجتزته وتأهلت بعدها للمقابلة الشخصية، وتبين لي بعد كل هذا المجهود - وللأسف الشديد - بأنني لم أقبل في الجامعة.

حزنت كثيرًا على ما جرى لي من نتائج لم أتوقعها. ولم يرق لأبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حالتي وتأثري، فأرسلني إلى المملكة المتحدة من أجل دراسة اللغة الإنجليزية وبعض المواد العلمية كالكيمياء والأحياء (واللتين كنت أعشقهما). وبعد ستة أشهر رجعت إلى المملكة، وتقدمت بأوراقي في هذه المرة لكلية الطب في جامعة الملك سعود بالرياض، وتأهلت على إثرها لحضور الامتحان الذي اجتزته، مما جعلني أتأهل لحضور المقابلة الشخصية، وبوتيرة مشابهة تفاجئت أيضًا بعدم قبولي، الأمر الذي صدمني أكثر من ذي قبل!

دخلت بعدها على عميد القبول والتسجيل فشرحت له طموحي وشرحت له - بأسلوبي الطفولي البريء - بأني أحد أبناء هذا البلد الذين يطمحون في المشاركة في نهضته الطبية، ولكني لم أحصل منه على النتيجة المرجوة. كانت الكلية الوحيدة حينها التي تم وضعها أمامي كخيار هي كلية العلوم الطبية.

إن ما تعرضت له من صدمة في عمادة القبول والتسجيل جعلتني أخرج من العمادة في حالة من الصعب أن توصف. لقد قادتني رجلي إلى منطقة بين كلية الطب ومستشفى الملك خالد، فظللت باكيًا بشدة جرّاء ما حصل لي. فهل من الممكن أن يتصور القرّاء مقدار تلك المعاناة؟... شاهدني حينها أحد الرجال الكبار في السن وأنا في تلك الحالة الحزينة، فسألني، لماذا تبكي؟ (وكان يعتقد بأني قد فقدت أحد الأقارب لأني كنت قريباً من المستشفى!)، فصار يُذكرني بالله سبحانه وتعالى وقال لي: «كن على ثقة بأن الله لن ينساك، ونصحني بقراءة القرآن؛ لما فيه شفاء من متاعب هذه الحياة».

قرأت القرآن، ومررت بهذه الآيات: ﴿**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ * مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا**

يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[١].

قادتني الآيات إلى التفكر في وجود الله، وأيقنت أن الله يمتحن العبد! وأن تلك المصاعب التي حصلت لي هي امتحان إلهي. فالإيمان الحقيقي هو إيمان الإنسان بوجود الله وهو في عمق المصيبة. فعلينا أن نكون على ثقة بالله ونحن في وقت الشدة. يقول الإمام الحسين عليه السلام: «النَّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيَا، وَالدِّينُ لَعِقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُون»، فإذا كان الصديق لا يُعرف إلا في وقت الشدة، كذلك المؤمن لا يُعرف إلا في وقت الشدة أيضًا، وها هو القرآن أمامنا يبين لنا كيف امتحن الله أنبياءه بأشد البلاء كأيوب عليه السلام الذي ابتلاه الله بالأمراض.

وكلامي هذا هو تأكيد على ضرورة السعي من أجل الوصول للهدف وإن ارتفع سقف التوقيت الزمني له، فالوصول متأخرًا خيرًا من عدم الوصول وتحقيق الهدف حتى وإن جاء متأخرًا يعتبر نجاحًا مضاعفًا؛ لأنه يمتزج بالصبر والاستمرارية في المحاولات الجادّة من أجل الوصول، وما الصبر في هذه الحالة إلا الإيمان نفسه بإرادة الله وقدرته على أن يقول للشيء كن فيكون!

رأيت لزامًا عليّ أن أدرس بكلية العلوم الطبية بجامعة

---

(١) العنكبوت: ١-٥.

الملك سعود بالرياض، فدرست وتخرجت منها في فترة قياسية جدًا كان قدرها ثلاث سنوات ونصف، ومن المحتمل القوي أنني أول طالب تخرج في هذه الفترة، ولا أعرف حتى هذه اللحظة أحد قد تخرج في فترة زمنية مشابهة.

قضيتُ بعدها سنة تطبيقية (سنة الامتياز) في قسم المختبرات الإكلينيكية بمستشفى شركة أرامكو في مدينة الظهران، حصلت خلالها على الكثير من التوصيات من قبل رؤساء الأقسام. ومع ذلك، تقدمت لشركة أرامكو بعد تخرجي للعمل ولكني لم أقبل! ولم أنزعج من عدم قبولهم لي، وذلك بسبب رغبتي الشديدة في مواصلة الدراسة. فكان عدم قبولي توفيقًا إلهيًّا، فلو قبلت لتكبل طموحي ولم أتمكن من تحقيق ما أنا بصدده الآن.

مرت الأيام. تزوجت بعدها، وتوفي أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام ١٩٩٥م، والتحقت بعدها بوزارة الصحة (علمًا بأن قبولي المبدئي كان في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض الذي لم ألتحق به نظرًا لوفاة الوالد). بدأت بعدها أبحث عن أية طريقة تساعدني على مواصلة دراستي (طرقت فيها حتى المؤسسات الاجتماعية) حتى تمكنت بتوفيق من الله من الحصول على بعثة من قبل وزارة الصحة لدراسة الماجستير. بعت على إثرها جميع ما أملك في القطيف وتوجهت أنا وزوجتي (التي تركت وظيفتها من أجلي أيضًا) وطفلتي الصغيرة إلى المملكة المتحدة. كانت

لحظات عصيبة جدًا، وأشبه بالذي كان يسافر إلى المجهول!

بدأ حلم الطفولة يتحقق تدريجيًا، فدرست بجامعة مانشستر علوم الميكروبات الإكلينيكية وهندستها الجينية وفك الشفرات الوراثية، التي كانت تلبي وبلا شك رغبتي وحلمي القديم. اكتشفت بعدها خمسة من الجينات المرتبطة بتقسيم البكتريا العنقودية الكروية الشكل الذهبية اللون إلى سلالات متعددة، وكان ذلك في عام ٢٠٠٢م، وتم تسجيلها في بنك البيانات الألماني العالمي (spa gene data analysis).

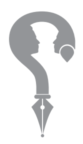
أنهيت بعدها الماجستير لكن أبحاثي لم تنته (فدراسة الماجستير لم تشبع لذتي حيث كان هناك الكثير مما كنت أطمح في تحقيقه على مستوى المشاريع)، أعطتني الملحقية وبالتعاون مع جامعة مانشستر فترة تمديدية من أجل إنهاء أبحاثي، وبعد ذلك رجعت لأرض الوطن، إلا أن الحلم لم يتحقق كاملًا، بل ظلّ معلقًا. تقدمت بأبحاثي لوزارة الصحة موضحًا لهم رغبتي الشديدة في مواصلة مشاريعي البحثية من خلال رسالة الدكتوراه، وجاءت الموافقة بذلك. سافرت بعدها وللمرة الثانية إلى المملكة المتحدة أنا وزوجتي وطفلتي الأولى التي كانت تُصاحبها – في هذه المرة –أختها الصغيرة!

لقد مثلت مرحلة الدكتوراه الانطلاقة الحقيقية للمشاريع الكبرى التي كنت أسعى لتحقيقها، فصببت اهتمامي على تتبع كل

ما يتعلق بالعلاج الذي يستهدف الميكروبات الممرضة وتحليل الجينات الوراثية المتعلقة بإنتاج بعض المضادات الطبيعية التي لم يتعرض لها الطب بصورة تطبيقية في علاج الأمراض البكتيرية من قبل، والتي تنتجها الكائنات الحية بعضها ضد بعض، حيث يعتبر هذا المسار مغايرًا لما هو مستخدم من قبل المصحات الطبية في كل أنحاء العالم.

لقد اكتشفت – على إثرها – مجموعة من البكتريا القادرة على فرز مضادات حيوية وبروتينات مغايرة وبأشكال جديدة، وعملت على تحليل جيناتها الوراثية. ولقد تكلل الكثير من هذه المشاريع بالنجاح، حيث بدأت أقطف ثمارها في أواخر عام ٢٠٠٦م، ولقد تم نشرها من قبل المجلات العالمية المحكمة وتم توثيقها لدى المنظمات العالمية كبنك الجينات العالمي.

وعليه، بدأت أنشر أبحاثي العلمية في المجلات العلمية الواحدة تلو الأخرى، وتتابعت الاكتشافات الواحد تلو الآخر أيضًا، حيث كان آخر اكتشاف لي هو ذلك الاكتشاف الذي كان يناقش بعض البروتينات من ذوات الصفات الطبية الجديدة والمختلفة عن أقرانها، والتي كانت تأتي تحت عنوان محللات خلايا الدم الحمراء (haemolysins) الذي أسميته بشبيه الهيموليسن (haemolysin-like peptide) وأسميت جينه بـ(hlp)، وكان هذا في عام ٢٠١١م.



- **وماذا عن فترة ما بعد حصولك على شهادة الدكتوراة من جامعة مانشستر؟**

محمد المحروس: لقد ظللت بعدها في المملكة المتحدة أعمل في مركز الأبحاث التابع لجامعة مانشستر، كما تنقلت أيضًا بين العديد من الجامعات المعروفة التي كانت تتعاون معنا في هذا المجال وفي دول غربية عديدة، ولقد ساعدتني أبحاثي وأعمالي المتواصلة في هذا المجال على أن أُشرف على بحوث طلبة الماجستير في القسم الذي كنت أبحث فيه. منحت بعدها درجة «عالم إكلينيكي» في عام ٢٠١٠م من قبل الوكالة البريطانية للتخصصات الطبية، وحصلت أيضاً على عضوية المشاركة في الكلية الملكية لعلوم الأمراض في لندن. وفي بدايات عام ٢٠١١م، رجعت إلى أرض الوطن، وعملت بطبيعة الحال في وزارة الصحة التي يوجد بها ملاكي الوظيفي حتى الآن والتي كنت أعمل بها سابقًا أيضًا.



- **فلسفة الوصول إلى الهدف، كما يراها الدكتور المحروس؟**

محمد المحروس: يجب على الإنسان أن يسعى لتحقيق الهدف (الذي عرفه لنفسه ووضعه نصب عينه). إن انغلاق الأبواب

ونفاد الإمكانيات وعدم توفر الوسـائل ليست مبررًا للتوقف وعدم المواصلة، ولا يجوز أن تتسـبب هذه المعوقات بالشعور بالحزن. حيث إنه يجب على الإنسـان أن يفهم بـأن الله موجود معه (الذي هـو من صلب عقيدتنا الإيمانية)، ويجـب عليه أن يفهم بأن الصبر (الـذي هو مفتـاح الفـرج) كفيل بكشـف أن تلـك المعوقات هي بتدبيـر مدبّر، وأن وجـوده في الموقع الآخر - الذي لم يكن خياره الأول - قد يكون أفضل له.

يقـول اللـه سـبحانه وتعالى في كتابـه الكريم: ﴿**وَعَسَـى أَنْ تَكْرَهُوا شَـيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَـى أَنْ تُحِبُّوا شَـيْئًا وَهُوَ شَـرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[١].

والمطلوب من الإنسـان أن يسـعى سـعيه، ويبـذل قصارى جهـده، إذا كان يعتقـد بهـدف معين. ومـن المهم أن أشـير إلى أن هناك أربعة عناصر رئيسة مرتبطة بتحقق أي هدف، وهي:

(١) تحديد الهدف.
(٢) الإحاطة بمتطلبات الهدف.
(٣) التصديق والاعتقاد بمتطلبات الهدف.
(٤) تصور المسـتقبل وبأسـلوب متفائل، بما يتعلق بتحقيق ذلك الهدف.

(١) البقرة: ٢١٦.

فإذا سعى الإنسان ومن ثم أجبرته الظروف على أن يُغير طريقه ويعتمد على وسيلة أخرى مغايرة، فهذا لا يعني بأن هدفه قد تغير، فعليه أن يؤمن أن ما حصل هو مقدّر له ويجب عليه أن يواصل المسير نحو هدفه وإن طال الطريق عليه. ويجب التنبيه على أن هناك مفهومًا خاطئًا نقع فيه غالبًا وهو قولنا: «بذلت قصارى جهدي»، في حين أننا لم نستثمر إلّا جزءًا بسيطًا مما أودعه الله فينا من طاقة ضخمة ومهولة ولا نستطيع أن نتصورها حتى نحن. وحيث إن جهل الإنسان بهذه الطاقة يجعله يتصور أنه بذل قصار جهده، لذا أقول بأننا لا بد وأن نضع نصب أعيننا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اعقلها وتوكل»، التي تعني استثمار الطاقة الحقيقة التي أودعها الله (سبحانه) في للإنسان، ومن ثم التوكل عليه سبحانه وتعالى.



- **بالنظر إلى قصة كفاحك التي حكيتها، هل تشعر أن وجودك في موقعك الحالي، كان يستحق أن تضحي له بكل هذا؟**

محمد المحروس: الشيء المزعج الذي لا أستطيع أن أجامل فيه هو أنني أشعر بأنني في موقع غير مناسب، وهو حق طبيعي في تقييمي للوضع الحالي، وهو أيضًا حق لأي إنسان يعتقد بأنه يستطيع أن يعطي في مكان غير مكانه الموجود فيه فعليًا.

وكلامي هذا مرتبط برغبتي الشـديدة في أن أدفع بكل ما أملك من طاقة – أعتقد بأنها إيجابية – لموقعها الصحيح في المجتمع.

وأنـا أؤمن بـأن موقعي الحقيقي هو كباحـث في أحد مراكز الأبحـاث أو محاضـر فـي إحـدى الجامعـات؛ لأننـي أؤمـن بأن وجـودي كباحث يعني بأن سـأكون فـي الموقع الذي أسـتطيع أن أشـارك فيه في إيجاد حلول مرتبطة بالعلم الذي قضيت فيه عقودًا من الزمن! وحتى أشـارك في تصدير العلم للعالـم الآخر، كما كان يفعل علماء العرب في العصور الماضية!

ولـو نظرنـا إلى الوراء بشـيء مـن التحليل المنطقـي، لرأينا بأن سـبب تقدم الغرب في شـتى العلـوم (كتقنية الطيـران ووجود الغواصـات وفي مجال الطب وفـي الكثير من العلوم الحديثة) هو وجود الباحثين الذين يعملون بكل ما أوتوا من قوة من أجل إيجاد حلول لمشاكلهم العامة وتسهيل الحياة اليومية على البشر. ولهذا، فإننـا نلاحظ بأن وجود الباحثين في العالم الغربي يجعله دائمًا في منطقـة القـوى بل ومصـدرًا للعلم أيضًـا إلى دول أخـرى كالدول العربية مثلًا.

وأنـا أقول وبضرس قاطع – وللأسـف الشـديد – بأننا نحن كـدول عربيـة لا نسـتطيع تصديـر العلـم فـي وقتنـا الحالـي نظرًا لاضطهادنا لطاقاتنا وتشتيتنا للثروة الحقيقية وهي الكوادر البشرية العاملـة. وفيما لـو انقطع عنا اسـتيراد العلـم من الخـارج، فحتمًا

سنرجع خطوات كثيرة إلى الوراء وسنعيش في منطقة يعمّ فيها الجهل. فعلى سبيل المثال، ماذا لو تصورنا انقطاع استيراد بعض الأدوية المعالجة للأمراض لدولنا العربية؟... كيف سيكون عليه وضعنا الصحي؟

- **كما تعلم، الحضارة العربية لها آلاف السنين وقد برز فيها علماء كثيرون يشار لهم بالبنان كابن سيناء وابن النفيس والخوارزمي وابن الهيثم والبيروني وابن الشاطر الدمشقي وغيرهم، السؤال الذي يدور في ذهن الكثير، لماذا تقدمت علينا الحضارة الغربية تقدمًا مهولًا جدًّا، على الرغم من كونها حضارة ناشئة نسبة إلى حضارتنا العربية؟**

محمد المحروس: إن السبب الحقيقي في تقدم الغرب علميًّا علينا من جانب، وتراجعنا إلى الوراء من جانب آخر، هو ارتباط العلم لدينا وبشكل ملحوظ بعوامل خارجية كالسياسة مثلًا، والأهواء الشخصية لمن يسموا بصناع القرار في دولنا العربية، التي عادة ما تؤدي – وبطبيعة الحال –إلى وضع الكوادر البشرية في مواقع مغايرة لمواقعها الطبيعية، تتحكم فيها النزعات القبلية والطائفية وغيرها من أمزجة غير أخلاقية، مما يتسبب في

دمار القواعد المرتبطة بتطور الوطن، وهو الشيء المزعج الذي لا يرضاه أيّ شخص غيور على بلده.

- **بالنظر إلى الحاصلين على جائزة نوبل في المجالات العلمية، نلاحظ نسبة قليلة جدًّا لوجود الإنسان العربي، تكاد أن تكون صفرًا، بماذا تفسر ذلك؟**



محمد المحروس: يجب علينا أن نتيقن بأن الإنسان هو الإنسان! وأن ما يحتاجه من أجل أن يعمل وينتج هو البيئة، التي توفر له القاعدة التي يبني علمه عليها، والتي من خلالها ينطلق لتحقيق طموحه. سنكون جريئين بعض الشيء وسنقولها من باب الغيرة والخوف على مستقبلنا ومستقبل أبنائنا، بأن هذه البيئة النوبلية – إذا صح التعبير – غير متوفرة في وطننا العربي.

- **وضع ماسلو هرمه المشهور للاحتياجات، ويتكون الهرم من: (الحاجات الفيسلوجية -حاجات الأمن – الحاجات الاجتماعية – حاجات التقدير – تحقيق الذات)، فما الذي يوحيه إليك هرم ماسلو للاحتياجات؟**



محمد المحروس: هرم ماسلو يتم التعبير عنه كسلّم أساس

يلبي حاجات الإنسان الغريزية التي تساعده على أن يرتقي بشكل طبيعي لتحقيق ذاته، وأعتقد أن أهم المحطات في هرم ماسلو -خصوصاً في وقتنا الحاضر ونظرًا للمتغيرات التي نعيشها في العالم بشكل عام- هي حاجة الإنسان إلى الأمن التي عليها سيبنى ما تبقى من عناصر أخرى رئيسة (خصوصًا حاجات التقدير).

فمن دون الأمن فإن حياة الإنسان تتدمر، وإن الافتقار إلى هذه الحاجة يولد في الإنسان الخوف الشديد، ويتطور هذا الخوف لحالة فزع من المستقبل (وهذا التحليل متعلق بطبيعة الإنسان بشكل عام ودون تحديد موقعه الجغرافي أو انتمائه العقائدي). وبالطبع، فإن القلق المتزايد والمستمر يجعل الإنسان يعيش حياة غير سوية. وعليه وانطلاقًا من هرم ماسلو فيما يتعلق بتركيزنا على جانب الأمن، نستطيع أن نتوسع ونسأل سؤالًا كبيرًا وضبابيًّا ولا نستطيع تجاهله ويجعلنا نعيش دائمًا في خوف مستمر على الواقع العام في البلدان العربية وبعيد عن وجودنا نحن، وهو: ما هو مستقبل أبنائنا؟

ويبدو واضحًا ومن خلال المشاهدات اليومية، كم هي المعاناة جرّاء غياب حاجات الأمن في الوقت الحاضر والخوف من المستقبل!. لهذا أقول: «من المستحيل أن يصل الإنسان لتحقيق الذات وهو يفتقر للأمن ويعيش في حالة خوف مستمر».



كلمة مختصرة في نهاية اللقاء؟

محمد المحروس: إن الإنسـان الناجح هو الذي لا يستسلم بمجرد اصطدامه بعقبة توضع في طريقه، ولا يوجد للإنسـان مبرر يجعلـه يصل إلى مرحلة الاستسـلام. فالإنسـان الناجـح هو الذي لا يستسـلم ويكافح من أجل الوصول إلى هدفه. وكما قلنا سـابقًا ونؤكد عليه مرة أخرى، لا بد من الالتفاف حول الهدف وبالوسائل المتاحـة حتى لو طالـت الفترة الزمنية (خصوصاً إذا ما كانت هناك خطة موضوعة).

فإذا كان هدف الإنسان أن يصل إلى النقطة «أ»، فيجب عليه لزامًـا أن يضـع أمامه الخيـارات المختلفة التي تـؤدي به للوصول للنقطـة «أ»، وحينمـا يتعثر الوصول للنقطة «أ» عـن الطريق الخيار الأول فـإن الخيـار الثانـي لا بد وأن يكـون جاهزًا أمامـه للتطبيق، حيـث يُعتبـر هـذا المنهج فـي التعامل هـو منهج العقـلاء الحياتي الواقعي والمثمر.

وفيما لو سلك الإنسان الخيار الثاني حسب تحليلنا العلوي للإجابـة، فقـد يكـون ذلـك الخيار أطـول مسـافة وأكثـر صعوبة، ولكن طول المسـافة وازدياد الصعوبة تشـعر الإنسان المغامر بلذة الوصول وحلاوة النتائج!

وأخيرًا وليس آخرًا، أقول لجميع أبناء بلدي من الذين يسعون لتقديم كل ما هو صالح في منطقتنا بأننا لا بد وأن نلتف بعضنا حول بعض، وألّا نتردد في الاجتماع بعضنا ببعض لنتدارس كل ما هو مفيد لنا وللأجيال القادمة إن شاء الله.





٣

الباحث الدكتور

جعفر آل توفيق



الباحث الدكتور جعفر آل توفيق[1]

«إن لم تَزِدْ شـيئًا علـى الدنيا،
كنْتَ أنتَ زائدًا على الدنيا».

مصطفى الرافعي

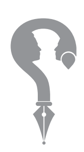
لقد أتاحت لنا هذه التجارب التي ذكرت في هذا الفصل من هذا الكتاب، إمكانية السـعي للوصول إلى الهـدف الذي يرنو إليه أولئك الباحثون والمكتشفون والعلماء.

لـم يكن فـي التجربتيـن اللتيـن رويتهما في هـذا الفصل أية ألغـاز تحتـاج إلـى حل كما فعـل نيوتن بلغـز النظام الشمسـي، أو غرابة يُصدم لها العقل، إن التجربتين وهذه التجربة تجارب واقعية حصلت أمام أعيننا.

أمـا الآن، فسـنرحل إلـى تجربـة أحـد الأطبـاء البارزين في

(١) نشرت في مجلة الخط، العدد الثاني عشر - ربيع الأول ١٤٣٣هـ.

المملكة العربية السعودية، وسنرى من خلال هذه التجربة ذلك الطموح الإنساني الذي يبعث في النفس الجمال الذي لا يشعر به إلا هؤلاء الذين أخذوا العهد على أنفسهم أن يحققوا هدفهم في هذه الحياة.



- **حبذا لو تكلمت لنا قليلًا عن نفسك؟**

جعفر آل توفيق: جعفر علي آل توفيق، من مواليد بلدة القديح بمحافظة القطيف عام ١٣٨٥هـ، وقد تعلمت شغف العلم والبحث العلمي من والدي الخطيب الملا علي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ حيث إنه كان من الخطباء المبرزين بالإضافة إلى كونه من رواد التعليم قبل وجود المدارس الحكومية.

درست المرحلتين الابتدائية والمتوسطة في القديح، وبعد ذلك أكملت المرحلة الثانوية بثانوية القطيف عام ١٤٠٤هـ، ومن الأوائل على مستوى المنطقة الشرقية، التحقت بعد التخرج بكلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك فيصل بالدمام فأكملت مرحلة البكالوريوس مع مرتبة الشرف وحظيت بجائزة الأمير محمد بن فهد للتفوق العلمي.

بعد ذلك أكملت سنة الامتياز في مستشفى أرامكو السعودية بالظهران متنقلًا في عدة أقسام: الباطنية، الجراحة، الأطفال، وقسم النساء والولادة.

ونظـرًا لحبـي الشـديد فـي إكمـال الدراسـة فقـد أنهيـت الامتحانـات المؤهلـة للالتحاق بالجامعـات الأمريكية والكندية. وقد اجتزت هذه الامتحانات أثناء الدراسة وعادة يتم التحضير لها لمدة تقارب السـنة بعد إكمال الدراسة الجامعية، وبالتالي أعطاني هـذا النجاح تخطي فترة الإعداد للامتحانـات وفتح أبواب أخرى من الناحية المعرفية.

بعـد ذلـك التحقـت بجامعـة إنديانـا بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة وأكملـت تخصـص الطـب الباطـن، ومـن ثـم الزمالة الأمريكية في علم الأمراض المعدية والسارية والحميات.

بالإضافـة إلـى شـهادة طـب المناطـق الاسـتوائية والصحة العامة، وكذلك زميل الكلية الأمريكية لأمراض الصدر.



لماذا اخترت الطب؟

جعفر آل توفيق: جاء في كتاب البحار، هذا الحديث المروي عن الرسـول ﷺ: «العلم علمـان: علم الأديان وعلم الأبدان»، لقـد تولـدت رغبتـي في دراسـة الطـب عندمـا كنت فـي المرحلة الثانويـة، وقـد اختـرت هـذه المهنة علـى صعوبتها وتعبهـا؛ لأني وجدت فيها خدمة إنسانية أقدم فيها العناية والاهتمام بالإنسان بما هو إنسان «أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق».



- **ما الذي كنت شَغِفًا به في صغرك؟**

جعفر آل توفيق: كنت شغفًا بقراءة كتب التاريخ والأدب والشعر، وأنا أحفظ الكثير من القصائد الشعرية، والأمر اللافت لنظر زملائي في المرحلة الثانوية أنهم كانوا يدهشون من ضلاعتي في اللغة العربية والنحو بشكل خاص، مع أن دراستي كانت مرتكزة على دراسة العلوم الطبيعية، ولعل هذا من المفارقات.



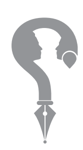
- **وماذا عن بحوثك في مجال الطب؟**

جعفر آل توفيق: بحمد الله نشرت بحوثًا كثيرة في مجلات عالمية، ومن أهم هذه البحوث عندما كنت في السنة الأخيرة بجامعة أنديانا، بحثًا بعنوان (البكتيريا ناقصة مستقبلات الهيموغلوبين، وهي بكتيريا غير فاعلة في النموذج التجريبي لحالات العدوى البشري)، وقد حاز هذا البحث على المركز الأول في البحوث الطبية على مستوى جميع الأطباء الموجودين في الجامعة، ونشر في مجلة علم الأمراض المعدية، ويهدف هذا البحث إلى تعرف جين مهم في البكتريا، وبالتالي إلى إيجاد لقاحات علاجية.

كما نشرت الكثير من الأبحاث في مجلات عالمية مختلفة، ونتيجة هذه الأبحاث حصلت على جوائز عديدة من شركة أرامكو السعودية.

إضافة لذلك، في عام ٢٠١٠م، ضمن فعاليات جائزة كليات الغد الدولية للعلوم الصحية، لرواد الإبداع الطبي، تم اختياري من ضمن أفضل عشرة أطباء على مستوى المملكة في نطاق الأبحاث.

وهـذه الأبحاث التـي تربو على ٧٠ بحثًا علميًا منشـورة في العديد من المجلات الطبية المحلية والإقليمية والعالمية، وإحدى نتائج هذه البحوث أني أعمل مستشارًا لمنظمة الصحة العالمية.



- **الجامعـات التـي تنصـح بهـا، لمـن يرغـب بدراسة الطب؟**

جعفر آل توفيق: يجب على الطالب أن يختار الجامعة بدقة، فليس كل جامعة في الخارج هي جامعة ممتازة كما يعتقد البعض، فالجامعات تتفاوت في مستواها.

إن مـا يميز الدراسـة في الخارج هو الحصـول على خبرات متعددة واتسـاع في النظرة المعرفية، بالإضافة إلى وجود خيارات كثيرة بعد التخرج. من جهة أخرى، فإن الدراسة داخل البلد يعطي الطبيب فرصة تعرف الأمراض المنتشرة في البلد.

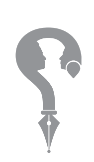


- **ماذا عن مستقبل الطب في الوطن العربي؟**

جعفر آل توفيق: نرجو في المستقبل القريب أن يتطور الطب

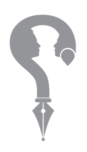
في الوطن العربي حتى ينافس أعلى الجامعات العالمية، وهناك كفاءات لا نقلل من شأنها، درست في الخارج في أرقى الجامعات ورجعت للبلد، ولا غرابة إذا قلنا: إن بعض هذه الكفاءات استطاعت علاج بعض الحالات التي لم تستفد من ذهابها إلى الخارج، فهناك مفهوم خاطئ أن العلاج في الخارج أفضل دائمًا من العلاج داخل المملكة، وهذا المفهوم ليس صحيحًا دائمًا.

- **المستشفيات الأهلية يغلب عليها النظرة التجارية بدلًا من أن يكون هدفها تقديم خدمة إنسانية؟**

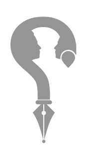


جعفر آل توفيق: الطب هو خدمة إنسانية، فينبغي لجميع العاملين في هذا القطاع أن يجعلوا هدفهم الأسمى خدمة الإنسانية وإزالة معاناة المرضى.

- **لماذا المستشفيات الأهلية تقدم خدمات أفضل من المستشفيات الحكومية؟**



جعفر آل توفيق: الأخطاء الشائعة أن من يدفع مبلغًا يحصل على خدمة أفضل، والحال أن الخدمة الطبية تعتمد على كفاءة العاملين في هذا المنشأ الصحي أو ذاك.

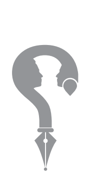


- **ماذا تمثل الصحة بالنسبة للإنسان؟**

جعفر آل توفيق: روي عن الإمام علي عليه السلام: «نعمتان مجهولتان: الصحة والأمان»، فإذا فقد الإنسان نعمة الصحة فإنه لا يستمتع بأي شيءٍ من ملذات الدنيا، فالصحة هي أغلى ما يملكه الإنسان، وهي التي تعطي قيمة لجميع ملذات الحياة، يقول بشار بن برد في هذا العنوان:

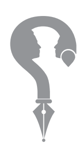
إنِّي وإن كان جمع المال يعجبني
فليس يعدل عندي صحَّة الجسد
في المال زينٌ وفي الأولاد مكرمةٌ
والسُّقم ينسيك ذكر المال والولد

- **سأنتقل معك إلى مسألة حول هؤلاء المرضى الفقراء الذين لا يستطيعون أن يحصلوا على علاجهم -كزراعة كُليَة مثلًا- كيف نساعدهم؟**



جعفر آل توفيق: على جميع أفراد المجتمع، من رجال الأعمال، أهل الخير، الجمعيات الخيرية، وكل من يستطيع أن يسهم في علاج المرضى، أن يقف معهم والمساعدة على نقلهم من منطقة المرض إلى الصحة، فالمريض هو جزء من المجتمع،

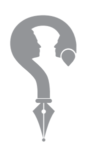
روي عـن الرسـول الأعظـم ﷺ: «مثـل المؤمنيـن فـي توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسـد إذا اشـتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».



تعليقك على هرم ماسلو للحاجات؟

جعفـر آل توفيـق: تـدرّج الحاجات هـي نظرية فلسـفية قال بها أبراهام ماسـلو، وعندما نتأمل في هرم ماسـلو للحاجات نجده هرمًا منطقيًا وواقعيًا يسـعى من خلاله الإنسان إلى تحقيق الذات، فالإنسـان إذا أحسّ بالحاجة لأشـياء معينة فإنه يسعى لتحقيق هذه الاحتياجـات. تتـدرج الاحتياجات من الحاجات الأساسـية لبقاء الفرد من إشـباع الرغبات والحاجات الفسـيولوجية، ثم الأمن، ثم الاجتماعيات، ثم التقدير قبل أن يصل إلى تحقيق الذات.

وهـذا الهرم منطقـي، ولكن هناك بعض الأشـخاص من قد يتجاوز بعض هذه الأمور كالتقدير من الآخرين إلى تقدير الذات.



عوامل النجـاح كما يراها الدكتـور جعفر آل توفيق؟

جعفـر آل توفيق: هناك عوامل كثيـرة للوصول إلى النجاح، ومـن أهـم هـذه العوامـل: السـعي، والتضحيـة سـواء بالوقت أو

المال أو الأمور الاجتماعية، الطموح والمثابرة، ويجب أن يكون الطموح مستمرًا ولا يتوقف عند حدٍّ معيّن، كما على الإنسان الناجح أن يتجاوز العقبات التي تعترض طريقه ولا يجعلها سببًا في عدم الوصول إلى الهدف الذي يسعى إليه، فهذا أديسون أجرى ألف تجربة فاشلة قبل الحصول على مصباح حقيقي، وقال كلمته: (أجريت ألف تجربة فاشلة قبل الحصول على مصباح حقيقي)، فالإنسان الذي يتعلم من تجاربه بلا شك إنسان ناجح، فالتجربة التي تقربك من الهدف ليست تجربة فاشلة وليست مضيعة للوقت، والواقع بالضبط أن أديسون لم يفشل بل نجح، ويتجلى هذا النجاح بأنه عرف ٩٩٩ طريقة لا تؤدي إلى الهدف المنشود!-، فالإنسان الذي يتعلم من تجاربه بلا شك إنسان ناجح.

الإنسان يجب عليه أن يطور في تجاربه وأن يفيد منها، وإذا حصل على نتائج مخيبة للآمال فعليه أن يبحث عن الخطأ في تجربته، فالمنطق يخبرنا أننا عندما نفعل نفس الشيء فلن نحصل على نتائج مغايرة، وقد قال أينشتاين: (الجنون: أن نفعل الشيء نفسه مرة بعد أخرى ونتوقع نتائج مختلفة).

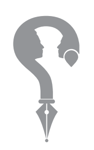


- **هل تشعر أنك حققت هدفًا في هذه الحياة؟**

جعفر آل توفيق: بكل ثقة ومن دون تردد حققت هدفًا ونجاحًا في حياتي، وهناك لا شك أهداف أخرى أسعى لتحقيقها،

إذ ليس علينا أن نقف عند حدٍّ معيّن في العلم: فالعلم لا يقف.

وإذا كانت النفوسُ كبارًا
تعبت في مرادها الأجسامُ



- **هل تشعر بسعادة تجاه ما تقوم به، ولو رجع بك الزمن إلى الوراء فهل ستختار نفس الدور الذي أنت فيه؟**

جعفر آل توفيق: سأختار نفس الدور وسأكون طبيبًا، وأنا أشعر بسعادة كبيرة من وظيفتي كطبيب يخدم بني جنسه ويقدم العلاج والأمل، ولا أمانع من تقديم نصائح طبية من خلال الهاتف. إضافة إلى عملي كمقيِّم للمقالات الطبية والأبحاث قبل نشرها في الكثير من المجلات الطبية حول العالم، كما أعمل في اللجنة العالمية لتقييم المستشفيات حول العالم، وأنا أشعر بسعادة كبيرة تجاه ما أقوم به. كما أني أتجه في تحقيق المزيد من الأبحاث في مجالات الأمراض المعدية ومقاومة البكتيريا للمضادات الحيوية وكذلك أمراض الحج.



- **كلمة أخيرة في نهاية اللقاء؟**

جعفر آل توفيق: لا شك أن الإنسان يصاب بإحباط في فترات معينة في حياته، ولا بد من وجود عقبات تعرقل الوصول

إلـى هدفـه، والواجـب على الإنسـان أن يقفـز فوق هـذه العقبات ويتحـرَّر منها بالانطلاق إلى الأمام، ولو فتشـت في جميع قصص الناجحيـن لرأيـت أنهـم لم يصلوا إلى مـا وصلوا إليـه، إلا بعد أن تجاوزوا العقبات والمعوقات، ولو أنهم استسلموا لما وصلوا إلى أهدافهـم، فالنجاح ليس سـهلًا كما يتصور البعـض بل يحتاج إلى كدح وتعب، وأنا شاكر ومقدّر لكم هذا اللقاء.



القسم الثاني

المفكرون والباحثون والكتّاب

- علي آل موسى
- عبدالخالق الجنبي
- عبدالله اليوسف




٤
المفكر الشيخ
علي آل موسى



المفكر الشيخ علي آل موسى[1]

«يَا كُمَيْلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ المَالَ. وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ».

علي بن أبي طالب عليه السلام

الشيخ علي آل موسى من مواليد العوامية بمحافظة القطيف، واحد من النماذج النادرة التي جمعت بين الدراسة الحوزوية والأكاديمية. وقد ظلّ مخلصًا لطموحه في المجالين؛ لذلك حقق نجاحًا في الحقلين، إذ بالرغم من تخرجه من الجامعة والتحاقه بوظيفة في سلك التعليم بالقرب من منزله، إلا أنه شدّ الرحال إلى الرياض للالتحاق بجامعة الملك سعود والحصول على درجة الماجستير.

(١) نشرت في مجلة الخط، العدد السابع-شوال ١٤٣٢هـ.

ولم تكن مثل هذه النتائج التي أنجزها مفاجئة حقًّا لمن عرفه عن كثب، فرجل مثل الشيخ الموسى كان عنده طموح كبير ولم يعرف الكسل في حياته أبدًا، وكان يضحي بماله ووقته ويضطر أحيانًا للتضحية بما هو أكثر من ذلك، كل هذا كي يتعلم أشياء في مختلف العلوم، ويلقي محاضرات في جميع الحقول، متنقلاً من مكان لآخر.

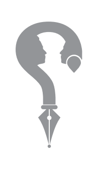
وبالرغم من حياة الكفاح للموسى في ظلّ ومعاناة الغربة لأكثر من عشر سنوات، وانشغالاته الكثيرة، فقد قدم للمكتبة العربية كتبًا قيمة نحتها بفكره، وهي ستبقى ما بقي البشر على وجه الأرض، فلا يوجد شيء يخلد الإنسان أجمل من العلم، فهنيئًا لك هذا الخلود. أترككم مع هذه المقابلة في رحلة ممتعة.



- **هلّا حدثتنا باختصار عن سيرتك الدراسية الأولى؟**

علي آل موسى: ولدتُ في مدينة العوامية بمحافظة القطيف في ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، وفيها درستُ الابتدائية والمتوسطة، وأول ثانوي، وفي ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م خرجتُ للدراسة الدينية، فمكثتُ في إيران ثلاث سنوات (١٤٠٧-١٤١٠هـ)، (١٩٨٧-١٩٩٠م)، وأكملت دراستي الحوزوية في سورية التي بقيت بها خمس سنوات (١٤١١-١٤١٦هـ)، (١٩٩١-١٩٩٦م)، ثم رجعت إلى القطيف، فأكملت الثانوية في تاروت، وأزمعت

بعدها على الدراسة الجامعية، فشددت الرحال إلى جامعة الملك فيصل بالأحساء، وبقيت فيها بين (١٤١٨- ١٤٢٢هـ)، (١٩٩٨- ٢٠٠٢م)، وحصلت على بكالريوس في التربية، تخصص لغة عربية، بتقدير ممتاز، وبدءًا من تخرجي في هذه السنة التحقت بسلك التعليم العام، ثم سعيت للجمع بين التدريس العام ومواصلة الدراسة الأكاديمية، فالتحقت بجامعة الملك سعود بالرياض؛ لدراسة الماجستير، وفي عام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م مُنحت درجة الماجستير في النقد الأدبي الحديث بتقدير ممتاز.

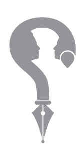


- **هل يوجد أساتذة تأثر بهم الموسى في دراسته بنوعيها؟ وهل يصنف نفسه ضمن دائرة مدرسة فكرية معينة؟!**

علي آل موسى: هناك قلة من الأساتذة تأثرت بهم في نوعي الدراسة الدينية والأكاديمية، وعلى رأس الذين تأثرت بهم في الحوزة تنتصب قامة المرحوم الشيخ عبد اللطيف الشبيب، والشيخ فوزي آل سيف، والشيخ شاكر الناصر، والشيخ علي الناصر. وفي حقبة البكالوريوس تأثرت بالدكتور إبراهيم الحاوي، والدكتور تامر سلوم، والدكتور خالد سليمان فليفل، وفي الماجستير تأثرت بالدكتور عبد الله الغذامي، والدكتور معجب الزهراني.

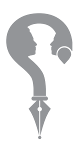
وأما فيما يتعلق بالمدرسة الفكرية، فأنا لا أصنّف نفسي

ضمن مدرسة فكرية واحدة؛ لأنّي متأثر بمجموعة من المدارس، وأرى بأنّ العطر موزع على الزهور، ولا تحتكره زهرة واحدة.



- **ما أثر تجربة الغربة في نحت فكر الموسى؟**

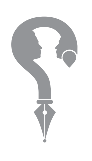
علي آل موسى: تعلمتُ من الغربة الجدّ في طلب العلم والمعرفة، والعمق في بناء الفكرة، والانفتاح المعرفي، والاطّلاع على فكر الذات وفكر الآخر المختلف معًا ووعيهما، وأخذ الحكمة أنّى كانت، والاستفادة من الأسلوب المنهجي للآخر، حتى مع الاختلاف الفكري معه، وضرورة خلق قنوات تواصل فكري وعملي، وضرورة وجود أكثر من طريق تأسيسي في تشكيل الفكر وأسلوب العرض والإقناع.



- **عرف الموسى بكتاباته العلمية، فمتى بدأت التجربة القلمية للموسى؟**

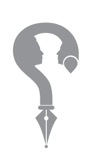
علي آل موسى: بدأت الكتابة وأنا في البلاد، قبل الخروج للدراسة الدينية، فكنت أهتم بمادة التعبير في المدرسة، وأخرج مع ابن خالي أحمد المشيخص الصحف الحائطية منذ مرحلة الدراسة المتوسطة، والإسهام في الصحيفة الحائطية في مسجد الرسول الأعظم بالعوامية.

ثـم تكثف ذلك فـي حوزة الإمام القائم (عج) فـي إيران والتي كانـت الكتابـة مادة دراسـية إلزامية فيهـا، وكانت تحفـل بغيث هتان من المسـابقات الكتابية على مدار السـنة والمناسبات، وقد حرصت -باهتمـام بالـغ- على المشـاركة في أكثرهـا. أما أول ما نُشـر لي في مجلة رسمية، هي مجلة (الشهيد) في إيران سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.



- **بعد ما قضى الموسـى فترة طويلة في الدراسة الدينية، رجع للجلوس على مقاعد الدراسـة الأكاديمية! أمر يثير التساؤل. لماذا؟**

علي آل موسـى: باختصار: لأنّي أؤمن أنّ المعالجة الفكرية للقضايا يفضّل أن تعتمد على الحقلين العلمي والديني معًا، وأنّهما جناحا طائر واحد، يستطيع بهما أن يحلّق في سماء الفكر.



- **مـا مميـزات وسـلبيات كلّ مـن الدراسـتين: الدراسـة الدينيـة (الحوزويـة)، والدراسـة الأكاديمية الجامعية؟!**

علـي آل موسـى: أعتقد أنّ أهمّ مميزات الدراسـة الحوزوية هـي الربانية، وأنّ الدارس فيها يشـعر أنّه يـدرس (الدين)، ويظلله الإحسـاس باللـه ومراقبـة المعصـوم، وأنّ فهمـه لمـا يـدرس (مسـؤولية) يأتي بعدها حمـل وأداء (الرسـالة)، وإلى جانب هذه

الميزة هناك مميزات أخرى، مثل: العمق، والشمول والسعة.

وفـي المقابل فـإنّ أهـمّ ميزة فـي الجامعة في نظـري، هي: المنهجيـة، ومعهـا سـمات أخـرى، مثـل: المعاصـرة والحداثـة، والجدة، والحركة والحيوية، وتنوع أسلوب المعالجة، والاستفادة من العلوم الحديثة.

ذاك فـي جانب الإيجابيات والمميزات، أما عن السـلبيات، فمن سـلبيات الحوزة: أنّ الدراسـة فيها تعكف علـى المتون التي صيـغ كثير منهـا بلغة مضغوطـة ذات احتمالات كثيـرة ـ وأحيانًا ـ متباينـة، ومن ثمّ فهي تركز على الدراسـة اللفظيـة (فكّ العبارات) أكثر مما تسعى لاستلهام المحتوى المعرفي والنظرية والمضمون، وبالإضافـة لذلـك، فكتبها ومناهجهـا قديمة، ولـم تُكتـب ـ أصلاً ـ للدراسـة، ولـم تسـع الحـوزة في كثير من مفاصلهـا وعلى امتداد زمانهـا لتقديـم مناهج جديـدة أو مطـورة، وبلغة علميـة واضحة، وهاتان السـلبيتان (دراسة المتون، والقدم) أنشأتا سلبيات أخرى، منها: طول زمن الدراسـة التي غالبًا ما تنوف عن العشرين سنة قبل نيـل الاجتهاد الذي هو قليل نسـبيًّا فـي الحوزة، والاسـتغراق في الدراسـة النظرية، والعيش في الواقـع الافتراضي بديلاً عن الواقع الاجتماعـي، وسـيطرة الدراسـة الحوزوية على الجهـد بديلاً عن الـدور الاجتماعـي والفكـري، فضلاً عن سـمة سـلبية مركزية في كثيـر من الحـوزات، هي: عـدم تدريـس العقائد والقـرآن الكريم

والحديث الشريف ونهج البلاغة والأخلاق والعرفان والعلوم الحديثة، وعدم الاهتمام بالعلوم الميدانية والتطبيق الميداني لها، وتكثف الدراسة في ثلاثة جوانب فقط، هي: اللغة، والأصول، والفقه، وحصر الدرس اللغوي في النحو والصرف، دون دراسة فقه اللغة، وعلم الدلالة، ومناهج فهم النصّ. وينبغي أن لا ننسى أنّ الأمر نسبي يختلف من حوزة إلى أخرى، ومن زمان إلى آخر.

أما عن سلبيات الدراسة الجامعية، فمنها: السطحية، والاجتزاء، وضعف القدرة على التأهيل العلمي؛ مما يؤدي إلى ضعف المخرجات العلمية.

- **من وجهة نظرك: هل الدراسة الأكاديمية في الوقت الراهن مهمة لرجل الدين؛ ليقوم بدوره بشكل أفضل، مع أنّنا نلاحظ أنّ رجال الدين البارزين في المجتمع لم يواصلوا دراستهم الأكاديمية؟**



علي آل موسى: أعتقد أنّ الجمع بين نوعيّ الدراسة أجدى لعالم الدين؛ ليجمع في داخله بين طريقة التعاطي الديني الشرعي، وطريقة التعاطي العلمي المعرفي للقضايا، فالتعاطي الديني يؤسس أفكاره ونتائجه -غالبًا- على النصّ والعقل والعرف وبناء العقلاء والسيرة الاجتماعية، بينما يدعم التعاطي المعرفي نتائجه بوسائل

علميـة إجرائية، مثـل: الملاحظة والمقابلة والتجربة والاسـتبيان، وغيـر ذلك، ولو دعم العالم تأسيسـه الدينـي بمعطيات ومؤيدات علميـة لـكان أقنع للناس، فلو أراد -مثـلًا- أن يتحدث عن وخامة الطلاق فأمامه آيات وأحاديث عظيمة في ذلك إلى جانب دراسات اجتماعية مسـحية فيها الكثير من الإحصائيات الحاكية بمعمق عن تلك الوخامة!!



- **للملتقيـات الأدبيـة الثقافيـة الفكرية، حضور بارز فـي المجتمـع القطيفـي ككلّ، والزاوية الحرجة تتجه لـ (ملتقى سحر البيان الكتابي) الموجـود الغائـب عـن السـاحة الفكريـة والأدبيـة، متى، وكيف وجد؟، ولماذا نشـأ؟، وأيـن إصداراتـه؟!، أيـن دوراتـه؟!، أيـن محاضراته؟!، أين رواده؟!**

علي آل موسـى: نشـأ (ملتقى سـحر البيان الكتابي) في عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م باجتماع مجموعة من ذوي الاهتمام المعرفي والكتابـي، وكان يهـدف لأمـور كثيـرة، منهـا: تعلـم الكتابـة بكلّ فنونهـا، وتذوق الإنتاج الأدبي، وفهم النصوص ونقدها، والبحث المنهجي في المصادر، والاهتمام بالأدب والفكر والثقافة: إنتاجًا وتداولاً، وبناء جيل من المهتمين بالأدب والفكر والكتابة، ونشـر

مهارة الكتابة في المجتمع، ونشر الكتابات المتميّزة.

أما إصداراته، فقد أصدر مجلة باسم (سحر البيان) (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ولكنّها توقفت، وأصدر كتاب (التدبر الموضوعي: قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ولديه في الطريق كتابان، أحدهما عن الفنون الكتابية، والآخر عن آداب الصلاة للشيخ الشبيب.

وأما دوراته، فكان يحرص على إقامة دورات بين مدة وأخرى، وأقام ما يقارب من أربع دورات كتابية (فنون الكتابة)، ودورتين في التدبر الموضعي، وثلاث دورات في التدبر الموضوعي.

وأما محاضراته، فهي تكاد تكون بشكل أسبوعي في يوم الجمعة، لكنّها -غالبًا- مغلقة على أعضائه.

أما روّاده، فمنهم (بلال آل زايد، وعبد العزيز آل زايد، وعبد الله الغاوي، وعماد اللباد، ومحمد آل زايد، ومحمد أبو عبد الله)، وهم يحتلون مكانة جيّدة في الكتابة الفكرية والأدب الساخر والقصة الأقصوصة والرواية، ولهم بعض الإصدارات على شكل كتب أو مقالات في مجلات أو مواقع إليكترونية، لكنّ الحقيقة أنّ نتاج الملتقى ليس بالمستوى الموازي لإعداده الفكري وكثافة الطرح الداخلي فيه، بل هو أقلّ بكثير!!

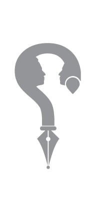


- **ما هي الطموحات المستقبلية للملتقى؟ وما هي الطموحات المستقبلية لذات الموسى؟ وإلى أين؟**

علي آل موسى: طموحاتنا في الملتقى أن نرسي الفكر العميق والكتابة المنهجية العميقة في المجتمع، وبناء جيل واعٍ واعد.

أما طموحاتي، فإن كان المقصود طموحاتي للملتقى، فأتمنى أن يشقّ طريقه في سماء الفكر الممنهج العميق والكتابة، وتكثف الدور الاجتماعي للملتقى، وأن يسعى روّاده لنشر نتاجهم وتجاوز الشفوية والمحلية.

وإن كان المقصود طموحاتي العامة في حياتي، فأتمنى أن يأخذ الله بيدي للعلم الديني والأكاديمي، وأن أوفق لنشر كتبي ودراساتي، والإسهام الفعّال في خدمة المجتمع.



- **هل نستطيع اعتبار كتبك المطبوعة (ثقافة الإسلام وثقافة المسلمين)، و(شعرية القلق عند بدر شاكر السياب)، و(التدبر الموضوعي في القرآن الكريم) مشروعًا فكريًا متكاملاً؟! أم خيوطًا متفرقة؟**

علي آل موسى: قال لي أحدهم: إنّه يعتقد أنّها مشروع واحد، يسعى كتابه الأول للتأسيس الفكري والثقافي لطريقة التعاطي مع

النـصّ والواقع، ويسـعى كتابه الثانـي لبيان طريقـة حديثة منهجية لتناول النصّ الأدبي، ويسعى كتابه الثالث لتقديم طريقة لاستيحاء الموضوعات من القرآن الكريم، فهي سعي لتقديم (منهج) للفكر، وآخـر لـلأدب، وثالث للدراسـة القرآنيـة. وأنا آمل ذلـك، ولكنّي مقتنع أنّه مجرّد حسـن ظنّ، وأنّ الكتـب الثلاثة المذكورة جاء كلّ منهـا بمعـزل عن الآخـر، وعن النظـرة الكلية الموحـدة، وإن كان السعي للتأسيس المنهجي هاجسًا بارزًا فيها.



- **هـل توجـد للموسـى إنتاجيـات كتابيـة غير مطبوعة؟، وما هي إن وجدت؟**

علـي آل موسـى: لـديّ الكثير مـن النتـاج القرآنـي والفقهي والفكري والأدبي غير المنشـور إلى الآن على شكل كتاب مستقلّ، ومنه: (المجتمع في القرآن الكريم)، و(الثقافة الحية والثقافة الميتة: قراءة في النماذج والأشكال)، و(الجذور المؤسسة لمقولة الإرهاب الإسـلامي)، و(المرجعيـة الشـيعية: رؤيـة جديـدة)، ومجموعـة قصصيـة، ومقالات من الأدب السـاخر. لكنّ طريقتـي أن لا أجمّد إنتاجي حتى يظهر في كتاب مسـتقلّ، بل أبادر -أولاً بأول- لنشـره في مجلة، ومن ثم فكثير من نتاجي منشـور في كتب مشـتركة، مثل: (أفـكار هادفـة)، و(الوقـف)، و(أفئـدة وجراح)، ومجـلات، مثل: (البصائـر)، و(الكلمـة)، و(المعرفـة)، و(القـرآن نـور)، و(القلم)،

و(ريحانة) و(أريج) و(الكوثر)، وجرائد، مثل: (اليوم) و(السـفير)، و(القافلة)، ومطويات، مثل: (السراج) و(قناديل).



- **الدراسة القرآنية في كتاب (التدبر الموضوعي فـي القرآن الكريم) لم نشـاهد فيهـا تبنٍّ أخير لرأي يخلص له كرأي خاص بالموسـى، إلى أي مدى ترى صحة هذه العبارة؟!**

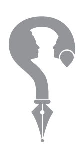
علي آل موسـى: ذكر هـذه المقولة أكثر من واحد في نقدهم للكتـاب، ويبدو إلى حدّ كبير أنّها مقولـة صحيحة وصادقة، ولعلّ الخطـأ يعـود إلى شـكل المعالجة التـي كانت تعتمد فـي كثير من الأحيان على تبني الفكرة لا بشـكل واضح ومباشر، وإنّما عبر نقد الأفكار المقابلة، أو متانة الأدلة المقدمة في فكرة ما..



- **الكثير يتحدث عن الغياب أو العزوف الأدبي الفكري الثقافي من قبل الموسـى، فما السـرّ وراء ذلك؟!**

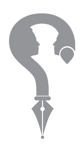
علي آل موسـى: ليس لديّ عزوف، فأنا أشـارك فـي الكثير من المجـلات والمنتديات والمناطق وغيرهـا..، أما في الجانب الفكري والثقافي فبيّن، وأما في الجانب الأدبي فقد ألقيت في العديد من مناطق القطيف، ونشـرت شـيئًا منـه في مجلة (المعرفة) ونشـرة (السـراج)،

وشـاركت ببعـض القصـص فـي الجامعـة، ولـديّ الآن مجموعتان: إحداهما من القصص القصيرة، والأخرى من الأدب السـاخر، أسـأل اللـه أن يجدا طريقهما إلى النور، لكنّ شـيئًا من غيابي -إذا وجد- قد يكون لكثافة الأشـغال علـيّ، ومحدودية الـدور الاجتماعي والثقافي المتاح، وشيء من غيابي الأدبي قد يكون لغلبة الطرح الفكري عليّ.



- **أين وجـد الموسـى البيئة الجيـدة التي تكفل معيشة منتجة لحياته القلمية؟!**

علي آل موسـى: أكثر موقع تفاعلت معه في النشـر هو مجلة (البصائر)؛ لأنّي أفضّل كتابة الدراسات القرآنية والفقهية والفكرية والثقافية، وكانت المجلة -مشكورة- تنشر ذلك.



- **بعبارات موجزة، نتمنى من المفكر والباحث الأدبي الإسلامي الشيخ الموسى أن يوجز لنا تعليقه على الأمور التالية:**

- **(السيّد جمال الدين الأفغاني):**

علـي آل موسـى: مثال للقائد الرائد المضحـي الذي لا يكلّ ولا يملّ، ولو طوّحت به الأسفار والأخطار.

- **تفسير في ظلال القرآن:**

علي آل موسى: تفسير تربوي اجتماعي حركي فتان وملهم،

صيغ بعبارات أدبية عذبة وخلابة وآسـرة، ربّما ضيعت الأفكار في بعض المناطق لتكاثف أغصانها.

- **النحو:**

علي آل موسـى: ضرورة ماسـة لفهم النصّ، وصيانة اللسان والقلم.

- **الطفل:**

علـي آل موسـى: ملك وديع مقدّس، أرسـله اللـه من عالمه ليعلِّم الناس الطهر والصفاء.

- **الأدب القطيفي:**

علي آل موسى: إبداع عميق وفريد، دسّه أهله قبل غيرهم في التراب، فلم يتجاوز المحلية، ولم يسبر أغوار العالمية والانتشار.

- **العلوم الطبيعية وعلاقتها بالقرآن:**

علي آل موسـى: أخـوان متطابقان يحكـي أحدهما الحقائق التكوينيـة في عالـم الطبيعة، ويحكي الآخر الحقائـق التدوينية في عالـم الوحـي والتشـريع، ويمثـلان جناحا طائـر واحد هو السـنة الإلهية.

- **الإلكترونيات:**

علي آل موسـى: عالـم من التقانـة يختصر الزمـن والجهد، وينبغي استثماره.

- **محمد عابد الجابري:**

علي آل موسى: مفكر جبار، أسهم في رفد الفكر العميق، ولكن.. أضرّت به المسبقات الفكرية، والنظرة التبعيضية المجتزأة، وعملية التوظيف الفكري، وتبني مناهج الغير وإعمالها على الذات والتراث، وعاد له شيء من الصحو في آخر حياته.

- **المنبر الحسيني:**

علي آل موسى: أداة سامية لمشافهة الجهور وإقناعه، حفظت العقيدة، وأسهمت في نشر الوعي والرشد الاجتماعي، لكنّها تحتاج إلى تطوير، وبعض أهلها غير مؤهلين، ولا يحملون رسالة تأخذ بيديها إلى سماء الرفعة والتأثير.

- **المنطق:**

علي آل موسى: (آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر)، وضرورة منهجية ترشّد عملية التفكير والاستدلال وعرض النتائج.





٥
الباحث التاريخي
عبد الخالق الجنبي



الباحث التاريخي عبد الخالق الجنبي

«أهم درس يمكن أن نستفيده من التاريخ، هو أن البشر لا يستفيدون كثيرًا من دروس التاريخ».

ألدوس هكسلي

لاعتقادي بأنه من الأفضل التنوع في هذا الكتاب، قمت باختيار أحد كتّاب التاريخ، وهو من ألمع علماء التاريخ في القطيف، فعندما نلقي نظرة على أبحاثه وتحقيقاته وكتبه نلحظ هذا الشيء بوضوح.

وتأييدًا للقيمة المهمة التي تحتلها كتبه عند القرّاء، نرى أن الكثير متعطش لاقتناء كتبه وقراءتها، وفي الواقع فإن الأستاذ الجنبي غني عن التعريف، ومن يجلس معه يصدم لتلك الموسوعة التاريخية التي يحويها.

وما زلت أذكر قبل سنتين، عندما زرته مع الصديق المهندس حسن الجشي، في منزله بالمحدود لإهدائه نسخة من كتابي الرسول ﷺ، جلسنا ساعة من الزمن نفيد من غزارة معلوماته التاريخية، وفي الحقيقة فإني دهشت عندما جلست معه لكثرة معلوماته التي لم أحتملها، وأظن أن صديقي كان كذلك.



- **بشكل موجز، نبذة بسيطة عن حياتك؟**

عبد الخالق الجنبي: ولدت في القديح عام ١٣٨٤هـ، درست المرحلة الابتدائية ثم المتوسطة وبعد ذلك الثانوية، وبعد تخرجي من الثانوية درست في جامعة الملك عبد العزيز بجدة مدة سنتين وخرجت منها لأسباب خاصة.

تعرضت لحادث سقوط في عام ١٣٩٠هـ، وكان عمري آنذاك ستّ سنوات، ونتيجة هذا الحادث بترت ساقي اليسرى، وأصبت بإعاقة وعمري ستّ سنوات.

التحقت بوظيفة حكومية عام ١٤١٥هـ، بمسمى (مدخل بيانات)، وتم ترسيمي عام ١٤١٧هـ، وأنا أعمل حاليًّا بمستشفى القطيف المركزي.

* * * *

- **ذكرتني بعلامة الفيزياء ستيفن هوكنج، قد أصيب بمرض العصب الحركي في فترة شبابه، ورغم ذلك فهو ألمع فيزيائي نظري في هذا القرن! ويذكر في قصة حياته أنه في أثناء وجوده في المستشفى شاهد صبيًّا بالقرب منه يموت بسرطان الدم، فكلما أصيب بالإحباط والأسى تذكر ذلك الصبي فكان نوعًا من العلاج له! وهذا بلا شك علاج جيد لمرض الإحباط، وقديمًا قالوا: (والجرحُ يُسكنُهُ الذي هو آلمُ)، إنني أقول: لا شك أن الإعاقة تجعل الإنسان يصاب بيأس وإحباط شديدين وخيبة أمل؛ لأنه يرى أنه لن يستطيع أن يحقق شيئًا في هذه الحياة، كيف استطعت أن تمنع نفسك من الإصابة بهذا المرض الخطير وهو مرض اليأس والإحباط وخيبة الأمل؟**



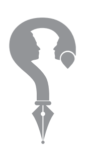
عبد الخالق الجنبي: أفضل علاج بالنسبة للإعاقة هو التعايش معها، فالحزن والهم والضجر لا تغير من الواقع شيئًا، ونتيجة إيماني بواقعية الحياة فأنا لست من أولئك الذين ينتظرون القفزات الدينية ويطلبون المعاجز والكرامات ويلجؤون إلى عالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا)؛ لأنني واقعي أنظر للحياة بواقعية.

- **الذين يعيشون في عالم الأحلام وينتظرون قوة خارقة تعالج مشاكلهم وأمراضهم وإعاقتهم، من خلال اللجوء إلى عالم ما وراء الطبيعة، وقد شاهدنا الكثير على القنوات الفضائية يتصرفون بلا عقلانية، كيف تنظر لهم؟**



عبد الخالق الجنبي: هذا الشيء عشته صغيرًا، وكانت جدتي -رحمها الله- تطلب مني التوسل كثيرًا لأجل ذلك بحسن نية، ولكن بعد أن توسعت مداركي اتخذت قرارًا بمقاومة إغراء الأحلام والأماني وأنه من الأفضل التعايش مع ما يصيب الإنسان من أمراض وإعاقات، إذا لم يستطع أن يغيرها بالأمور المادية لأن الناس غير الواقعيين هم الذين يلجؤون إلى الخوراق، أما العقلاء فيتعاملون مع الحياة بواقعية، فالإنسان من الأفضل له أن يعيش بالعقل؛ لأن اللجوء إلى مثل هذه الأمور مضيعة للوقت دون فائدة مرجوة منها، ولا يفهم من كلامي أنني أنكر الكرامات، لكن يجب عليّ أن أقول: إن الإنسان يجب عليه أن يعيش هذه الحياة بواقعية ويعوّد نفسه على ذلك، والواقعية يجب أن ننظر لها باحترام.

- **اشتهر الأستاذ الجنبي بولعه بالتاريخ، فمتى كان ذلك؟ ولماذا التاريخ دون غيره؟**



عبد الخالق الجنبي: شغفت بالتاريخ منذ الصغر، حيث

كانت جدتي لأبي الحاجة رضية بنت سلمان الجنبي -رحمها الله- تحكي لي قصصًا تاريخية وبالخصوص عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فتعلقت بشخصية الأمير عليه السلام وكنت أطلب منها أن تروي لي الكثير عن قصص شجاعته، وأحيانًا كانت تضمن تلك القصص بعض الأبيات الشعرية الجميلة والملحَّنة، فبدأت تزرع وتسقي بذرة حبّ التاريخ عندي وعمري آنذاك تسع سنوات، كما إنّ اهتماماتي لا تتعلق بالتاريخ وحده، فإلى جانب ذلك يوجد عندي اهتمامات بالأدب، فالأدب والتاريخ - من وجهة نظري - وجهان لعملة واحدة، فالأدب هو الذي خلّد التاريخ، والتاريخ هو الذي غذى الأدب.



- **مؤلفات الأستاذ الجنبي حول التاريخ، نتيجة منطقية لشغفه به، فما هي هذه المؤلفات؟**

عبد الخالق الجنبي: أول ما كتبته رسالة صغيرة عن الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي في عام ١٤٠٣هـ، ونشرت هذه الرسالة في مجلة رسالة المسجد، ونالت استحسان الكثير وفي الوقت نفسه نالت سخط الكثيرين، وهذا السخط نتيجة أنني في كتاباتي أبتعد عن الجوانب العاطفية، وأعتمد على الموضوعية ونشر الحقائق كما هي، فأنا أكتب التاريخ لأجل الحقيقة، وليس لإرضاء أحد.

في عام ١٤٠٥هـ، أخرجت بحثًا مختصرًا في نفس المجلة حول القبر المزعوم للنبي اليسع عليه السلام وهذه الرسالة بعنوان (قبر الآجام لمن)، وفيه أثبت أن القبر الموجود في الآجام ليس بقبر النبي اليسع عليه السلام، وقد تطور هذا البحث إلى كتاب يحمل العنوان نفسه.

ولكن كان أول عمل حقيقي لي هو العمل المشترك مع الأخوين الأستاذ عبد الغني عرفات والأستاذ علي البيك، وهو تحقيق (شرح ديوان ابن المقرب)، وهذا الديوان في اعتقادي هو الأهم حول تاريخ المنطقة، وقد خرج الديوان في طبعته الأولى في عام ٢٠٠٢م، ويقع في ثلاثة مجلدات، وأنا أعمل حاليًا على إخراجه في الطبعة الثانية في سبعة مجلدات ضخمة سوف ترى النور قريبًا بإذن الله.

وفي العام ٢٠٠٤م، كتبت كتابًا بعنوان (هجر وقصباتها الثلاث)، وهذا الكتاب يروي قصة اكتشاف الموقع الحالي الذي تقوم عليه مدينة هجر، ومدينة هجر مدينة عظيمة كان لها صدى كبير عند العرب في الشعر والأمثال، حتى إنه يوجد أربعة أمثال حول مدينة هجر هي: (كجالب التمرِ إلى هَجَر)، (هجر ونصف القوت)، (لا نار إن لم تورِ نارًا بهجر)، و(اصطي مجر ترطب هجر)، إضافة إلى كثرة ذكر الشعراء لها، ومن ذلك قول الفرزدق:

قد كان في هجر ونخل محلم
تمر للملتمس الطعام فقيرِ

وهذا يدل بكل تأكيد على أهمية هذه المدينة.

وبعد سنة من كتابي (هجر وقصباتها الثلاث)، تناولت الرد على شبهات طبعة (ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه)، الصادر عن مؤسسة البابطين بالكويت، وقد أسميته (جنايات مؤسسة البابطين على ديوان ابن المقرب)، تعرضت فيه بشكل أساس إلى ما فعلته مؤسسة جائزة البابطين من عمل غير أخلاقي معنا، حيث اتصلوا بنا لمعرفة ما يوجد عندنا من مخطوطات لديوان ابن المقرب، ووعدونا بجلب مخطوطات لم نتمكن من الحصول عليها بعد أن أخذوا منا عناوين وجودها في مكتبات العالم، وكنا نظن أن ذلك من باب خدمة العلم والباحثين، واتضح فيما بعد أنها مكيدة ومراوغة وهذا هو ما آلمني كثيرًا، فقد قاموا بتحصيل مخطوطة المكتبة الرضوية بمشهد والتي اتخذناها أصلًا لتحقيقنا، وأعطوها لكاتب من الأردن، وهو الدكتور أحمد الخطيب لتحقيقها، وكونهم مؤسسة ضخمة لديها القدرات المالية في حين إننا كنا مجرد ثلاثة أفراد نعمل بصفتنا الشخصية، ونموّل أنفسنا بأنفسنا، فقد استطاعوا أن يسبقونا إلى إخراج الديوان قبل خروج طبعتنا له، ومع أنني متأكد أن الدكتور أحمد الخطيب من الاستحالة عليه أن يكون قد حقق الديوان بمفرده نظرًا لقصر الفترة التي خرج فيها؛ بل إنني أعلم أنّ المؤسسة قد وضعت تحت يديه كادرًا من موظفي المؤسسة لمساعدته، ومع ذلك فقد جاء عمله كارثة عظيمة على

ديوان ابن المقرَّب، ولو أن الدكتور أحمد الخطيب أخرج الديوان كما ينبغي ما قلت فيه شيئًا ولرحبت بعمله، لكنه أساء إلى الديوان أكثر مما أحسن إليه، للأخطاء الكثيرة التي وقع فيها، وقد أحصيت عليه أخطاءً كثيرة تجاوزت المائة، وبعضها خطيرة جدًّا كإضافة أبيات كثيرة ليست له إلى الديوان، وحذف أبيات كثيرة أيضًا له، وكل ذلك أوضحته في هذا الكتاب.

بعد ذلك انشغلت بتأليف كتابي (جرة مدينة التجارة العالمية القديمة) حتى أخرجته، وقد طبع الكتاب عام ٢٠٠٩م، ويتحدث الكتاب بصفة عامة عن تاريخ المنطقة بحواضرها القطيف والأحساء والبحرين، ولكنه يخصّ مدينة أطلق عليها الكتاب الإغريق والرومان اسم (جرّه) أو (Gerra) تحدثوا عنها باهتمام كبير جدًّا، وقد أثبت في هذا الكتاب أنّ هذه المدينة هي ذاتها (هجر) مستخدمًا في ذلك أسلوبًا علميًّا موضوعيًّا.

أما كتابي (قبر الآجام)، فهو كما سبق وقلت عبارة عن تطوير لبحث لي قديم عن (قبر الآجام) المدّعى للنبي اليسع عليه السلام، وأخرجته في كتاب مستقل أثبت فيه أن هذا القبر الموجود في الآجام ليس بقبر النبي اليسع عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه إذا كان قبر نبي كما هو شائع، فهو لا بد أنْ يكون قبر نبي ذكر التاريخ أنه كان في القطيف، وهو رئاب بن البراء الشني من بني شن بن أفصى بن عبد القيس الذي كانت قبيلته عبد القيس تعتقد فيه أنه نبي كما ذكر الكلبي وابن

دريد، وأرجّح أن الرسـول محمـد ﷺ التقى برئاب في القطيف أثناء تجارته لخديجة عليها السلام في سـوق الزارة الشهير، وهناك رواية ذكرهـا شـارح الديـوان المقرَّبـي وابن عبد ربـه في العقـد الفريد، ودونتها في كتابي هذا، عن مجيء وفد عبد القيس إلى النبي ﷺ ليُسْـلِمُوا على يديه، وتقول الرواية إنه سـألهم عن رئاب، فأخبروه أنه توفي، وكانت ابنته معهم، فقالوا: هذه ابنته معنا، فقال الرسـول ﷺ: «هـذه بنـت نبي ضيعه قومه»، فإذا كان هـذا القبر الموجود فـي الآجام هو بالفعل قبـر نبي، فالمنطق يجبرنا أن نرجح كونه قبر رئاب بن البراء الشـني لا النبي اليسـع الـذي لا توجد ولا رواية أو شـبه رواية تقول إنه قد جاء إلى المنطقة مع العلم إنني قد ناقشـت في كتابي سـبب تسـمية القبر بقبر النبي اليسع بأسلوب علمي بعيد عن التعصب.

أمـا آخـر بحث طبع لي فكان في عـام ٢٠١٠م، وهو بعنوان (فحص علمي وتاريخي للبحث الموسوم بدراسة وبحث تاريخي اجتماعي حول نسـب أسـرة آل مبارك الصائـغ)، والمطبوع ضمن كتاب (أسرة ونسب) الذي أخرجه بعض أسرة آل النمر بالدمام ردًّا على ادعاء البعض الآخر من الأسرة أنهم ينتسبون إلى الإمام علي عليه السـلام، وقد ذكرت في بحثي هذا عدم صحة انتسـاب عائلة النمر إلى الرسول محمد ﷺ.

ويوجـد لـي العديد من الكتـب التي هي الآن فـي المطبعة،

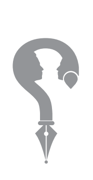
وسترى النور قريبًا – إن شاء الله – منها:

١- الديوان المصور لشعر ابن المقرب.

٢- جواثا تاريخ الصمود.

٣- القطيف وأسرها وقراها وقبائلها وشئونها في دفاتر الطابو العثمانية (قانون نامه لواء القطيف).

- **في كتابكم (قبر الآجام) تنفي كون القبر المزعوم في الآجام للنبي اليسع عليه السلام، فما هي الأدلة التي اعتمدها الأستاذ الجنبي في هذا النفي؟**



عبد الخالق الجنبي: الدليل الأقوى وليس الأوحد هو أنه لا يوجد دليل علمي واحد على أنه قبر النبي اليسع عليه السلام، وأما ما يتناقله الناس، فالناس يتناقلون الحق والباطل، إضافة لذلك فإنّ المعروف تاريخيًّا أن النبي اليسع عليه السلام مدفون في الشام، وهو من الأنبياء الذين بعثوا في تلك المنطقة، والقول بمجيئه إلى القطيف، فضلًا عن موته في واحة الآجام يراد له دليلٌ صحيح، وهو ما لا يوجد.

أما فيما يتعلق بما ذكره الشيخ فرج العمران–رحمه الله– في كتابه الأزهار، فهو قال: إنّ أهالي الآجام يذكرون ذلك عن آبائهم، ولم يذكر دليلهم على ذلك.

وأما بالنسبة لزيارة القطيفيين وغيرهم من سكان المنطقة له، فهو ليس بدليل لأنّ الناس في المنطقة لديهم ارتباط روحي عميق تجاه كل ما يمثل رمزًا لهذا الارتباط الروحي، ولا يعنيهم البحث عن صحة وجود هذا الرمز في بلدانهم من عدمه، ولهذا نراهم يهتمون في سبيل ذلك حتى لأمور ما أنزل الله بها من سلطان مثل ما يُعرف بـ(خطوة المهدي) أو (شجرة الدم)، ونحن نرى في بلدنا القطيف وكذلك في جزيرة أوال وواحة الأحساء، أن الناس يبيعون الغالي والنفيس من أجل زيارة العراق وإيران ورؤية المشاهد المقدسة، فلا شك أن وجود شيء كهذا في منطقتهم سيكون له وقعٌ كبير لديهم خصوصًا وأنهم قد يرون أنّ ذلك يعمل على ربط الناس ببعضهم البعض ويجعل لديهم مقدس روحي يلتفون حوله، والشيخ فرج العمران -رحمه الله- كان نافذَ البصيرة عالـمًا بهذا الجانب، وتخميني الشخصي أن الدافع الذي جعل الشيخ رحمه الله يشهر القبر ويحث على زيارته، هو ما يمثله هذا القبر من رابطة اجتماعية وقوة روحية يلتف حولها الأهالي وتبعث في نفوسهم الراحة والطمأنينة، وما المانع أن يأتي الناس لزيارة القبر ويجلسون هناك ويدعون إذا كان ذلك يجلب لهم الراحة والطمأنينة؟!؛ بل إنه لا يوجد لدي أي مانع فيما لو اعتقد الناس في هذا القبر أنه للنبي اليسع عليه السلام فيما بينهم أما إذا نظرنا إلى الأمر من وجهة نظر تاريخية، فالتاريخ له رأيٌ آخر يجب الإصغاء إليه.



- **حسنًا، إذا علمنا أن هـذا القبر ليس بقبر النبي اليسع عليه السلام، فهل من الصواب والنزاهة والأمانة أن يمارس الإنسان بعض الأعمال الخاطئة إذا كان يشعر أنها تجلب له الراحة والطمأنينة؟**

عبد الخالق الجنبي: بالطبع ليس من الصواب والنزاهة والأمانة أن يمارس الإنسان بعض الأعمال الخاطئة، ولكن إذا كان هذا الإنسانُ مُصرًّا على فعل هذا النوع من الأعمال الخاطئة بقصد أنها تجلب له الراحة والطمأنينة كما قلت، فلا يوجد لدي مشكلة في ذلك، فأنا باحثٌ في التاريخ، ولستُ مصلحًا اجتماعيًا؛ أقول رأيي بكل حرية، ولا أجبر الناس أن يعتقدوا ما أعتقده ولا أن يغيروا معتقداتهم.



- **شيء يدعو إلى التساؤل حقًّا، لماذا اعتقد الناس في هذا القبر أنه قبر النبي اليسع عليه السلام، وليس بنبي آخر، كسليمان أو أيوب أو إسحاق عليهم السلام؟**

عبد الخالق الجنبي: أنا مقتنع تمامًا أن هـذا القبر ليس بقبر النبي اليسع عليه السلام، وهذا التساؤل من المؤكد أنه سيثار، وأقول حول ذلك: كما أن اليسع اسم لنبي، إلا أن معانيه كثيرة ومن

ضمنها: السعة والواسع العلم، الحجة الأعظم، المرجع الأعظم، ومن خلال تتبعي وجدت أنه كان يوجد في المسيحية النصرانية النسطورية التي انتشرت في العراق وإيران وبلدان الخليج أكثر من راهب كبير كان يُدعى اليسع الجاثليق، بمعنى المرجع الواسع العلم أو العظيم، وكان من ضمنهم أسقفٌ كبير اسمه اليسع الجاثليق جاء إلى المنطقة، وذكرت ذلك سجلات مجمعات الكنيسة الشرقية النسطورية، وكان هذا الأسقف مرجعًا عظيمًا لأهل المنطقة، فهناك إمكانية كبرى ومحتملة أن يتسمى بعض علماء الكنيسة النسطورية في المنطقة بهذا الاسم، ولعل رئاب بن البراء الذي أرى أنه قد يكون صاحب هذا القبر في الآجام يكون لقّب باليسع الجاثليق أو أنه كان يدعى عبد يسوع أي المسيح، وهو اسمٌ كان شائعًا في المجتمعات النصرانية، فلعل رئابًا كان يدعو نفسه بعبد يسوع، ثم إنه لما دفن صار الناس يطلقون على قبره مسمى قبر عبد يسوع، ثم بمرور الوقت تحرّف إلى قبر اليسع، فهذا رأي يمكن القبول به.

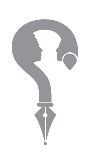
- **قبل سنتين حدثت حادثة غريبة حول انتساب إحدى العائلات إلى الرسول ﷺ، وقد حدث خلاف حاد بين العائلة نفسها حول هذا الانتساب، أريد من الأستاذ الجنبي أن يوضح لي الحجج التي اعتمدتها العائلة في**



انتسابها للرسول ﷺ، وكيف دحضت هذه الحجج كما في كتاب (أسرة ونسب)؟

عبد الخالق الجنبي: بداية الأمر أنا سمعتُ بهذا الانتساب، وهو انتساب قسمٍ من أسرة (آل النمر) في الدمام إلى الإمام علي عليه السلام بعد أن كان نسبهم عاميًّا، ولم أكن مطلعًا على أدلتهم في ذلك لأنهم لم ينشروها، وإنما اكتفوا بإعلان الانتساب، وهو في حد ذاته لا يكفي بالنسبة للبحث العلمي، ثم زارني بعد مدة بعض أفراد من العائلة دعاهم ورعهم إلى رفض النتيجة التي ادعاها بنو عمهم، وأحضروا لي معهم بحثًا لأحد أفراد القسم المدّعي، وهو أحمد محمد النمر، وقد أخبروني أنّ هذا البحث يوجد فيه كل الأدلة التي اعتمد عليها القسم المدّعي لإثبات انتسابهم إلى الإمام علي عليه السلام، وطلبوا مني - خطيًّا - باعتباري عضو الجمعيتين التاريخيتين الخليجية والسعودية فحص هذا البحث وإعطائهم رأيي فيه، وبالفعل قمتُ بالاطلاع عليه، واتضح لي - حسب ما وصل إليه علمي - أنّ ما اعتمد عليه كاتب هذا البحث في إثبات انتسابهم إلى الإمام علي عليه السلام لا يوجد فيه أي دليل علمي صحيح، فهو قد اعتمد على ورقة سمّاها بـ(الوثيقة) مع أنها ورقة حديثة كتبت بقلم حديث لا يتوفر فيها أي صفة من صفات الوثائق، ولا يوجد عليها أي توقيع كما إنها غير مؤرخة، ثم إنّ ما يوجد فيها يتحدث عن جماعة دعوا في هذه الورقة باسم

(الصوغ)، وذكر أنهم من سكان أشيقر، وقد حاول كاتب البحث أن يثبت في بحثه هذا بأنّ هؤلاء الصوغ المذكورون هم أسرته آل مبارك الذين ينتمي إليهم عائلته آل النمر من دون دليل صحيح؛ بل الدليل في هذا ضده لأنّ وثائق هذه الأسرة المعروفة حتى الآن تثبت أنها أسرة عامية النسب إلى ما قبل مائة وخمسين عامًا وأكثر، وهو المشهور عنها بين سكان المنطقة وفي وثائق الأسرة أيضًا لأننا عندما نرجع إلى وثائق البيع والشراء الخاصة بعائلات آل مبارك كآل النمر وغيرهم لا نجد كلمة سيد قبل اسم أي شخص منهم يرد اسمه في هذه الوثائق، وقد اطلعت على الكثير من هذه الوثائق بنفسي فلم أجد في وثيقة واحدة كلمة سيد كسابقة لاسم أي شخص من هذه الأسرة في حين إنّ بعض السادة الذين صادف وجودهم في هذه الوثائق ذاتها كتب لفظة سيد قبل أسمائهم، ومن المعروف في وثائق القطيف والأحساء كتابة كلمة سيد قبل اسم أي شخص ينتمي إلى نسبه إلى آل البيت عليهم السلام.



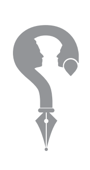
- **بدورك باحثًا تاريخيًّا أريد أن تحكي لي قصة سرقة الحجر الأسود من الكعبة؟**

عبد الخالق الجنبي: هذه الحادثة المؤسفة حدثت عام ٣١٧هـ، حيث كان حكام القطيف والأحساء وجزيرة أوال هم بالقرامطة، والحاكم حينها هو ابن مؤسس الدولة القرمطية، وهو

أبــو طاهر بن أبي سـعيد الجنابي، والمذهب الـذي كان يعتنقه هذا الحاكـم هو المذهب الإسـماعيلي. وهو مخالف لمذهب سـكان إقليـم البحريـن بحواضـره الثـلاث (الأحسـاء والقطيـف وأوال) الذيـن كانوا شـيعة إمامية، وقد وقعت حـروب كثيـرة بينهم وبين مؤسـس الدولـة القرمطية أبي سـعيد الجنابي سـالت فيهـا الدماء كثيرًا، ثم تمكن من السيطرة عليهم بعد قتل كثير وبعد أن حرق من مدنهم الكثير كالزارة وهجر وجواثا.

وكان مرجعهم الأكبر الذي يرجعون إليه في أصفهان حينها، فوفد فـي العام ٣١٦ للهجرة رجلٌ من أصفهـان يُدعى زكريّ كان يعمـل لدى ذلك المرجع الذي صـادف أن توفي حينها، فجاء هذا إلـى البحرين إلى أبـي طاهر وأهلـه وأصحابه مُدَّعِيًـا أن مرجعهم قـد أوصى له بالمرجعيـة بعده، وأمرهم بطاعتـه وأظهر لهم بعض العلامـات التـي كانـت لمرجعهـم المتوفـى، فصدَّقوه، وسـلموا أمرهـم إليه، فأظهر فيهم المذاهب الشـنيعة، والسـير القبيحة التي لـم تعهد، ولا عرفت فيهم من قبل كما يذكر ذلك المسـعودي في كتابه التنبيه والإشـراف، وكان من جملة هذه الأمور الشـنيعة التي عملوهـا بأمره هو جلب الحجر الأسـود من الكعبـة إلى المنطقة، ففعلوا ذلـك، وأحضروه إلى المنطقة، ووضعـوه عند عينٍ عظيمة مـن عيون القطيـف صارت تُعـرف لاحقًـا وحتى وقتنا هـذا بعين الكعبـة، وهي تقع إلـى الجنوب الغربي من بلـدة الجش القطيفية،

وبنـي في موضعه بناءً، ويقول شـارح الديوان المقرَّبي، أنهم أمروا النـاس أن يحجوا إلـى هذا البناء، وأنا أسـتبعد ذلـك، وأرى أنّ ما فعلوه ما هو إلا ضربة سياسـية موجهة إلى الدولة العباسية لإثبات ضعفها أمام الرأي العام الإسـلامي، وأنها لا تستطيع حماية أقدس مقدسـات الإسـلام، وأيًّا كان الأمر، فقد بقي الحجر الأسـود عند عين الكعبة ما يقرب من عشرين سنة، ثم أعيد بعد ذلك إلى مكة.



- **المسلسل الدرامي للمعاناة حول ديوانك ابن المقـرب، أرغب في معرفة هـذه المعاناة عن كثب؟**

عبـد الخالـق الجنبـي: نعم، كانت هنـاك معانـاة كثيرة حول ديـوان ابن المقـرب، فالحصول على المخطوطـات المختلفة من مكتبـات مختلفـة في العالم هـو عناء كبير، ومسـألة التحقيق وهي أعظـم من الأولى، فهناك ٢١ مخطوطة يجب أن يتم قراءتها كاملة وإضافـة كل زيـادة فـي أيٍّ مـن هـذه المخطوطـات إلـى الأصل، فالمعانـاة الحقيقيـة تكمن هنـا، ولتوضيح هذا الأمر، فإنني أشـير إلى ما ورد في جريدة الجزيرة السعودية عندما قالت عن عملنا في تحقيق الديوان إنه: «عمل أشـبه ما يكون بعمل مؤسسـات»، وهو توصيـف يوضح مـدى معاناتنا ونحـن أفراد ثلاثة فقـط، ومع هذا قدمنا عملًا تحقيقيًا يوصف بأنه عمل مؤسساتي.

نعـم كان هذا العمل معانـاة عظيمة، وهذه المعاناة عشـناها نحـن الثلاثة، ولم تنتهِ عند هذا الحد، فقـد صادفنا صعوبات جمّة عنـد طبـع الديـوان حيـث إنّ الدار التـي اتفقنـا معهـا أولًا لطبعه، وهـي دار المصطفى تم إغلاقها لأسـباب لا نعرفها، وظل الديوان حبيسًـا في أرشـيفها لمدة من الزمن حتى منّ الله علينا برجل شهم هو الشـيخ محمد عمير - حفظه الله - والذي كان قد أسـس للتو المركز الثقافي للنشـر والتوزيـع في بيروت، وكان قد رأى الديوان معطـلًا في دار المصطفى، فاتصل بنا طالبًا أن يطبعه كباكورة إنتاج للمركز الذي أسسه، فقبلنا شاكرين، وأنا أقرُّ له بهذا الجميل حيث تـم بتوفيق من الله وعناية فضيلة الشـيخ طبع الديوان الذي نفذ في سنة واحدة من صدوره، وحاليًا، أنا أقوم بتحقيق الديوان على ثمان وعشـرين مخطوطة بمفردي، وسيخرج الكتاب بإذن الله قريبًا في سبعة مجلدات ضخمة.

- **للأهمية التي يلعبها التاريخ في صقل شخصية الإنسان، فهو يتعلم من أخطاء السابقين كي لا يقـع في ذلك، ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب عليه السلام في وصيته لابنه الحسـن عليه السلام التـي وردت فـي نهـج البلاغـة، حـول أهمية دراسـة التاريخ، فقال في ذلك: «أيْ بُنَّي، إنِّي وَإنْ لَـمْ أَكُنْ عُمِّرتُ عُمُرَ مَـنْ كَانَ قَبْلي، فَقَدْ**

نَظَرْتُ فِـي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِـي أَخْبَارِهِمْ، وَسِـرْتُ فِي آثَارِهِـمْ، حَتَّى عُـدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِه، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَـرَرِه». تعليقك حول هذا الكلام؟



عبـد الخالـق الجنبي: أشـكرك كثيرًا على هـذا الكلام الذي ذكرتنـي بـه، وأميـر المؤمنيـن علي بـن أبي طالب عليه السلام هو سـيد البلغاء والحكماء، وأنا شـخصيًّا قرأت نهـج البلاغة أكثر من مرة، وكنت أصرخ من شدة إعجابي من بلاغة هذا الرجل العظيم، حتى إن والدتي كانت تدخل علي فزعة تتساءل عما يحصل؟!

الإمـام علـي عليه السلام بالنسـبة لـي شـيء لا يمكـن أن أصفه، هـو الرجـل العظيم الـذي ملأني جمـالًا، وهذه الكلمـات الرائعة التـي ذكرتها لا تصـدر إلا من حكيم، وإنني أسـتغرب وأقول بكل ثقـة: لـو كان علـي بن أبـي طالب عليه السلام فـي غير هذه الأمـة لربما عبـدوه، أو نصبـوا له تمثـالًا من الذهـب، أو ذكرى سـنوية يكتب فيهـا أجمـل القصائـد والأشـعار فيه، وهـل هناك أجمـل من علي عليه السلام! هـذا الرجل هُضم ومهضوميته ممـا زادتني حبًّا فيه، وظلم أيضًـا ومظلوميته ممـا زادتني حبًّا فيه، والإمـام علي عليه السلام يصلح مثالًا لكل شـيءٍ حسـن ولا يصلح مثالًا لكل شيء سيئ، لذلك أنا

معجب بهذا الرجل ومغرم به وأعشقه كثيرًا.

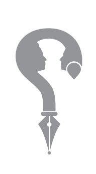
وهـذا الكلام الـذي ذكرته للإمام عليه السـلام يتناول أهمية دراسـة التاريخ والتمعّن فيه، فأنت تقـرأ ما تركه لك الأولون لتفيد مـن ذلك في حياتك، لذلك أقول: كلما قرأ الإنسـان التاريخ ازداد علمًا ومعرفة وملكة تساعده في تشخيص الأمور.

- **قراءة التاريخ ذات فائدة كبيرة كما أوضحت، وللأسـف الشـديد هنـاك حقيقـة مخجلة نكتشفها عندما ندرس التاريخ وهي أن الأبناء يقعون في نفس أخطاء الآباء والأجداد، وفي هـذا العنوان قال الكاتـب الإنجليزي ألدوس هكسـلي: «أهم درس يمكن أن نسـتفيده من التاريـخ، هـو أن البشـر لا يسـتفيدون كثيـرًا مـن دروس التاريـخ»، وهنـاك مقولـة يهودية مشـهورة تُنسـب إلـى وزيـر الدفـاع السـابق موشـي ديـان: «إن العـرب لا يقـرؤون، وإذا قـرؤوا لا يفهمـون، وإذا فهمـوا لا يطبقون»، فهل بإمكانك تفسير سبب ذلك؟**

عبـد الخالـق الجنبي: للأسـف الشـديد هذه هـي الحقيقة، والكلمـة التـي ذكرتها لوزير الدفـاع الإسـرائيلي صحيحة وأعتقد

بها، ويوجد سبب قويّ أحتفظ به لنفسي، ولكنني أريد أن أوضح ما ذكرته عن هكسلي، فهو لا يريد أن يقول إنّ التاريخ ليس بذي فائدة للبشرية كما قد يفهم بعض القراء عند قراءة كلامه، وإنما هو أراد أنّ الناس مع أنهم يدرسون التاريخ ويرون مواضع الاعتبار فيه إلا أنهم بوازع من أهوائهم ونزواتهم ورغباتهم يتعامون عن ذلك، وهذا هو مراده.

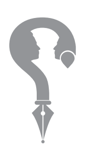
- **ربما يكون عليَّ أن أسألك، حول الكتابة في التاريخ؟، ومن الذي أعجبك من المؤرخين المحليين؟**



عبد الخالق الجنبي: الكتابة في التاريخ مثل الكتابة في الدين أو الفقه، لا يحق لأحد أن يقحم نفسه فيها إلا إذا امتلك الأدوات العلمية التي تساعده على الكتابة في هذا المجال، والشيء المزعج أن كل شخص يكتب في التاريخ؛ لأن النكير هنا ليس شديدًا، ولو فتشت في الانترنت لرأيت سخافات كثيرة، وقد وجدت بنفسي الكثير من ذلك، فهناك العديد من الكُتّاب لو اختبرتهم ستتفاجأ أنهم لا يملكون من الأدوات العلمية التاريخية ما يؤهلهم للكتابة، ومما يؤسف له أن التاريخ كالمال السائب، كل من هبّ ودبّ أخذ منه.

وأما المؤرخ الذي أعجبني، فهو الأستاذ محمد سعيد

المسلم، صاحب كتاب الذهب الأسود الذي كتب تاريخ المنطقة من دون أن يوجد أحدٌ قبله مهّد له الطريق في ذلك، وكم نحن بحاجة ماسة إلى كتّاب تاريخيين مثل هذا الرجل.



كلمة أخيرة للأستاذ الجنبي؟

عبد الخالق الجنبي: أشكرك شخصيًّا على اختيارك شخصي المتواضع، وعلى إتاحة هذه الفرصة لي، كما أشكر مجلة الخط أيضًا، وأتمنى لكم التوفيق.

ويجب عليَّ أن أوضح أمرًا هامًا وخطيرًا هو أنه لا يوجد جريمة أعظم من تزوير التاريخ، فبتزوير التاريخ أصبح أهل الحق هم أهل الباطل وأهل الباطل هم أهل الحق، وهذه من أكبر الجرائم التي ارتكبت في حق البشرية، والتي ساهمت في انحدار الإنسانية، وعلى هذا الأساس، فيجب على الإنسان إذا كتب التاريخ أن يتصف بالأمانة، والموضوعية، والابتعاد عن العواطف وتوافه الأمور، كي يعود إلى التاريخ بريقه، فأمة لا تاريخ لها لا مستقبل لها.


٦
الشيخ الكاتب
عبد الله اليوسف



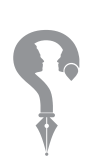
الشيخ الكاتب عبد الله اليوسف

«وقـد يذهب الحكيـمُ وتبقى كتبُه، ويذهب العقلُ ويبقى أثره».

عمرو الجاحظ

الشـيخ عبـد الله اليوسـف، أحـبَّ القـراءة وشـغف بها من الصغر، وسافر لطلب العلم، وعرف بنشاطه الاجتماعي، وقد قدّم للمكتبة العربية ما يقرب من أربعين مؤلفًا حول: السـيرة، والثقافة، والفقـه الإسـلامي، والتراجـم، والشـباب والمـرأة، والقضايـا الاجتماعية.

وأنـا مقتنـع تمامًـا بأن شـخصية كشـخصية الشـيخ الكاتب اليوسف، جديرة بتسليط العدسة عليها، وإذا أخذنا كمقياس رقمي لعدد الكتب التي أنتجها نلحظ أنها تحتل مكانة متقدمة جدًّا، ربما تكـون الثالثـة أو الرابعة بين كتّـاب القطيف في هـذا القرن، وهذه حقيقة جديرة بالملاحظة.



- **إنني أبدأ هذه الحوارات عادة من خلال طرح مثل هذا السؤال، هل لك بإخبارنا عن ولادتك، ونشأتك، ودراستك الأكاديمية والحوزوية؟**

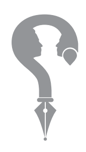
عبد الله اليوسف: ولدت في ٢٠ من شهر شعبان ١٣٨٣هـ، الموافق الخامس من يناير ١٩٦٤م، في بلدة الحلة، إحدى قرى محافظة القطيف، وقد نشأت وترعرعت في أحضانها. والحلة كانت أشبه بالحديقة الغنّاء حيث تحيط بها المزارع والبساتين من كل الجهات، وكنا نتلذذ بالأكل من ثمارها الطازجة، ونسبح في عيونها المتنوعة. وكنتُ منذ الصغر أميل للقضايا العقلية والعلمية، وعازفًا عن الألعاب المختلفة إلا فيما قلّ وندر، وكنت أحرص على اقتناء الكتب والمطالعة، وحضور مجالس الذكر والعبادة.

أما عن دراستي فقد درستُ الابتدائية في مدرسة حلة محيش الابتدائية ثم المتوسطة في بلدة أم الحمام، ثم عملت في شركة الهاتف، والتحقت بالثانوية التجارية ليلًا في مدينة القطيف. كما التحقت بمعهد الإدارة العامة بالدمام أوائل عام ١٤٠٢هـ، وأنهيت دورة في السكرتارية.

في شهر رمضان عام ١٤٠٢هـ، توجهت لدراسة العلوم الشرعية في الحوزة العلمية في إيران وبقيت فيها حتى عام ١٤٠٩هـ،

لـم أنزل خلالها للبلاد إلا مرة واحدة عام ١٤٠٤هـ، لأداء مناسـك الحـج. ثم أخذت أذهب فترات محددة لإكمال الدراسـة الحوزوية في قم المقدسـة وحضـور بحث الخارج عند بعض أسـاتذتها. كما حضرت شـطرًا من الزمن في الحوزة العلمية في السـيدة زينب وفي حوزة القطيف العلمية. وكما كنت أدرسُ كنت مدرسًـا أيضًا لبعض الـدروس الحوزويـة، كما هو المعتـاد في الحـوزات العلمية حيث يكون الإنسان طالبًا ومعلمًا في الوقت عينه.

أمـا عن الدراسـة الأكاديمية فقد انتسـبت لبعض الجامعات وأخـذت شـهادات جامعية وفي أكثر من جامعـة، وأخيرًا حصلت علـى شـهادة الدكتـوراه مـن جامعـة المصطفـى العالميـة فـي قم المقدسـة في تخصـص الفقه والمعارف الإسـلامية منذ ما يقارب الشهرين، وهذا خبر جديد أخصّ به مجلتكم المتميزة، علمًا بأنني حصلـت ومن نفـس الجامعة على شـهادة الماجسـتير فـي الثقافة والمعارف الإسلامية عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.



- **إن لـم يكـن هنـاك من إحـراج، ما هـو دورك الذي تمارسه كعالم دين في المجتمع؟**

عبـد الله اليوسـف: عالـم الديـن يمكنـه القيـام بالكثير من الأدوار والمهـام الرسـالية والعلميـة والإصلاحية فـي المجتمع، وانطلاقًا من المسـؤولية الدينية والأخلاقية أقوم بما أستطيع القيام

به من أعمال وأنشطة كإمام لصلاة الجماعة، وإلقاء المحاضرات، وتدريس العلوم الشرعية، وتأليف الكتب، والمشاركة في المؤتمرات العلمية المحلية والدولية، والمساهمة في حل بعض المشاكل الأسرية والاجتماعية... وغيرها.



- **ماذا تعني بقولك في مقدمة كتابك (دور المرأة في النهضة الحسينية): «إن المرأة تستطيع القيام بالكثير من الأدوار والمهام الكبيرة»؟ وما هي الأدوار التي تستطيع المرأة القيام بها في الوقت الحالي؟**

عبد الله اليوسف: تستطيع المرأة المعاصرة القيام بالكثير من المهام والأدوار التي تساهم في إنماء المجتمع وتطوره، فيمكنها من خلال ممارسة دور الأمومة تربية جيل متديّن وخلوق وواعٍ؛ وهو دور تتقنه المرأة أكثر من الرجل. ويمكنها أن تكون داعية إلى الله تعالى، ومبلِّغة لأحكام دينه، وناشرة لمفاهيم الإسلام ومبادئه بين الناس. وتستطيع المرأة أن تمارس بعض الأعمال المناسبة لطبيعتها وتكوينها الأنثوي كالتمريض والطبابة والتعليم والحضانة.. ومثل هذه الأعمال أصبحت ضرورة وحاجة إنسانية واجتماعية واقتصادية.

كما يمكن للمرأة المثقفة نشر الوعي الثقافي في المجتمع،

وتفعيل الحركة الثقافية من خلال تأليف الكتب، وإلقاء المحاضرات، وتأسيس منتديات ثقافية خاصة بالنساء، وتنمية المهارات الأدبية والمواهب العلمية عند الفتيات..إلخ.



- **يبدو واضحًا إلى حدٍّ ما، اهتمامك بموضوع المرأة، كما في بعض كتبك، أريدك أن تتكلم بموافقتك أو اعتراضك وبلغة واضحة مبتعدًا فيها عن الضبابية وغير معقدة تتصف بالبساطة يفهمها الكل، حول:**

- **صلاة المرأة جماعة في المسجد:**

عبد الله اليوسف: أراه مفيدًا جدًّا؛ لأن حضورها يساهم في تعلمها للأحكام الشرعية، والإفادة من الدروس والأنشطة الدينية التي تقام في المسجد، بالإضافة إلى ثواب صلاة الجماعة، وتقوية الحالة الدينية عند الفتيات.

- **قيادة المرأة للسيارة:**

عبد الله اليوسف: لا مانع شرعًا من قيادة المرأة للسيارة، وقد أفتى فقهاؤنا منذ زمن بعيد بجواز ذلك مع الالتزام بالحجاب والحشمة. وأرى أن قيادة المرأة للسيارة أفضل بكثير من أن يقود لها سائق أجنبي السيارة؛ وما قد ينتج عنه من سلبيات وسيئات. لكن هذا لا يعني أن قيادة المرأة للسيارة ليس لها سلبيات أيضًا

لكن إيجابياتها أكثر، وأصبحت ضرورة في حياتنا المعاصرة.

- **كشف المرأة لوجهها:**

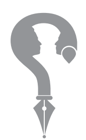
عبد الله اليوسف: المشهور بين الفقهاء الجعفريين جواز ذلك من غير زينة أو خوف افتتان وريبة، وإن كان الأحوط استحبابًا تغطية الوجه. وللعرف الاجتماعي أثره في مثل هذه المسألة، لذلك ينبغي مراعاته.



- **هناك متدينون محافظون جدًّا يعارضون بشدّة فكرة قيام المرأة بدور خارج بيتها، بيّن وجهة نظرك حول ذلك؟**

عبد الله اليوسف: هذا التصور خاطئ، وناتج إما عن فهم خاطئ لبعض النصوص الدينية، أو مسايرة للعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة، لكن الرؤية الإسلامية هو جواز عمل المرأة في كل ما يتناسب مع طبيعتها الأنثوية، مع الالتزام بالضوابط الشرعية والأخلاقية. أما إذا أراد أحد أن يمنع زوجته أو ابنته من ممارسة العمل الوظيفي فهذا شيء شخصي، لكن لا يصح إعطاؤه صفة الحرمة أو أن الدين ينهى عن ذلك.

- **لقد أولى الدكتور اليوسف اهتمامًا كبيرًا للعمل التطوعي في محاضراته وقد أفرد ثلاثة**



كتب في ذلك، فهل بإمكانك إعطاء أمثلة من واقع مجتمعنا حول ذلك؟

عبد الله اليوسف: العمل التطوعي في مجتمعنا يمرّ بمرحلة تطور من حيث الأداء، وابتداع أساليب جديدة، لكن ثقافته بحاجة إلى المزيد من البلورة بلغة معاصرة. أما الأمثلة التي توحي بمناشط وفعاليات العمل التطوعي فهي كثيرة، كمهرجانات الزواج الجماعي، واللجان المتعددة والمتنوعة في اهتماماتها، والجمعيات الخيرية..إلخ، لكننا بحاجة ماسة لبناء مشاريع تطوعية إستراتيجية كالمستشفيات والجامعات والمعاهد العلمية.



- **هل لك ببيان سبب منطقي واحد بشغفك الشديد بالكتابة، على الرغم أن الكتاب في الوطن العربي تكاد ألا تكون له قيمة؟ وربما يكون من المحتمل أن لا يقرأ كتبك أحد؟!**

عبد الله اليوسف: ورد في الحديث الشريف: «زكاة العلم نشره». والكتابة من أهم الأدوات لنشر المعرفة والعلم، ثم إن الكتابة جزء لا يتجزأ من كياني وشخصيتي، فأنا مهموم دائمًا بإنتاج أفكار جديدة، أو بلورة أفكار بحاجة لصياغة جديدة تسهم في جذب الجيل المعاصر لما أكتب وأنشر. أضف إلى ذلك أن العلم قيمته

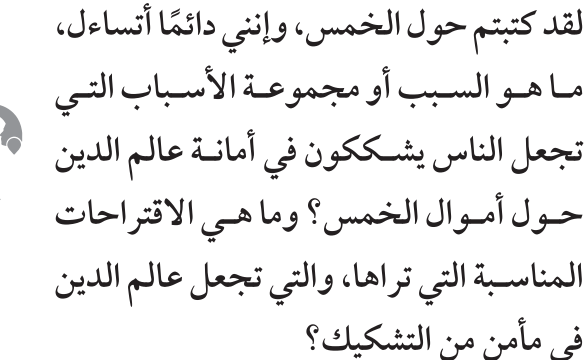
ذاتيـة، ودائمًا توجد نخبة تبحث عن العلـم والفكر، ويبقى للكتاب الجيد والمفيد جاذبيته وأثره، وقد يمتد ذلك الأثر لقرون قادمة!

- **تكلمتـم حـول الحج عنـوان لوحدة المسـلمين، فمـاذا تقـول في بعـض الممارسـات المشـاهدة خـلال الطـواف حـول الكعبـة مـن ذكـر بعـض الأدعيـة الخاصة بالمذهـب كدعاء الفـرج مثلًا، وبصورة جهرية، وعندما ننظر أيضًا في النفرة أثناء الخـروج مـن منى وقـت الظهيرة نلاحـظ إطلاق بعض الشعارات الخاصة؟ فهل هذه الممارسات تتعارض مع فكرة الوحدة الإسلامية؟**

عبـد اللـه اليوسـف: قـراءة الأدعيـة المأثـورة لا تتنافـى مع الوحدة الإسـلامية، فـكلّ الأدعية الـواردة عن أهـل البيت عليهم السلام تركز على التوحيد، ومناجاة الله عزّ وجلّ، والانقطاع إليه، وطلب المغفرة والعفو منه تبارك وتعالى.

أمـا رفع بعـض الشـعارات الخاصة فـإن كانت فيهـا ما يثير الحساسيات المذهبية، ويهيج العصبيات الطائفية، فيجب الابتعاد عنها سـواء في الحج أم في غيره، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[١].

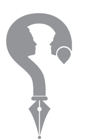
(١) الأنبياء: ٩٢.



- **لقد كتبتم حول الخمس، وإنني دائمًا أتساءل، مـا هـو السـبب أو مجموعـة الأسـباب التـي تجعل الناس يشـككون في أمانـة عالم الدين حـول أمـوال الخمس؟ وما هـي الاقتراحات المناسـبة التي تراها، والتي تجعل عالم الدين في مأمن من التشكيك؟**

عبد الله اليوسف: عندنا قاعدة فقهية تسمى: قاعدة الصحة، ومعناهـا حمل فعل المسـلم علـى الصحة، كما أن الأصل حسـن الظن بالمؤمن. أما التشـكيك بأمانة عالم الدين ونزاهته فقد يكون ناتجًـا من سـوء الظـن والتخمين غيـر القائم على دليـل قطعي، أو لالتباسـات في بعض التصرفات، أو لسـوء فهم وما أشـبه. والحل فـي الأخذ بقاعدة أصالة الصحة، واجتناب سـوء الظن، ومناقشـة عالـم الدين فيمـا يبدو مثيرًا للانتبـاه ولكن بأدب واحتـرام. فعالم الدين في النهاية ليس معصومًا عن الخطأ، وهو محاسـب أمام الله عزّ وجلّ عن جميع تصرفاته.

- **مـن خـلال بعـض المشـاهدات نلاحـظ، أن بعـض علمـاء الديـن يعيشـون فـي حالة من الرفاهيـة تفـوق رفاهيـة الأثريـاء علمًـا أنـه لا مصـدر لهـم مـن المـال سـوى الحقـوق**



الشـرعية، أرجو التوسع في تعليقك على هذا الموضوع؟

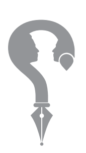
عبد الله اليوسـف: ليس صحيحًـا أن المصدر الوحيد للعلماء والطلبـة هو الحقوق الشـرعية فقـط؛ بل إنني أعرف شـخصيًّا بعض علماء الدين لا يأخذون ولا ريالًا واحدًا في معيشـتهم الشخصية من الحقوق الشـرعية، والبعض يأخذ فـي حال الضرورة فقط؛ علمًا بأنه يجوز لعالم الدين أن يأخذ بمقدار حاجته من الحقوق الشرعية.

والأمر الآخر، إن مصادر المال عند العلماء متنوعة، فبعضهم خطبـاء ويحصلون على ما يفيض عن حاجتهم السـنوية، وبعضهم لديهم مشـاريع اسـتثمارية تدرّ عليهم أموالًا، وبعضهم ينالهم حظ وافر من الإرث، وبعضهم موظفون كمدرسـين... فالرزق بيد الله تعالـى، وقد ورد فـي القرآن الكريـم: ﴿**وَاللَّهُ فَضَّـلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْـضٍ فِي الْـرِّزْقِ**﴾[1]، فكما يوجد أغنياء مـن طبقة العلماء كذلك يوجد فقراء بالكاد يحصلون على ما يكفيهم لقوت شهرهم، مثلهم في ذلك مثل بقية الشرائح الاجتماعية. نعم يصح الإشكال لو كان العالـم يعيـش برفاهيـة مـن الحقوق الشـرعية وليس مـن الأموال التـي حصل عليها بالطرق المشـروعة الأخـرى. وطبعًا ما تقدم لا ينفـي وجـود بعض التصرفـات المالية الخاطئـة أو بعض الأخطاء

---

(١) النحل: ٧١.

غير المقصودة التي قد يقع فيها أي شخص ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، لكن التعميم خطأ منطقي، وتضخيم السلبيات يضرّ أكثر مما يفيد، والاتهام والافتراء من غير دليل قطعي محرم شرعًا.



- **هل لي بمعرفة، إذا كنت سعيدًا لكونك عالم دين أم لا؟**

عبد الله اليوسف: سعيد جدًّا، وأحمد الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة الكبرى أن وفقني لأكون عالم دين؛ لأنه ينسجم مع ذاتي وميولي الشخصية، كما أن العلوم الشرعية أشرف العلوم وأفضلها.



- **كلمة أخيرة للشيخ الدكتور عبدالله اليوسف؟**

عبد الله اليوسف: كلمتي الأخيرة أوجهها للجيل الجديد من الشباب والفتيات بضرورة الاهتمام بالعلم، واكتساب المعارف، والتخصص في أرقى التخصصات العلمية المفيدة، والانفتاح على العلماء الربانيين والواعين لتجسير الفجوة بين الشباب والعلماء، والإفادة المتبادلة حتى يحصل التكامل في العلم والعمل.

---

(١) يوسف: ٥٣.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للقائمين على مجلة (الخط) لإتاحتهم هذه الفرصة لي للالتقاء مع قرائها عبر هذا الحوار؛ متمنيًا لهم الاستمرار والتقدم، ولجهودهم الكبيرة السداد والتوفيق.

القسم الثالث

الأدباء والشعراء

- سعود الفرج
- محمد آل ناصر
- علي آل سليس




٧
الأديب الشاعر
سعود الفرج



الأديب الشاعر سعود الفرج

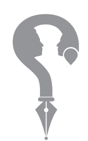
أَتَدْرِي لِمَاذَا يُصْبِحُ الدِّيْكُ صَائِحًا
يُرَدِّدُ لَحْنَ النَّوْحِ فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ
يُنَادِي لَقَدْ مَرَّتْ مِنَ الْعُمْرِ لَيْلَةٌ
وَهَا أَنْتَ لا تَشْعُرْ بِذَاكَ ولا تَدْرِي

عمر الخيّام

ترى، كيف نستطيع أن نتخيل الحياة دون الأدب والشعر؟ سوف تكون بلا شك حياة جافة جدًّا، وهؤلاء الشعراء لا تكتمل سيمفونية الحياة إلا بهم، فهم الذين يعطون لهذه الحياة جمالها، والنتيجة الأكثر يقينًا التي تشعرنا بأهمية الشعر وقوته في هذه الحياة هو ما قام به من دور كبير في العصور القديمة، وكيف كان الخلفاء يهابون الشعراء.

وعلى الرغم من الاطراد التكنولوجي في هذا القرن وضآلة الشعر مقارنة بالعصور القديمة، إلا أنه سيظل يدور ما دامت عقارب الساعة تدور.

في هذه الحلقة سنغوص في بحرِ شاعر بارز له العديد من الدواوين، ونلاحظ في أشعاره الخيال وصدق العاطفة إضافة إلى فلسفته في الحياة وهي التغلب على اليأس والإحباط وزراعة التفاؤل والأمل، فالأمل يبقى موجودًا عنده بوجود الحياة، وما أجملها من فلسفة.



- **قبل البداية، أعطِ القارئ معلومات موجزة عن حياتك؟**

سعود الفرج: سعود الفرج هو ابن القرية « بلدة العوامية»، ولدت فيها وعشت بين ظلال نخيلها الباسقات وعيون مياهها الدافقات، فقد كانت قرانا بمحافظة القطيف فراديس تتهادى على هذا الشاطئ الجميل حتى أطلق عليها الأمريكان عندما جاؤوا للتنقيب عن البترول في هذه المنطقة لقب كاليفورنيا الشرق. ورغم الظروف التي عشتُها بقسوتها وبعض الأحداث التي كادت أن تقف حجر عثرة أمام حياتي خاصة عندما انفجر في وجهي برميل من الكيروسين كان فارغًا وبشقاوة الأطفال رحت أعبث فيه بوضع أعواد من الكبريت المشتعلة وكان عمري آنذاك سبع سنوات، حوالي سنة ١٣٧٥هـ، كدت فيها أن أفقد بصري، وحيث إنه لا يوجد أطباء عيون آنذاك في منطقتنا بقيت طريح الفراش مدة خمسة عشر يومًا لا أرى شيئًا أمامي إلى أن أراد الله بتجاوز تلك المأساة، لكنه أثّر على نظري بشكل كبير.

عشـت بين تلك الطبيعة السـاحرة التي تـوارت عن الأنظار للأبد -للأسـف الشـديد- وتعلمت بمدرسـة العواميـة الابتدائية والمتوسـطة بالقطيـف ثـم عادلـت الشـهادة الثانويـة والتحقـت بالمعهـد الصحي وتخرجت منه وعملت في المدينة المنورة لمدة ثلاث سـنوات وعدت للعمل بصحة الشـرقية بمستشـفى القطيف العام ثم اسـتقر بـي المقـام بمركز الخدمـة الاجتماعيـة بالقطيف حتى تقاعدت قبل أربع سنوات، فتفرغت للكتابة والشعر ورياضة المشـي وأداء الوجبات الاجتماعية المختلفة، لكنني لا أنسـى يوم جلسـنا ونحن ثلاثـة صبية على أحد الكثبـان الرملية الواقعة غرب بلدتنـا العواميـة قبل خمسـين عامًا وكل يطرح أمنيات المسـتقبل، فواحـد تمنـى أن يصبح تاجـرًا فتحقق له مـا أراد، وآخـر تمنى أن يدخـل الجامعـة ويتخرج منها مهندسًـا فحـاز أمنيته أيضًـا، أما أنا فتمنيت أن أصبح كاتبًا وشاعرًا، وهذا حكم أتركه الآن للجمهور.



- **مـن المهم جدًّا في هذا الحوار أن نتعرف عن كثب لمسيرتك الشعرية؟**

سعود الفرج: قرأت الكثير من الكتب والمجلات وأنا صغير، وحفظت الكثير من الأشـعار خاصة العاطفيـة منها، فتكونت لديّ حصيلـة كبيرة عبر تلك القراءات التـي انعكس مردودها الإيجابي على كتاباتي المتنوعة، أما الشـعر فلم يغشاني إلا في الأربعين من

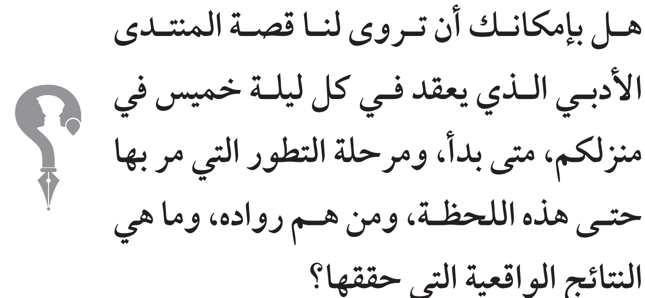
عمري، فجاء كومضة داهمتني وأنا أسير بين تلك الجداول قاطعًا الطريق إلى أحد البساتين فشعرت بنشوة تعتريني فعلًا خاصة عندما صادفتني إطلالة ساحرة من بنات الريف: فكتبت هذا البيت:

قابلتها في لحظة الغسق
كالبدر يزهو في سماء الأفق

بعد عودتي إلى المنزل حاولت كتابة خمسة أبيات وقصدت بها أحد الشعراء الذي سرعان ما رمى الورقة في وجهي قائلًا: أينك وأين الشعر، اذهب وتعلّم العروض واللغة العربية واحفظ الأشعار وقد تكون في يوم من الأيام شويعرًا عدت وأنا محطّم النفس، والإحباط قد أخذ مني مأخذه، لكنني توجهت بعد ذلك لأحد الأصدقاء فهدّأ من إحباطي وسلّمني كتابًا قائلًا: اقرأ ما استطعت من هذه الأشعار وحاكها، واكتب على نسقها ثم أطلعني عليها.

استمرّت هذه الحالة ثمانية أشهر وأنا في مخاض عسير، غير أن التجربة بدأت تؤتي أوكلها رويدًا رويدًا. أخذت تجربتي في النضج، واختلطت بالعديد من الشعراء وصرت أطلعهم على كتاباتي وهم يضعون يدي على مواقع الخطأ والصواب، ولا أنسى أستاذي المرحوم الشاعر الكبير عبد الله الشيخ علي الجشي الذي رافقته أيامًا، فكان يحيطني برعايته ويشجعني دائمًا على مواصلة الكتابة، حتى بدأت أكتب النصوص الشعرية، فأصدرت ديواني الأول «بعنوان بوح الشعور» عام ٢٠٠٤ م، تلاه ديوان «ربما أمل»

و«وجـه المرايا» بعده «معزوفة عشـق» عام ٢٠١٠ م، وأخيرًا «طريق الخلود» عام ٢٠١١ م، كانت أمنيتي في يوم من الأيام أن أكتب شعرًا فبدأت أحقق بعض ما أصبو إليه لكنني لا زلت أطمح للأحسن.



- **هـل بإمكانـك أن تـروى لنـا قصـة المنتـدى الأدبـي الـذي يعقد فـي كل ليلـة خميس في منزلكم، متى بدأ، ومرحلة التطور التي مر بها حتـى هذه اللحظـة، ومن هـم رواده، وما هي النتائج الواقعية التي حققها؟**

سـعود الفرج: قصة هذا المنتدى بسـيطة جدًّا، فقد بدأ بدعوة شـابين لتنـاول فنجانٍ من الشـاي ثم جـرى تداول الحديـث فقررنا أن نجتمع مسـاء كل أربعاء لنقرأ ونشـرح بعـض النصوص الأدبية، بـدأ باثنين وأنا ثالثهم كما ذكرت، وبعد ذلك أخذ يسـتقطب العديد من الشـعراء والأدبـاء رويدًا رويدًا حتى أخذ طابـع المنتدى الأدبي أو الصالـون كما يسـمى. ومن خلاله أخذنا نتبـادل الأفكار والآراء الأدبية بشفافية وصدق، فالجميع منا يفيد من هذه الأجواء الإيجابية التـي انعكس أثرها علينـا جميعًا، ثم أخذ يحتضـن بعض المواهب الشابة التي أفادت من حراكه هي أيضًا، وأنا أعتز بروّاد هذا المنتدى كثيـرًا، فلـولا تواجدهم ما كان هـذا الحراك الأدبي موجـودًا يؤدي رسـالته الأدبيـة ممثلًا في أشـخاص هـم عموده الفقـري حقًّا أمثال

الشعراء المتألقين: (رائد الجشي، فريد النمر، علي المهنا، قيس المهنا، محمد الحمادي، ياسر الغريب، صالح الخنيزي، محمد أبو عبد الله، والشاب عماد العلويات وغيرهم من المترددين بصورة متقطعة من الشعراء، وقد استطاع هذا المنتدى بجهود رواده أن يحقق نتائج مرضية ويكسب سمعة طيبة بين طبقة من المهتمين بالحركة الأدبية على مستوى المنطقة ولا يزال مستمرًا يؤدي رسالته منذ ثماني سنوات في صقل مواهب رواده وتفاعله مع المجتمع من خلال إحيائه العديد من الأمسيات الشعرية والانفتاح على أطياف المجتمع كما تمخض عن هذا الحراك المتميز التمائم الأدبية.

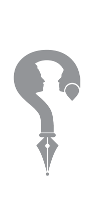
- **كما أشرت، أنه صدر لك في الفترة الأخيرة ديوانان هما (معزوفة عشق) و (وجه المرايا)، لقى الديوانان استحسانًا كبيرًا من المجتمع الأدبي. لكن السؤال أن الديوانين يطرحان قضايا تعد في العرف الاجتماعي محظورة كقضية الحبّ التي هي من أبرز القضايا، ماذا عن هذا الأمر؟ وما رأيك فيه؟ وهل لقيت تصادمًا مع المجتمع نتيجة هذه الآراء؟**

سعود الفرج: «وجه المرايا» و«معزوفة عشق» ديوانان يحفلان بنفحات واضحة من الوجدان العاطفي ويأخذان مسارًا

حقيقيًّا تطغى عليهما نفحات من الحبّ العذري أيضًا، ابتعدت فيه كثيرًا عن الآثار الحسّية للمرأة، لكنهما يجسّدان سيلًا حارقًا من المعاناة، كما أن الرومانسية تسيطر عليهما خاصة في معزوفة عشق، أما وجه المرايا فهو مزيج بين الرومانسية الحالمة والقضايا الاجتماعية والوطنية وقد حظيا هذان الديوانان بقراءات عديدة من الأدباء والشعراء، فكتب عنهما الأستاذ عبد الحفيظ الشمري في المجلة الثقافية التابعة لجريدة الجزيرة السعودية وغيره من الشعراء أمثال الأستاذ صالح الخنيزي في مجلة الواحة، الأستاذ فريد النمر والأستاذ السيد حسن الخليفة في جريدة المدينة السعودية، والأستاذ عقيل المسكين في مجلة الواحة أيضا، وغيرهم في بعض المواقع الالكترونية.

أما ما أشرت إليه أن الديوانين يطرحان قضايا تعدّ في العرف الاجتماعي محظورة كقضية الحبّ التي هي من أبرز القضايا، فإنني أقول: بأن الحبّ عاطفة إنسانية، ومن هنا فهو يحمل هذه الصفة، كما أن الحبّ والغزل ليس محرمًا في الملة والأخلاق، أما بعض الآراء التي تحاول إبراز مفاهيم خاطئة عن شعر الغزل فهي نظرات اجتماعية خاطئة لكن لا يجوز الاصطدام معها، فقد أشبع هذا الموضوع بالنقاش كثيرًا فأثبت عدم صحته، وقصيدة كعب بن زهير في الرسول محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- خير شاهد على ذلك، الأفكار الضيقة لا يعتدّ بها. أما الاختلاف في

الآراء فهذا شيء طبيعي ومسلّم به منذ الأزل وظاهرة صحية في المجتمع الواعي، أما التصادم فهذه صفة غير إيجابية أبتعد عنها دائمًا حتى لا أحدّ من إنتاجي وتطلعاتي للمستقبل، فأنا إنسان أميل إلى الهدوء وأتسم بالتفاؤل والأمل. لذا لا وقت لدي لمثل هذا التشنج الذي يهدر من طاقاتي ويحدّ من نظرتي الايجابية للآخرين.



- **وماذا عن كتابيك الشهيرين شعراء مبدعون من الجزيرة والخليج، وشاعرات معاصرات من الجزيرة والخليج، وخاصة الأخير الذي يعدّ الفرج السّبّاق لمثل هذا العمل الأدبي المتميز على مستوى المملكة والخليج؟**

سعود الفرج: عندما قرأت معظم الكتب التي ألفت عن الحركة الأدبية في شبه الجزيرة العربية والخليج لاحظت اختصار معظم كتاب المنطقة من كل دولة على شعراء الدولة التي ينضوون إليها فرغبت في جمع شتات من هذه التراجم وضمها في كتاب واحد حتى يسهل على الباحثين والدارسين لأدب هذه المنطقة من الرجوع من دون عناء، كما يعد ذلك اختصارًا للوقت وتوفرًا للمعلومة، وقد تناولته بعض الصحف المحلية وفي مقدمتهم جريدة الشرق الأوسط حيث كتب عنه ميرزا الخويلدي في صفحة

«الثقافـة» وعـدّه أول معجـم أدبي يصدر عن الشـعراء في الجزيرة والخليج، كما كتب عنه محمد حسن فقي في جريدة «الاقتصادية» وناصـر الجاسـم في جريـدة «اليـوم»، وقد نجح الكتـاب فعلًا في تحقيـق أهدافـه، ففي عـام ١٩٩٧م، عـدّ الكتاب مـن الكتب التي قرأها المثقفون العرب من خلال اسـتطلاع أجرته (جريدة الشـرق الأوسط)-في عددها ٦٩٦٢- لعدد من الأدباء والمثقفين، فقالت الدكتـورة ثريـا العريـض: قـرأت كتـاب موسـوعة بعنوان شـعراء مبدعون لسـعود الفرج واسـتمتعت به، وهذا بحـد ذاته يعدّ إنجازًا وتميزًا لهذا الكتاب.

أما بالنسبة لكتاب شاعرات معاصرات:

وأنـا ألقي بنظـري على سـاحتنا الأدبية رأيت هـذا الإهمال الواضـح بل والمتعمّـد من قبل الكتاب والأدبـاء لإنتاج المرأة في هذه المنطقة مما حفّزني على القيام بهذه المهمة الصعبة، فقد كان طريقًا صعبًا بل ومحبطًا، فالتجاوب شـبه معدوم، ومعظم الأبواب موصـدة فـي وجـه الباحثيـن فـي مجتمع محافـظ، لكننـي قررت السـير قدمًا مهما كانت الصعوبات والتحديات، وبعد جهد طويل ومتعـب رأيـت جهودي قد أثمـرت وتـم الإصدار الـذي عدّ وقتها أول مصدر توثيقي يعتني بشعر المرأة في هذه المنطقة حتى نفذت طبعته الأولى في فترة قياسـية وأعيد طباعته مرة ثانية من قبل الدار السعودية للنشر والتوزيع التي تولت نشره وتوزيعه.

وقد تناوله العديد من الباحثين والمثقفين والمحللين، فكتب عنه إبراهيم الوافي في جريدة الرياض في عددها١٢٥٢٢ عام ٢٠٠٢م قائلًا: «إن معجم كهذا يشكل إضافة رائعة للحركة الشعرية النسائية التي ظلّت قبل عقدين أو يزيد من الزمان ذات حضور توثيقي باهت في منطقة الخليج»، وقال عنه محمد الصفيان في جريدة الرياض أيضا: «وقد استطاع المؤلف أن يقدم أسماء جديدة غير معروفة على الساحة وبذلك حاز المؤلف قصب السبق في هذا الإنجاز الأدبي الرائع». وكتب عنه أحمد الزين في جريدة الوطن وميرزا الخويلدي في الشرق الأوسط قائلًا: « ولا يعني العدد انعكاس حجم وفاعلية الحركة الشعرية لكنه يعكس قدرة المؤلف للوصول للمصادر والمعلومات وقربها منه»، وكتب عنه أيضًا فؤاد نصر الله في مجلة اليمامة وعدّه إضافة جديدة للمكتبة العربية، ويقول الكاتب الجزائري نصر الدين حديد في سياق الحديث عن الكاتب الجزائري لكتاب بعنوان خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه: «وإنهُ يُذكّرني كثيرًا بكتاب للأديب والباحث: سعود عبد الكريم الفرج بعنوان شاعرات معاصرات من الجزيرة والخليج، الذي يعنى بشعر المرأة ويناقشُ موضوع اعتبارِ وظيفةً فنيةً من جهة أو وظيفة ثقافية واجتماعية من جهة أخرى، حيث يمثل مادة غنية للدراسات النقدية، في قراءة هذا الخطاب الصّادر عن المرأة، باعتباره علامة تأنيث ثقافية». ثم يواصل حديثه قائلًا: «وجدت في كتاب شاعرات

معاصرات من الجزيرة والخليج ما يبرز هؤلاء الشاعرات ويفسح المجال للنقد والبحث والاكتشاف على العكس تمامًا مما قرأته في كتاب خطاب التأنيث من إهانة لهنّ وتدخل صارخ في حياتهنّ الشخصية بل وحتى في صفاتهنّ الجسدية والخَلقية».

أما سرّ اختياري لهذا الكتاب فهي تلك المحاولات التي تجري للحدّ من تطلعات وإسهامات المرأة عبر هذه الأعراف والتقاليد البالية وهذه النظرة القاصرة نحو هذه الإنسانة التي تمثل نصف المجتمع والتي يجب تغييرها عاجلًا أم آجلًا لتسهم في بناء حضارة وثقافة تنقلنا إلى مصافّ الدول المتقدمة.



- **سعود الفرج نراه يكتب الشعر تارة، ويؤرخ للأدب تارة أخرى، ويؤرخ للأرض تارة ثالثة، أين يجد الفرج نفسه في هذه الأدوار القلمية الثلاثة؟**

سعود الفرج: أنا أتذوق الشعر وأكتب عنه حسب رؤيتي، فمرة قد أصيب ومرات أخطئ كثيرًا، وهذا هو الغالب الذي يطغى على كتاباتي الأدبية، أما الشعر فلم أصل بعد للمستوى الذي أطمح إليه رغم أني طبعت الآن خمسة دواوين شعرية متوسطة الحجم، أما بالنسبة لكتابة التاريخ فأنا لست مؤرخًا بالمعنى المتعارف عليه، وما كتابي عن العوامية سوى توثيق لحقب شهدتها تلك

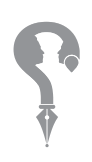
البلـدة علـى فتـرات متعاقبة، وما كان بـودي في يوم مـن الأيام أن أطرق هذا المجال أبدًا، لكن الظروف جاءت به هكذا.

- **الملاحـظ للحركة الأدبية فـي القطيف يرى أن هناك قسـمًا من الأدباء، يكتب الرواية والشـعر بأنواعـه العمـودي والحـرّ والمقالـة بأنواعهـا الأدبية والعلمية، رأيك في هذا الأمر؟ وهل يدلّ هذا على أن أدباء القطيف متعددو المواهب؟!**



سـعود الفرج: مما لاشـك فيه، فإن منطقةً كهـذه تحمل إرثًا ثقافيًـا عبـر العصـور وانفتاح فـي وقت كانـت معظم مناطق شـبه الجزيرة تعيش في أمية واضحة وأتى هذا العصر المتطور بمعطياته الثقافيـة المتعـددة لا بد وأن ينعكـس إيجابًا على شـريحة من هذا المجتمـع التي أخذت تطّلع علـى الأدب الجديد من قصة ورواية فتأثرت تأثيرًا واضحًا، وهذا شيء طبيعي يدلّ على تعدّد المواهب التي سـرعان ما استجابت لهذا الحراك من حولها فبرز لدينا كتاب وكاتبـات في القصـة والرواية بالإضافـة إلى طرق الشـعر بأنواعه ومدارسه المتعددة.

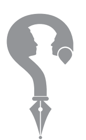
- **تأثـرت الحركـة الفكريـة الأدبيـة القطيفيـة، بالحركات الفكرية العالمية، فأصبحنا نشاهد**



أطروحات جديدة نراها تشتد جرأتها ويزداد اصطدامها مع المجتمع واشتباكها معه، ويلاحظ في كثير من الأحيان عدم تقبل المجتمع لها، فإلى أين نحن ذاهبون في رأيك؟

سعود الفرج: حتى هذا الوقت لم ألحظ أنا شخصيًّا هذا التأثير العالمي الذي أدى إلى اصطدام مع المجتمع باستثناء روايتين خرجت عن المألوف تقريبًا واحدة، لمظاهر اللاجامي، وأخرى لمنير النمر، لكنها لم تقيما الدنيا وتقعدها، فواحدة منعت في بعض دول الخليج والدول العربية، وأخرى غير مسموح بتوزيعها داخل المملكة لكنهما لم ترقيا إلى مستوى الأدب العالمي، وهذا لا ينفي أنهما لا تتمتعان بجرأة غير مسبوقة بل العكس هو الصحيح.

- **في الوقت الحاضر قنوات السقاية والرفادة الأدبية متعددة في القطيف، فمن أندية أدبية إلى مجلات إلى كتب ومؤلفات منتجة من الداخل القطيفي أو مستوردة من الخارج وغيرها...، لقد عشت أيها الفرج أنت وجيل من الأدباء معك في فترة شبابك في حال نظن**



أن موارد السقاية والرفادة أقل فمن أين كنتم تروون الظمأ الأدبي الفكري؟ وكيف؟

سعود الفرج: بدأ اهتمامي بالقراءة عندما كنت في الصف الثالث الابتدائي والفضل يرجع بعد الله إلى خالتي زهراء بنت صالح محمد الفرج -رحمهما الله جميعا- فقد كانت هذه الإنسانة تشتري إليَّ بعض القصص وتحضرها إلى منزلنا وتطلب مني قراءتها لها، هذه الإنسانة الرائعة الطيبة والأمية في نفس الوقت هي التي غرست فيَّ حب هذه العادة الحسنة، وعندما تسافر إلى العراق في ذلك الوقت لا تحضر إلا ومعها مجموعة من القصص والكتب الصغيرة، فهي شغفة بالاستماع للقراءة، وفي بعض الأوقات تناقشني فيما قرأت لها وكأنها تريد أن تعرف عن مدي استيعابي لما قرأت، كنت قريبًا منها جدًّا وعندما رحلت عن هذه الحياة تركت فراغًا كبيرًا في حياتي حيث فقدت حلقة من أهم حلقات القراءة، وكلما تذكرتها وهي جالسة مع والدتي وبعض الجيران من النساء وأنا بينهم قارئ وهي تشيد بي وتشجعني على ذلك ازددت شوقًا وآسى عليها، لكنني واصلت مشواري هذا بكل عزيمة وإصرار حتى جاءت المفاجأة القاسية التي كادت أن تحطم طموحي وتقبر آمالي عندما فوجئت بوالدي -رحمه الله- يسحب مني كتاب ألف ليلة وليلة وينهرني عن قراءته؛ لأنه يرى فيه إفسادًا للذوق ومغايرًا للعادات والأخلاق وبعد تحذيرات

متتاليـة، أصبـت بـردة فعل، لكن بعـد أن هدأ روعـي اتجهت إلى صديق لي وطلبت منه أن يقرضني ثلاثة ريالات لأشـتري به تلك المجموعـة ورجوته الاحتفاظ بها في منزله وأن يسـمح بين وقت وآخر لي بقراءتها.

كتاب ألف ليلة وليلة وسّـع خيالي وجعلني أقرأ بنهمٍ شـديد حتى حفظت معظم الأشـعار الواردة فيـه خاصة الغزلية والعاطفية منـه، انتقلت بعـد ذلك لقراءة الكتب التي تغـرس مكارم الأخلاق وتنشـر مبادئ الثقافة الإسـلامية كنهج البلاغة الذي كان له نصيبٌ فـي صقـل موهبتي، كنت أشـترك أيضًا مـع أتراب لي في سلسـلة منابع الثقافة الإسلامية الصادرة في النجف وتصلني بالبريد شهريًا كان ذلـك في حدود سـنة ١٣٨٤هــ، بعد ذلك ركـزت على قراءة مجلـة العربي الصادرة فـي الكويت حيث كانـت المجلة الوحيدة التـي تصلني بانتظام وهي تحمل مواضيـع مختلفة، في هذه الفترة حـدود سـنة ١٣٨٩هـ أخذت أكتـب بعض الخواطـر والمواضيع الإنشـائية وكنـت أتفـوق علـى زملائي فيهـا، ثم أخذنـي الطموح لقراءة أخرى مثل كتاب البؤساء لفيكتور هيجو قرأته خمس مرات متتاليـة، اطلعت على الكتـب المترجمة ولـم يمرّ يومًا إلا وأنا أقرأ، قرأت أكثر من مائة وسـتين كتابًا متنوعًا، ناهيك عن قراءة سور من القرآن الكريم كل يوم، وعندما كنت أعمل في المدينة المنورة كان معظـم زملائي من سـكان البادية والعمل أصلًا يتركـز في الأودية

والصحاري حفظت في تلك الفترة الكثير من أشعار البادية واختلطت بهم في مرابعهم لكنني لم أهجر الكتاب كلما أتيحت لي الفرصة.

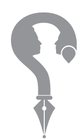
- **هل ترى في الساحة الإعلامية بارقة أمل في وصول الأدب القطيفي إلى العالمية؟! بحيث يكون صرحًا ومعلمًا معروفًا ومطروحًا على جميع الساحات؟!**

سعود الفرج: هذا سؤال صعب لا أستطيع الإجابة عنه في الوقت الحاضر، أتركه للأيام هي التي تقرر ذلك:

فالليالي من الزمان حبالى
مثقلات تلدن كل عجيبة

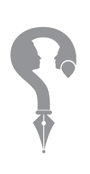
- **هل تستطيع أن تقسم لنا الأدب القطيفي المعاصر إلى مراحل؟! فكم مرحلة برأيك مرت على الأدب القطيفي؟**

سعود الفرج: الأدب القطيفي كغيره في محيطنا العربي والمحلي لا يختلف عنه المرحلة الكلاسيكية والرومانسية إلخ، لا يوجد شيء يميزنا عن غيرنا فنحن متأثرون بحركة التجديد في العالم العربي ولسنا مؤثرين.



- **تعتقد أن مقص الرقيب له دور سلبي في الحدّ من إبداع المبدعين؟**

سعود الفرج: نعم، إن مقص الرقيب لدينا هو أمّ المشاكل أمام الكتاب، وهو الذي يحدّ من طموح المبدعين ويعطّل الطاقات، فبدون حرية الفكر الهادف لا يمكن أن تتقدم المجتمعات وتصبح قادرة على العطاء والمساهمة في بناء الحضارة ومشروعها المعرفي.



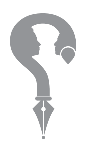
- **الشعر والحياة موضوع كتب عنه الكثير من الأدباء والنقاد.. ما هو نصيب الحياة الاجتماعية والوطنية والقومية في شاعريتك؟**

سعود الفرج: شاركت شعرًا في معظم القضايا الاجتماعية والوطنية والقومية امتدادًا من هموم المجتمع، وكتبت قصائد في الوطن، وساهمت بشعري في الأحداث التي مرت بها أمتنا العربية ابتداءً من الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان وغزو العراق وغيرها كأحداث البوسنة والهرسك، لكن الموقف الذي آلمني كثيرًا وأنا أرى الطائرات الإسرائيلية تعربد في سماء لبنان في حرب تموز والعرب قد وقفوا موقف المتفرج الذليل فإذا بالشعر يتفجر عندي كالبركان عبر قصيدة مطلعها:

بيـروت لا ترتجـي نصـرًا مـن العـرب
غيـر التخـاذل والأحقـاد والتعـب

ثـم تأتي مجـزرة قانا الثانيـة التي نفّذها الجيش الإسـرائيلي أيضًـا مرة أخرى بأطفال لبنان على مرأى ومسـمع مـن هذا العالم أجمع، فأقول فيها:

أيـن الحقـوق التـي نـادت بهـا أمـم
فـي كل يــــوم لهـا قتـل وعنـوان
أطفـال قانـا وقـد سـارت مواكبنـا
فـــي أمـــة جلّــها للغـرب إذعـان



- **هل يصنِّف الفرج نفسـه نصيـرًا للمرأة وأدبها في المملكة والخليج؟!**

سعود الفرج: نعم سأبقى نصيرًا لها، ويكفي أنني ألفت كتابًا عن شـعرها أسـميته شـاعرات معاصرات من الجزيـرة والخليج، وهـو أول كتـاب يتحـدث عن شـعرها بتوسّـع وصـدق حتى غدا مصـدرًا للدراسـات والأطروحات الأدبيـة حول شـعر المرأة في الجزيرة والخليج بشـهادة النقاد والمحلليـن، كما أنني أدعو دائمًا لمشاركة المرأة في جميع المحافل والمنتديات الأدبية وغيرها في حدود المتفق عليه، ولكن ليس بالإقصاء والتهميش المتعمد الذي يحدّ من نشاطها، ويدفن مواهبها.



- **كيف نغيّر النظرة الاجتماعية الدونية للمرأة من خلال الفكر والأدب؟**

سعود الفرج: إذا أردنا فعلًا أن نسهم في تغيير هذه النظرة الدونية عنها، يجب علينا أولًا إفساح المجال أمام إبداعاتها المختلفة واحترامها كإنسانة لها وجودها الفاعل حتى تصبح مساهماتها واضحة للعيان، فهي تملك قدرات هائلة قد تتفوق على الرجل أحيانًا، وألاحظ أن العديد من النساء السعوديات قد تقلّدنا مناصب عالمية خارج الحدود مثل ثريا عبيد مساعد رئيس اليونيسيف في الأمم المتحدة وحياة سندي والشميمري في وكالة ناسا للفضاء بالولايات المتحدة الأمريكية وغيرهن من النساء السعوديات اللواتي يحملن مؤهلات علمية متميزة أثبتن جدارتهنَّ بقوة واقتدار داخل الوطن.

- **انطلاقًا من كثير من قصائدك كقصيدة (بوحي)، التي تقول فيها:**

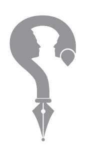
يا رِقةَ الفجرِ في موجي وشطآني
يا روَعةَ اللحنِ في شعري وَوُجداني
يا رحلةَ العمرِ في نهري وذاكرتي
يا أجملَ الناسِ ألقاها وتلقاني
أيقظتِ فيَّ أحاسيسًا وأزمنةً
كم ظلَّ فيها الهوى بالحبِّ يرعاني

أنـتِ الروايـةُ فـي فكـري فأكتبُهـا
أنـتِ السَّـنا فـي الدجـى بالنورِ يغشـاني
بوحـي بسـرِّ الهـوى يـا منيتـي أمـلا
لا تتركينـي غريبًـا بيـن خلّانـي
مـا زلـتُ أصبـو إلـى رؤيـاكِ منتظـرًا
منـكِ الـودادَ هـوىً يـا عمـريَ الحانـي



ألا تعتقـد أن ما تدعو إليه من انفتاح، قد يصل إلى محيطك، فهل تتقبل ذلك؟

سعود الفرج: هذا شعر، والشعر عواطف وأحاسيس، والخطاب موجّه لها، ولا يوجد فيها أيّ نوع من المجون أو الإباحية، فهذه القصيدة تميل إلى العذرية لكنها تتسم بالشفافية والعاطفة الإنسانية المتدفقة بصدق وإحساس ولم أسمع أي نوع من هذا الكلام إلا منك أستاذي حسن، ولو عدت لقراءة القصيدة مرة أخرى بتمعن وعمق لغيرت رأيك نهائيًا. وقلبت السؤال بالعكس.



- **ما هي (المرأة) كما يراها الأديب الشاعر سعود الفرج؟**

سعود الفرج: المرأة عندي مصدر الحب والحنان، ومن دونها تصبح الحياة عديمة الجدوى، وأنا مدان للنساء من رأسي

حتى أخمص قدمي، وأرى في المرأة منهل إلهامي ومصدر إبداعي وسعادتي في هذه الدنيا، فأول من أرضعتني الحبّ والحنان امرأة هي أمي شيخة بنت صالح محمد الفرج- رحمهما الله- التي أهديتها باكورة إنتاجي الشعري وفاءً لها بقولي:

إلى روح أمي، التي علمتني حبّ كل الناس، وعرفتني بأن الحب: بلسم وشعور وإحساس.

وأول من شجعتني على القراءة وحببت إليَّ هذه العادة الحسنة امرأة، وهي خالتي زهراء بنت صالح محمد الفرج، ومن رأيت فيها العطف والمودة وأنا طفل امرأة من أقاربنا من آل الناصر ببلدة الأوجام، هي فاطمة بنت أحمد الناصر- رحمهم الله جميعًا- واحدة وقفت إلى جانبي بكل تفانٍ وإخلاص فأسهمت في مسيرتي الأدبية ونجاحها لما هيأت إليّ من أجواء مشجعة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه فهي زوجتي وشريكة حياتي زكية بنت منصور آل الشيخ، التي أطلقت عليها اسم المرأة المتميزة في قصيدة شعرية موجودة في ديوان شعري (ربما أمل)... «المرأة عندي جوهرة ثمينة تحتاج إلى غواص ماهر كي يدخل قلبها»، لذا فأنا أرجع كل هذه النجاحات التي حققتها في حياتي إلى دور المرأة الإيجابي فيها.

من هنا يجب أن نعي دور هذه الإنسانة وأن تحظى منا بكل تقدير واحترام.



- **ألا تعتقـد أن هنـاك خطوطًـا دينيـة حمـراء وضعهـا الديـن الإسـلامي حـول المـرأة لا يمكننا تجاوزها؟**

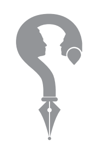
سـعود الفرج: هـذا صحيح! لكن هـل فهم النـاس حقوقها وطبقوهـا بحذافيرهـا أم أن العـرف والتقاليـد وقفـت سـدًّا منيعًـا أمام حقوقها المشـروعة التي وهبهـا خالق الكون لها؟ نعم، بعض العادات والتقاليد لعبت دورًا كبيرًا في هضم الحقوق. سواء كانت بطريقة مقصودة أو غير مقصودة.



- **لوحـظ كثـرة رحلاتك وحبك للسـفر، ما هو الباعث النفسـي لهذا الحـبّ؟ وهل له أثر في شاعريتك؟**

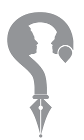
سـعود الفرج: السفر عندي ترويح للنفس وتوسيع للمدارك وتطـور للفكـر وإثراء للثقافة، فهو يكسـب المرء ثقافـة وخبرة من خـلال الاطّـلاع على عـادات وتقاليـد الأمم والشـعوب، ويؤدي إلـى التعرف عن قرب إلى هذا العالم فيـزداد المرء قربًا من النفس الإنسانية، وكلما وقفت على جمال وطبيعة الدول التي زرتها تدفق الشعر عندي طواعية من دون تكلف.

* * * *



• تلقيت دعوة من مهرجان فاس الدولي الأول للإبداع الشعري في عام ٢٠١٠م، ممثلًا للمملكة، حبذا لو أعطيتنا نبذة عن دورك في المهرجان؟

سعود الفرج: وجهت إليَّ الدعوة من قبل رئيسة المهرجان الشاعرة فاطمة بوهراكة للمشاركة وتمثيل بلادي المملكة العربية السعودية هناك، وفعلًا استجبت لذلك، وتوجهت إلى هناك حيث ألقيت العديد من قصائدي بالمشاركة مع مجموعة من الشعراء والشاعرات العرب، وقد كان تواجدي في مدينة فاس المغربية فرصة لا تعوض؛ لأنني تعرفت إلى الكثير من الأدباء والنقاد، والمناقشات التي دارت بيننا أكسبتني ثقافة وانفتاحًا على العديد من المدارس الشعرية والنقدية، ولا زالت العلاقة بيننا مستمرة عبر التواصل الالكتروني، وقد وجدت نفسي هناك ألقى الاحترام والتقدير فعلًا، ولا أنسى ذلك الموقف المؤثر حتى الآن عندما وقف نساء فاس وسط المسرح مصفقات لمدة دقيقتين عبر نص ألقيته بعنوان أيّ أنثى فسقطت دمعات من عيني على الورق من نشوة الفرح، وعند خروجي وقفن عند الباب أربع نساء يثنين على النص عبر تحيات تغشاها الابتسامات وتعبيرات الثناء قائلات: حقًّا إنك من أنصار المرأة، أما اللقاءات الجانبية التي كانت تتم بيننا كشعراء فقد كان محورها النقاش الهادف عبر إظهار إيجابيات النصوص وسلبياتها بكل وعي واحترام ومسؤولية. إن التقوقع في محيطنا الاجتماعي هذا لا يكسب المرء ثقافة وانفتاحًا أبدًا.



- **وماذا عن زيارتك لكلية اللغات بجامعة بكين في الصين؟**

سعود الفرج: في عام ٢٠١٠م، زرت الصين وكان أكثر ما يشدّني إلى ذلك هو زيارة سورها العظيم الذي يبلغ طوله ٦٤٠٠ كيلو متر، والذي يعدّ من عجائب الدنيا السبع حيث المسموح للسواح زيارته فقط هو ستة كيلومترات، وقفت على هذه المساحة وشاهدته عن كثب، أذهلني فنه المعماري رغم تقادم الزمن عليه، لكن كان الأكثر اهتمامًا عندي هو التوجه لكلية اللغات بجامعة بكين، حيث تضم مكتبة الجامعة الضخمة حقًّا مليار ومائتي عنوانٍ، التقيت مدير مكتبة اللغات وأهديت المكتبة سبعة كتب من مؤلفاتي، فأبدى إعجابه واحترامه قائلًا: إنك أول مؤلف عربي يزور المكتبة ويهديها مؤلفاته، ثم تجولت في أقسام المكتبة المختلفة برفقته، أطلعني على قسم اللغة العربية وفن تدريسها والذي نحن العرب لا نملك أسلوبًا حديثًا في تدريس لغتنا غير الحشو والتلقين. وبعد انتهاء الزيارة رافقني حتى بوابة الخروج وسلمني شهادة تقدير.



- **هل لي أن أسأل حول نقّاد القطيف، بين النقد البنّاء والهدّام؟**

سعود الفرج: لا يوجد لدينا نقاد بمحافظة القطيف بالمعنى المفهوم وحسب الاصطلاح الأدبي والعلمي الذي يرتكز على

عوامل النقد المتعارف عليها حسب المعايير النقدية، فمعظم من يسمّون أنفسهم نقادًا هم بعيدون كل البعد عن النقد، بل يحملون معاول هدم هدفها الأول والأخير هو حب البروز والشهرة ومحاولة إجهاض المواهب ووأدها، ناهيك عن محاولاتهم الجادة لتهميش أعمال العاملين، الناقد الذي نتطلع إلى رؤيته هو ذلك الناقد الواعي الذي يبرز إيجابيات النص وسلبياته ويبتعد عن الشخوص ويركز على النصوص، وهذا غير متواجد في هذا الوقت بيننا للأسف الشديد.



- **بالنسبة إلى مؤلفاتك القادمة، هل من الممكن أن تحدّثنا حولها باختصار؟**

سعود الفرج: لا زلت أراوح في اختيار إصداري القادم، فعندي ثلاث مخطوطات، سأختار واحدة منها، إن شاء الله وكل شيء يأتي في وقته متألق وجميل يا أستاذ حسن.



- **لكل أديب وشاعر فلسفة ما يؤمن بها ويعمل منطلقًا من داخلها، ما هي فلسفتك في الحياة؟ ومتى تبلورت؟ وما هي العوامل الفكرية التي ساعدت على تبلورها في ذاتك وتكوينك الإبداعي؟**

سعود الفرج: فلسفتي ترتكز على عدة نقاط، أهمها: عدم

الاستسلام لليأس والإحباط، وأن أكون مؤمنًا بكل ما أسعى إليه، وأن أضع نصب عيني عدم ظلم الناس، وأن أسهم في بناء وتطوير مجتمعي وبلدي، وأن أنظر إلى هذا العالم من حولي نظرة إيجابية تتسم بالإنسانية والمودة والتعامل الأخلاقي، كما قال الإمام علي عليه السلام: «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»، وأن أعتبر نفسي طالبًا متواضعًا حتى نهاية العمر؛ لأن هذا يقودني دائمًا للنجاح.



كلمة أخيرة للشاعر سعود الفرج؟

سعود الفرج: في نهاية هذا اللقاء لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لك أستاذنا الفاضل حسن الخاطر على ما شملتني به من رعاية واهتمام عبر هذا الجو الحواري المتميز الذي يدلّ على أريحيتك وسمو أخلاقك العالية ونبل كرمك الفياض بالودّ والمحبة، كما أشكر رئيس تحرير هذه المجلة مجلة الخط والمسؤول عنها الأستاذ الفاضل فؤاد نصر الله، صاحب منتدى حوار الحضارات، وجميع العاملين بها والمتعاونين أيضًا، سائلًا الله العلي القدير التوفيق والسداد للجميع، وإلى اللقاء.



٨
الأديب الخطيب
محمد آل ناصر



الأديب الخطيب محمد آل ناصر[1]

أَعَـزُّ مَـكانٍ فـي الدُّنَى سَـرْجُ سـابحٍ
وَخَيـرُ جَليـسٍ فـي الزّمـانِ كِتـابُ

أبو الطيب المتنبي

رغـم أن العالـم يشـترك فيـه كل البشـر، غير أن لكل إنسـان عالمـه الخـاص بـه، هكذا شـعرنا عندما ذهبنـا إلى شـاعر الوادي لإجـراء هذا اللقـاء، كانت لحظات جميلة مـن الصعب توصيفها، أقـل مـا يمكن أن نقـول فيها: إنه أخذنا في عالـم مـن قوة جماله لم نشـعر بمرور الوقت، وبالتأكيد إذا وصل الإنسان لهذه الحالة فهو يعيش في سعادة كبيرة، فسـاعات السعادة يشعر الإنسان أن الزمن يتقلص فيها والعكس صحيح.

سـوف نترككم أيها القرّاء الأعزاء مع هـذا الحوار الذي من

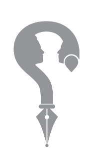
(١)نشرت في مجلة الخط، العدد الثالث-جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ.

خلالـه تسـتطيعون أن تشـعروا بجمال اللحظات التي عشـناها في محيط عالم شاعر الوادي الخاص.



- **قبل أن نبدأ بالحوار يا شـاعر الوادي، أظن أن الكثير سيتسـاءل: من الـذي أطلق عليك هذا اللقب؟**

محمـد آل ناصر: هذا اللقـب أطلقه الأب الروحي أسـتاذنا العلامة الشـيخ عبد الحميد الخطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من أجمل الألقاب التـي أعتز بهـا في حياتي، ومـا زلت أحتفظ بقصاصـة ورقية بخط الشيخ، وسوف أطلعكم عليها.



- **حدثنا عن سـيرتك الذاتية بإيجاز، لما لها من أهمية، خصوصًا أنه لم ينشر منها إلا اليسير؟**

محمد آل ناصر: بالنسـبة للمولد لم أتوصل إلى سنة مولدي علـى وجه الدقة؛ لعدم وجود شـهادات ميـلاد ولا اهتمام من قبل الأسـر بهذه النقطة في تلك الفترة، لكن على الأغلب ستكون سنة ميـلادي في بدايـة السـتينيات الهجرية من القـرن المنصرم، كحل وسـط لاختـلاف المؤرخين حول ذلك، ومسـقط رأسـي في قرية القديح بطبيعة الحال.



- **لكل فرد بيئة أسرية مساهمة في صقل شخصيته وأفكاره، فما كان دور والديك في نشأتك؟**

محمد آل ناصر: لقد ولدت من أبوين صالحين، فالأمّ من آل عمران، وكانت لا تقرأ ولا تكتب، لكنها تتمتع بوعي وخُلق ودين، أما الأب فهو حسن بن مكي آل ناصر، وهو خطيب، وله يدٌ في كثير من العلوم كالفلك والرياضيات، كما يوجد لديه بعض المؤلفات كـ(الأزهار الناضرة) وهو في سيرة أهل البيت عليهم السلام، وعليه تقريظ مجموعة من العلماء، وهم: (السيد محمد باقر الصدر، السيد محمد جمال الهاشمي، آغا بزرك الطهراني)، وسوف أطلعكم على هذا التقاريظ.



- **كما للأسرة دور في حياتك، فما هو دور البيئة الاجتماعية التي تلقيت فيها تعليمك؟**

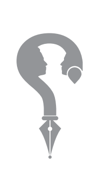
محمد آل ناصر: لقد عشت في القديح، وهي بيئة عُرفت بالكرم، والشجاعة، والوفاء، وقد أخذت القراءة (الخطابة) عن أبي الذي كان خطيبًا آنذاك، وأرسلني أبي إلى التعليم الحكومي وقد وضعت في الصف الرابع مباشرة دون المرور بالفصول السابقة بناءً على كلام المعلمين الذين رأوا أنني أستحق الفصل الرابع. كان هذا مؤشرًا جيدًا لمواصلة دراستي، وبالفعل فقد

أنهيت دراستي الثانوية وتقدمت للجامعة، لكن كانت عندي رغبة شديدة في الدراسة الحوزوية فذهبت إلى النجف تاركًا الدراسة الأكاديمية وراء ظهري.

فقرأت النحو أكثره لدى الخطيب اللوذعي الملّا علي الطويل في القطيف، ثم ذهبت إلى النجف وحضرت عند بعض العلماء هناك، كـ (السيد حسن الهاشمي، السيد هاشم الهاشمي، الحجة الدكتور عبد الهادي الفضلي، العلامة الشيخ منصور البيات)، وقد بارك سفري العالم الجليل العلامة الشيخ فرج العمران رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث كان مهتمًا بذلك، وهذه الخطوة كانت بعد وفاة الحجة الشيخ حسين القديحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك في سنة ١٣٨٦هـ.

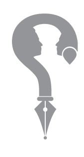
وبعد سنوات الدراسة التي قضيتها في النجف عدت إلى القطيف، وبسبب موت والدي لم أستطع الرجوع إلى النجف لظروف الحياة الصعبة، فالتحقت بوظيفة في العمل الحكومي طيلة ٣٠ عامًا، وبالرغم من ذلك لم أمتنع عن مواصلة دراستي، بل حضرت عند والدي الروحي العلامة الشيخ عبد الحميد الخطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المنطق والأصول والفقه، كما حضرت عند كلٍّ من العلامة الشيخ عبد الله الخنيزي، والعلامة الشيخ منصور البيات رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفقه، فلهم الشكر الجزيل على هذا الاهتمام.

* * * *



- **حقًّا يا شاعر الوادي، من يقرأ هذه السيرة الذاتية الموجزة، يعلم أنكم قد أتعبتم أنفسكم في التحصيل العلمي، أما الآن فحدثنا عن إنتاجكم الأدبي والكتابي والخطابي ودعنا نبدأ بها، فممن استقيتها وهل تأثرت بأحد؟**

محمد آل ناصر: الفضل يعود لأبي، حيث دربني عليها عدة سنوات، كذلك لا أنكر فضل الخطيبين (السيد جعفر الخضراوي، الشيخ محمد حسن المرهون)، فقد تدربت عليهما في ممارسة الخطابة لأكثر من ست سنوات، ولم أتأثر في الخطابة بأحد؛ لأنني لا أحب التقليد.



- **يا شاعر الوادي، وماذا حول إنتاجكم الأدبي والكتابي؟**

محمد آل ناصر: مارست الكتابة منذ صغري، وأول كتاب ألفته هو كتاب (الله الخالق القدير)، وكنت في بداية عقدي الثالث، وقد طبع هذا الكتاب بالنجف الأشرف عام ١٣٨٢هـ. واعتنيت كثيرًا بالتاريخ والتراجم، وقد كتبت تاريخ بلدي (القديح)، حيث رأيتها بلدًا لم يكتب عنها، فقضيت أربعين عامًا في البحث عن تاريخها جغرافيًّا، وفكريًّا، وأنجزت حتى الآن كتبًا، هي: (تاريخ القديح، أعلام القديح، الأمثال العامية في القديح، الأدب الشعبي

في القديح، عشائر القديح)، ويوجد لدي أكثر من ستة دواوين من الشعر منها (أفواف الربيع، قطوف، كلمات حزينة، صداح وجراح، نفحات الولاء)، وأرجوزة في تاريخ القديح سميتها (قصة القديح شعرًا)، ورباعيات في تاريخ (مضر).

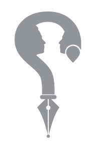
إن جميع مؤلفاتي مخطوطة ما عدا كتاب (الله الخالق القدير)، وأتمنى أن تخرج هذه المؤلفات والدواوين إلى متناول إخواني القرّاء قريبًا إن شاء الله.

- **الكثير من الناس يا شاعر الوادي يتكلمون حول حبّك للتراث وحول متحفك الجميل؛ هل بإمكانك أن تحدثنا عن بداية هذا العشق الجنوني -إذا صحّ استخدام التعبير- هل سار بك في درب هذا العشق أحد؟**



محمد آل ناصر: اشتقت إلى هواية التراث في بداية العقد الثالث من عمري، بدءًا بجمع الطوابع والنقود والأحجار الكريمة، ثم ازداد نشاطي وحبي لجمع التراث بكل أنواعه، وقد جمعت من الأسواق والمهتمين ما يشكل متحفًا مميزًا، وهذه الهواية كانت اندفاعًا ذاتيًا مني.

****



- **كما نعلم أن أهل التراث يبذلون مبالغ ضخمة حول مقتنياتهم، فما هي أغلى القطع التي يضمها متحفك؟**

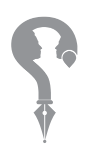
محمد آل ناصر: كل قطع متحفي غالية! لكن بعضها يمتاز على بعض، فعلى سبيل المثال حول المصاحف: (مصحف بخط ابن البواب تاريخه ٣٩١هـ، مصحف بخط حافظ عثمان تاريخه ١٠٩٧هـ).

الساعات كمثال على ذلك: (ساعة لا تملأ بالبطارية ولا بالكهرباء ولا بمفتاح، كروية الشكل تضعها على أي سطح منحدر فتعمل بدقة فائقة، ساعة كروية الشكل بها رمانتان: ذهبية وفضية، يحددان توقيت الساعة).

بالنسبة للأواني الزجاجية، منها: (مزهريتان زجاجيتان من العصر الفاطمي)، والأواني النحاسية، منها: (صحن من العهد السلجوقي، طاسة كبيرة من العهد الصفوي)، كذلك الأواني الطينية: (أوعية من العهد الروماني)، أما النقود فأندرها وأغلاها الدراهم الرضوية التي ضربت باسم علي بن موسى الرضا عليه السلام [ولي عهد المأمون]. ويوجد عندي أحجار نادرة جدًّا، أندرها فص رُسمت عليه الكعبة الشريفة بقلم القدرة الإلهية، وفي مجال الطوابع فيوجد عندي طوابع الدولة القاجارية والدولة العثمانية.

ويوجد في المتحف الكثير من النفائس، كستارة الكعبة

بأنواعهـا، وأوانـي زجاجية مزجّجـة بالذهب، ومحابـر من العهد الفاطمي، وأقلام وريش كتابة صنعت من الذهب، وساعات جيب وجدارية ويدويـة، بعضها عليها صور الملوك، إضافة إلى أسـورة نسائية وقلائد ذهبية وفضية ووثائق تاريخية ومخطوطات.



- **يا شاعر الوادي، أظن أن الكثير بعد أن يقرؤوا هـذا اللقـاء سيشـتاقون لرؤية متحفكـم، فما موقفكم من ذلك؟**

محمـد آل ناصـر: متحفي مفتوح للجميع دون اسـتثناء، من يريد الزيارة يتصل عليَّ، وسوف يلقى ما يسر خاطره إن شاء الله.



- **مقتنيـات المتحـف الثمينة تدلّ على سـعرها الباهظ، فهل يا شـاعر الوادي تلقيت مساعدة مادية من أي جهة في إنشاء هذا المتحف؟**

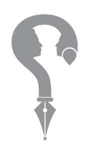
محمد آل ناصر: كل ذلك جمعته من مالي دون دعم من أحد.



- **لماذا لا نجد لك حضورًا في وسـائل الإعلام المختلفة بالرغم من أنك تملك الكثير لتقدمه للمجتمع؟**

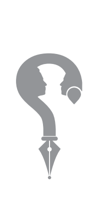
محمـد آل ناصـر: أنـا من النـاس الذيـن لا يحبون الشـهرة

والظهـور، ومـا حصل لي من لقـاء فهو قليل جـدًّا، وقبل حواركم هذا كان لي قبل بضعة أسابيع لقاء في الإذاعة السعودية.



- **الثـروة التاريخيـة والثقافيـة التـي يضمهـا متحفك، ما هو حلمك لمستقبلها؟**

محمـد آل ناصـر: أتمنى حجز مسـاحة ولو مصغـرة في بيتي لترتيب هذه القطع النفيسة والآثار الثمينة ليكون للزائرين فيه نصيب.



- **المعذرة يا شـاعر الوادي! إننا حقًّا مدهشـان من كلامك حـول المتحف، ولنا الفضول في رؤيـة ما ذكرته، ولا أظن أن هناك فرصة ذهبية سـتتاح لنا أفضل من هذه الفرصة، فهل تمانع من رؤيتنا متحفك والتقاط بعض الصور؟**

محمد آل ناصر: بالتأكيد لا أمانع من ذلك، وفي الواقع إنني سعيد جدًا بهذا اللقاء، والمتحف بين أيديكم، شاكرًا لكم على هذا اللقاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.




٩
الروائي الصغير
علي آل سليس



الروائي الصغير علي آل سليس[1]

«الْعِلْمُ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ».

مثل عربي

إن التطور الكتابي الهائل الذي حصل في مجتمعنا كفرع من فروع العلم هو شيء ملحوظ، فقبل خمسين سنة كانت القراءة والكتابة لا تكاد تذكر؛ لقلّة وجود المدارس والمصادر التعليمية، أما اليوم فربما لا تكون هناك غرابة في أن نجد إنسانًا في منتصف عقده الثاني يحيك بخيوطه الذهبية رواية جميلة.

لقد قدّم (علي آل سليس)، أصغر روائيي القطيف، رواية جديدة وقد حاز لجمالها على جائزة القطيف، وفي الواقع فإن القطيف فخورة جدًّا بمثل هؤلاء، نترككم أيها القرّاء مع هذا الحوار.

---

(١) نشرت في مجلة الخط، العدد الثامن – ذو القعدة ١٤٣٢هـ.



- **ما هو الحافز الذي جعلك تقدم على بدء مشروع كتابي، بالرغم من الصعوبات التي تحيط بمثل هذا المشروع؟**

علي آل سليس: حُبّ الكتابة والميل لها والنظر إليها كهواية وممارسة حضاريّة وتسخير مثالي للوقت، ومروح للنفس كذلك، إضافة للرغبة الكبيرة في تقديم الجديد والمميز للمجتمع.



- **كل عمل كتابي يحتاج إلى خلفية ثقافية واسعة، والرواية عمل ثقافي أدبي تحتاج إلى مخزون لغوي يستمد من الروايات وكتب الدراسات الأدبية، فمن أين تحصل لك هذا المخزون بملاحظة عمرك الزمني الصغير؟**

علي آل سليس: الشغف الشديد جدًّا بالقراءة منذ الصغر، وخاصة في جانب القصص والروايات الذي كان يستهويني بشدّة.



- **كل كاتب يقع في أكثر الأحيان في وادي الإحباط، فهل وقعت في هذا الوادي؟ وكيف استخرجت نفسك منه؟**

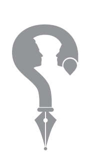
علي آل سليس: بالتأكيد، فكما تفضّلت، كلّ كاتب يجب أن

يمـرّ بكذا مراحـل، ولكن حبّ العطاء، الإيمان بالهدف والشـعور بالمسؤولية محفّزات مهولة للتقدم للأمام وعدم التفكير أساسًا في التراجع إلى الخلف، مهما كانت المؤثرات الخارجيّة، علاوةً على ذلـك الدعم والتشـجيع المعنوي من الكثيرين ممّن حولي، سـواء مـن ناحيـة أهل أو أصدقاء أو كتّاب ومثقفيـن، فكما هنالك جانب مثبّط، هناك جانب محفّز بالطبع.



- **مَنِ الكتّاب الروائيون الذين تأثرت بهم؟**

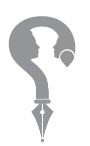
علـي آل سـليس: الروائـي الكبيـر دان بـراون، الـذي تأثرت في أسـلوبه السـريع والمتنقّـل بين الأحداث، وكـذا الروائيـة الراحلة أغاثا كريستي، خولة القزويني، الشيخ منصور آل سيف، عبده خال، وغيرهم.



- **العمـل الكتابـي كالمعركـة، مـن الصعوبـة أن يدخل فيها الإنسان ويخرج من دون جراحات، فكيف أقدمت على هذا العمل مع خطورته؟**

علي آل سـليس: أقدمت عليه مسـلّحًا بدعاء والديّ، إيماني بأهدافي، وحبّي لمجتمعي.

- **الكثير من الكتَّاب الذين أعرفهم استعانوا بأشخاص سـهّلوا عليهم الطريق وعبّدوه، والاسـتعانة تكون**



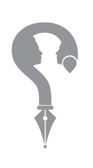
بجميـع أنواعها (المادية، المعنويـة، الفكرية،...) فمن أعانك في هذا العمل؟

علي آل سليس: هنالك الكثير ممّن وقفوا بجانبي ودعموني فـي بداياتـي، فبعـد توفيـق اللـه، يظهـر دور الوالديـن فـي جميع النواحـي، وكذلك خالي فاروق حماد، فقـد كان معي ومع العمل مـن الألـف إلى الياء، وكذلك الشـيخ منصور آل سـيف، فقد دعم وشـجّع وسـاند منذ البداية، وأيضًا مطبعة أطياف التي تبنّت العمل كاملًا، وكذا الرجل الذي لا أنسى أفضاله التي أعجز عن إحصائها السيّد عبّاس الشبركة-الأب الروحي لي وللعمل-.



- **أين تجد نفسك وسط الأدباء والروائيين في المنطقة؟**

علـي آل سـليس: من الصعب أن أجيب عن كذا سـؤال، لذا أتـرك الإجابة للمجتمع القـارئ، فهم أكثر حياديّـة ودراية وإلمامًا منّي، كونهم خارج دائرة المقارنة.

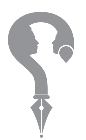


- **لقد فزت بجائزة القطيف للإبداع عام ٢٠١٠م، فرع الأدب، علـى روايتك (الحرباوات)، فهل من الممكن أن تحدثنا حول هذه الرواية؟**

علي آل سـليس: الحرباوات، رواية تتناول الشـباب بطريقة

خاصّـة ومكثّفـة، مسـلّطةً الضوء علـى تفاصيل حياتهـم الدقيقة- جـدًّا- وكاشـفةً السـتار عـن خفايـا كثيـرة وحسّاسـة فـي مجتمع الشباب الشبه مهمّش إعلاميًّا، فهي تتناول مواضيع جريئة وجديدة ولـم يسـبق التطـرق لها فـي أي أعمال أخـرى، وفي الوقـت ذاته، تراعي السقف الأخلاقي الموضوع لأي عمل أدبي، تدور أحداث الرواية بين سـتّة أبطال رئيسـييّن، وعدد من الشـخصيات الفرعية، حيث تتشـابك الخيوط السـتّة مع بعضها البعـض، وذلك بكونهم «شـلّة» واحدة، مشتركة المصير، وبالإضافة لذلك، فالرواية تطرح بعـض القضايـا الإيجابيـة في مجتمع الشـباب الواسـع، فهي تبيّن مـدى تأثيـر الصداقة على الشـاب المراهق الذي يسـهل تشـكيله بحسـب المحيط، وكذلـك تبيّن مـدى إيجابية العلاقـة القوية بين الأبناء والأهالي،وغيرها.

جاء في مقدمة الرواية: «في ظل حياتنا اليومية.. نعايش كثيرًا مـن الناس.. نحب بعضهم.. ونكـره بعضًا آخر، نتآلف كالعصافير البريئـة.. نتطـارد ونـأكل بعضنـا كالأسـماك الضخمـة.. نـدوس علـى غيرنا كالدينصـورات الجبّارة.. نقبل على رغباتنا وشـهواتنا كـالأسـود الجائعة.. غير مراعين للأرانب البريئة.. بكل بسـاطة.. نحن بشـر.. وفي نفـس الوقت.. حربـاوات..! لخصت حياتنا في شـخصيات متعددة.. نتعرف عليها شـخصًا تلو الآخر بين سـطور الرواية وأجزائها».



- **هل كانت مفاجأة لك أن تفوز بجائزة القطيف للإبداع؟**

علي آل سليس: أجل، فقد دهشت وسررت بشدّة في الوقت نفسه.



- **كيف تلقيت خبر الفوز بالجائزة؟**

علي آل سليس: في المهرجان الذي أقيم في قاعة الملك عبد الله، وفي الحقيقة وددت لحظتها أن أرى والدتي وحسب!



- **كتقييم شخصي بعيد عن العواطف متسم بالموضوعية، هل تعتقد أنك تستحق هذه الجائزة، خصوصًا مع وجود مشاركين لهم حضور في الساحة الأدبية؟**

علي آل سليس: من الصعب عليّ أن أقيّم نفسي، أو حتى أن أقيّم المشتركين الآخرين، فأنا لست على اطّلاع على جميع الأعمال المشاركة، وفي الوقت ذاته لا أعرف المقاييس والمعايير التي تمّ ترشيح الأعمال الفائزة على أساسها، فمن هذا المنطلق لا أستطيع الحكم بكون عملي يستحق الفوز أم لا؟! ولكن كل ما أستطيع قوله: إن العمل قُيّم من قبل لجنة خارجية (أجنبية) لا

تعرف كاتب العمل ولا حتّى أي معلومة صغيرة عنه، والعمل ولله الحمـد حقق نجاحًـا أكبر بكثير مـن المتوقع، وانتشـاره خير دليل على ذلك.



- **ما هي طموحاتك المستقبلية؟**

علـي آل سـليس: فـي الحقيقـة أنـا أعمـل الآن علـى رواية ومجموعة قصصيّة، وحاليًا آمل أن أوفّق فيهما بالصورة المطلوبة، خصوصًـا أنني مطالب بتقديم شـيء أفضل من الحرباوات، كونها عملي الأول، أما في المستقبل البعيد، فأتمنى من الله التوفيق وأن يرسّـخ أقدامي ويقوّم مسـارها، لأتمكن من المواصلة وتقديم كل ما هو جديد ومميّز.



القسم الرابع

المشاريع الفكرية والدينية

- حسن آل حمادة
- السيد عباس الشبركة
- حسن الصالح




١٠
الكاتب الإعلامي
حسن آل حمادة



الكاتب الإعلامي حسن آل حمادة[1]

«القـراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد؛ لأنها تزيد هذه الحيـاة من ناحيـة العمق، وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب».

عباس العقاد

في مسـاء يـوم الاثنيـن بتاريـخ ١٨/ ١٢/ ١٤٣٢هـ، دشِّـن مشـروع لأول مـرة يحـدث فـي محافظـة القطيف، وهـو معرض الكتـاب القطيفي الأول، وقد ضم المعـرض أكثر من ٥٠٠ عنوان قطيفي لفترة زمنية تمتد لأكثر من خمسين سنة، وكانت أهم أهداف هذا المعـرض هي: إبراز التراث القطيفي، وتشـجيع الكتّاب على نشر إبداعاتهم، والترويج لثقافة حب القراءة.

(١) نشرت في مجلة الخط، العدد العاشر-محرم ١٤٣٣هـ.

نشأت فكرة هذا المعرض من جمعية المكتبيين بالقطيف، وقد ذهبت ليلتها هناك، والتقيت عضو أساس جمعية المكتبيين بالقطيف، الأستاذ حسن آل حمادة، وقد عرف الأستاذ آل حمادة بمشروع ترويج ثقافة حب القراءة في الوطن العربي بشكل عام، وفي محافظة القطيف بشكل خاص، وبالتأكيد فإن مشروع هذا المعرض يقع في محيط دائرة المشروع الذي دافع عنه الأستاذ لأكثر من عقد من الزمن، وللأستاذ العديد من المؤلفات حول القراءة، ومن الملاحظ في كتبه الأخرى افتتانه بشخصية السيد محمد الشيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جلست معه هناك لأتعرف إليه عن كثب.



- **حدثنا بإيجاز، حول سجلكم الأكاديمي والوظيفي؟**

حسن آل حمادة: تخرجت في جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٤١٦هـ، حائزًا على شهادة البكالوريوس في تخصص «المكتبات والمعلومات»، والتحقت مباشرة بسلك التعليم، معلمًا لمادة «المكتبة والبحث»، في العام نفسه بواحة الأحساء، الجميلة بأهلها وطبيعتها، وبعد عام نقلت إلى واحتي الجميلة القطيف، وبقيت أيامًا في ثانوية القبلتين بالتوبي، وسنة في مدرسة النجاح الثانوية بالقطيف، وقرابة العشر سنوات في ثانوية الجارودية، ولا زلت أعمل ضمن الكادر التعليمي في مجمع ابن القيم التعليمي

الثانوي بسيهات/ نظام المقررات، وحاليًا أُدرِّس مادتي: «البحث ومصادر المعلومات»، و«المهارات الحياتية والتربية الأسرية».

- **عُرف عنكم الترويج للقراءة في المجتمع العربي، فما هو أول كتاب اقتنيته ومتى، وما هو أول مقال كتبته ومتى؟ وما هو أفضل كتاب قرأت لكاتب معاصر؟**

حسن آل حمادة: قد يكون من الطريف أن ألمح هنا إلى أنني بدأت القراءة الحرّة البعيدة عن كتب المقررات الدراسية باستعارتي لكتابٍ من مكتبة المدرسة أثناء دراستي في المرحلة المتوسطة، وقد كان هذا الكتاب يحمل عنوان: (المعزات الثلاث)، إن لم تخنّي الذاكرة.

أما عن أول كتاب اشتريته فهو كتاب صغير الحجم يتحدث عن: (الغناء في الإسلام)، ومنذ ذلك الحين بدأت تتشكل علاقتي الحميمة مع الكتاب، وكانت لي صولات وجولات بحثًا عن الكتب التي هي: نِعْمَ الُمحدِّث والقرين إن ملّك الأحبابُ.

ومن أوائل الكتب التي اقتنيتها خارج المقررات الدراسية أيضًا، هو كتاب: (الفضيلة الإسلامية)، للسيد محمد الشيرازي، حين كنت أدرس في السنة الأخيرة من المرحلة المتوسطة، ومن

ثـم توالـت الكتـب التي كنـت شـغوفًا بشـرائها وقراءتهـا، وكنت أتصفـح أكثرهـا باهتمـام، وأقـرأ مـا يجذبنـي ويهمني منهـا. وفي مرحلتي الثانوية قلت بشكل عفوي يحكي هذا الاهتمام:

سـر إلـى دار المعـارف لا تمـل
لتكُـن كالنجـم تسـطع بالضيـاء
واتـرك الجهـل بعيـدًا للـوراء
لتكُـن ضمـن صفـوف العظمـاء

أما عـن أول مقالة كتبتها، فلا أتذكر ذلـك الآن! نعم، أتذكر بأني كتبت مقالة بعنوان: «الطالب الجامعي.. الموسوعة المُغيِرة»، وكانت هي البداية الجادة من قبلي في ممارسـة الكتابة، وللأسـف لم أحتفظ بنسخة منها في الأرشيف.

وفيمـا يخـص أفضل كتـاب قرأتـه لكاتب عربـي! فبصدق أقـول: لا يوجد لديّ كتـابٌ أعتبره الأفضل فيما قـرأت! فالأفكار الجميلة وجدتهـا منثورة في كتب عديدة، لذا أنا حريص على تتبع مواطن الجمال في بساتين منوّعة، وأعمل بناءً على هذه المنهجية، بجد على تلّقي الحكمة أنى جدتها.

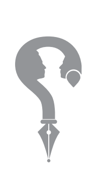
- **كتـاب (أمة أقرأ لا تقرأ)، طبع عام ١٤١٧هـ، وهـو أول كتـاب لكـم والأكثر شـعبية أيضًا، والكتاب يتحدث حول القـراءة وأهميتها في**



الارتقاء بالمجتمعات إلى الأفضل، فما هو الهدف الأساس الذي جعلكم تكتبون هذا الكتاب؟ وهل تعتقدون أن الهدف قد تحقق؟

حسن آل حمادة: هذا الكتاب كُتِبَ لِيُقَدِّمَ «خطة عمل لترويج عادة القراءة»، كما هو عنوانه الفرعي/ الحقيقي، وإنما وضعت عنوان: «أمة اقرأ لا تقرأ»، كعنوان صارخ؛ لألفت نظر المسؤولين والتربويين والمهتمين، بخطورة المسألة التي تعانيها مجتمعاتنا، ألا وهي مسألة: العزوف عن القراءة، وهي الظاهرة الملاحظة على مختلف الشرائح الاجتماعية، حتى أصبحت (القراءة الحرّة والجّادة)! عادة تمارس -على الأغلب- في نطاق المتخصصين فحسب، أما بقية ناس فيلجؤون إليها اضطرارًا!

- **عُرف عنكم العمل الجاد والمتواصل لترويج عادة القراءة في الوطن العربي بشكل عام، والمجتمع القطيفي بشكل خاص، من خلال الكثير من القنوات المتفرقة كالبرامج التلفزيونية والمحاضرات وورش العمل، فلماذا اخترت مشروع القراءة دون غيره من المشاريع؟**



حسن آل حمادة: لأننا لن نرقى إلّا بالقراءة، ألم يقل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «اقرأ وارقَ»؟ فبالقراءة نرقى في الدنيا والآخرة.

وحين نتمسّك بالكتاب ونأخذه بقوة، فسيكون بمقدورنا الانتقال بمجتمعاتنا من الظلمات إلى النور.

ولا يخفى عليك وأنت قريب من تجربتي، أن تخصصي في علم (المكتبات والمعلومات) قد ساعدني كثيرًا على مضاعفة اهتمامي بالكتابة فيما يخص مسألة (القراءة)، فقد علّمتني الحياة أن الإنسان بغير القراءة والكتاب يبقى في الدرك الأسفل من الجهل. ومنذ أن علمت بهذه الحقيقة عمدت لاحتضان الكتاب، وعندما شعرت بدفئه وفائدته، قلت في نفسي: لماذا لا تدفع الآخرين لاحتضانه أيضًا؟ وقد سلكت هذا الدرب؛ بمجموعة من الكتب ذات العلاقة، وهي: «أمة اقرأ.. لا تقرأ»، «الكتاب في فكر الإمام الشيرازي»، «العلاج بالقراءة»، «ويسألونك عن الكتاب»، وغير ذلك من المقالات والدراسات التي نشرت في صحف ومجلات مختلفة، وربما أجمع بعضها لاحقًا في كتب جديدة.

وهذا الاهتمام جعلني صاحب رأي في هذا الموضوع، كما هي رؤية المتابعين والمهتمين. لذلك دُعيت وشاركت في مناسبات مختلفة تُعنى بالقراءة والكتاب والنشر، -ولا زلت- ومنها مشاركتي في لجنة تنظيم معرض الكتاب العاشر بالقطيف عام ١٤١٩هـ عندما كنت عضوًا في اللجنة الثقافية للجنة الرئيسة (الأهلية)، لمركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.

كما حرّض اهتمامي المتصاعد بمسألة الترويج «لعادة

القـراءة» البعـض ليكتب حول اهتمامي وشـغفي هذا، في أكثر من وسيلة من وسائل النشر المطبوعة والإلكترونية، المحلية والعربية، حتـى إن أحد الكتّاب خصص فصلًا في كتاب له عني، وآخر نشـر مجلـدًا يحـوي مجموعة مـن الحـوارات أجراها مـع متخصصين كنـت أحدهـم، وثالـث خصـص فصليـن فـي كتابـه حول قـراءة نتاجـي الثقافي. كما أنني اسـتضفت لمرات عديـدة ضمن برامج: إذاعة الرياض وإذاعة طهران وعـدد من الفضائيات، منها: الثقافية السـعودية، القنـاة الأولى، المنـار، الأنوار، أهل البيـت، الأحمد. وأجريـت معـي لقاءات عديـدة حول تجربتـي القرائيـة والكتابية، جمعت بعضها في كتابي: «ويسألونك عن الكتاب».

وأقدمـت في خطـوة لاحقة بإعـداد وتقديم أكثر مـن أربعين حلقة في قناة الأنوار الفضائية، تحت عنوان: «وما يسطرون»، حيث التقيتُ المؤلفين السعوديين والخليجيين لنُعرِّف بكتبهم وأفكارهم الجديدة، لنُسهم بذلك في ردم الفجوة بين عالمي: الصورة والكلمة المكتوبـة؛ إيمانًـا منا بضرورة اسـتخدام كل الوسـائل المتاحة التي تمكننـا من إيصال الكلمة الهادفة، والفكر الرسـالي الخلّاق، لأبناء الأمـة الإسـلامية قاطبـةً، ولنظرائنـا فـي الخلـق كافـةً. إذ ليـس من المعقـول الاكتفـاء بالكتاب والاسـتغناء عن الوسـائل التكنولوجية الحديثـة التي بـرع في اسـتخدامها أعداء الإنسـانية لنشـر أفكارهم الهدّامة وسـلوكياتهم البهيمية؛ فهـذا منطق الجهلة الذين لا يفقهون متطلبات العصر وضرورات المرحلة، وما أكثرهم!

- **مـن الواضح فـي كتاباتكم الإعجـاب والتأثر الشـديد بالمرجـع الإمـام السـيد محمـد الشيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعلى سبيل المثال، (الكتاب في فكر الإمام الشيرازي)، (هكذا ربانا الإمام الشيرازي)، فما الذي وجده الأستاذ حسن آل حمادة في السيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ دون غيره؟**

حسـن آل حمادة: كان الإمام السـيد محمد الشـيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المثـال الشـاخص أمامي بلا أي منـازع آخر! فقد اكتسـبت الكثير من عناصـر القوّة من خلال التلمذة على فكـره الخلاّق، وتعلّمت الكتابة على كتبه!

وفيمـا يخـص مؤلفاتـي عنـه وحولـه، فلـم تكـن مقصـودة إطلاقًـا! فقـد كان كتابي: «الكتاب في فكر الإمام الشـيرازي»، في الأصل محاولة لعرض كتاب ألفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعنوان: «الكتاب من لوازم الحياة»، وأثناء الكتابة وجدت نفسـي مندفعًا لتحويل العرض إلى كتاب! والحمد لله أنه طبع طبعتين في حياة السيد الشيرازي، وقد قرأه، وهذا الأمر جعلني في غاية السـعادة، فأن تشـيد بجهد إنسان فـي حياتـه، وأن تكتـب عنه حرفًا فـي حياته، خير مـن ألف حرف تنشره بعد مماته!

وكما ترى، فهـذا الكتاب يأتي ضمـن اهتماماتي في الكتابة في مجال: «القراءة، والكتاب، والكتابة، والمكتبات».

وبعد رحيل الإمام الشيرازي، كتبت بعض المقالات والدراسات تزامنًا مع رحيله، وبعضها كان مُعدًّا للمشاركة في ندوات ومحاضرات، وتيسر لي جمع بعضها في كتاب: «هكذا ربَّانا الإمام الشيرازي»، وطبع في طبعتين أيضًا.

نيجيري معجب بالإمام الشيرازي:

ولعلّ من المفيد أن أسرد للقارئ الكريم هنا، ما كتبته في كتابي: «تجارب الكُتَّاب.. من القراءة إلى الكتابة»، تحت عنوان: «نيجيري معجب بالإمام الشيرازي»، والآتي نص ما كُتب:

«استقبلت قبل أربع سنوات تقريبًا مكالمة هاتفية من نيجيريا، وكان المتصل شخصًا كريمًا اسمه (إبراهيم المعظَّم)، وفاجأني هذا الرجل بمكالمته، عندما أخبرني أنه قرأ كتابي عن: «الكتاب في فكر الإمام الشيرازي»، وقد تحدث لي بإعجاب عن الكتاب وعن الإمام الشيرازي وقدّم شكره الحارّ لأنه تعرّف إلى الشيرازي من خلال كتابي إضافة لكتب الشيرازي نفسه. ومع كثرة الرسائل والمكالمات الهاتفية التي تلقيتها حول هذا الكتاب؛ إلاّ أنني سعدت بمكالمة المعظَّم كثيرًا، وكان لحديثه وقع خاص؛ كون هذه المكالمة تأتيني من بلد لم يكن في الحسبان.

ولشدة إعجاب المعظَّم بالإمام الشيرازي، فقد كتب لي رسالة خاصة وصلتني بالبريد في ٣/ ٧/ ١٤٢٩هـ؛ أخبرني خلالها،

أنه قد أسس مكتبة عامة شمال نيجيريا باسم الإمام الشيرازي «تبرّكًا باسمه»، وقال أيضًا: لم نقرأ ولم نسمع في التاريخ مؤلفًا كتب وألف أكثر من الإمام الشيرازي، الذي ألف أكثر من ١٠٠٠ كتابٍ وكتيبٍ وكرّاسٍ. كما قال المعظَّم إن كتابي أثّر في ذهنه أيما تأثير، ودفعه إلى أبعد الحدود، في القراءة، بل دعاه للكتابة والتأليف، وعدّد لي الأماكن التي نشر فيها. وشخص مثلي تكفيه حادثة كهذه ليستمر في الكتابة والتأليف، فثماري بدأت تؤتي أُكلها، بفضل من الله».

وفي ختام إجابة هذا السؤال، أقول: تعلمت من السيد الشيرازي أيضًا، أن أتجاوز فكره، وفكر غيره من العلماء والمفكرين، لكي أكون بحق، ممن ﴿**يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾[1].



- **هناك مقولة يهودية مشهورة تُنسب إلى وزير الدفاع السابق موشي ديان: «إن العرب لا يقرؤون، وإذا قرؤوا لا يفهمون، وإذا فهموا لا يطبقون»، أنا شخصيًا أتفق مع هذه العبارة، فماذا عنك؟**

حسن آل حمادة: قيلت هذه العبارة حين كانت إسرائيل تحقق انتصاراتها على العرب الواحد تلو الآخر! وقد استخدمت

(١) الزمر:١٨.

للاستهزاء بنا ومنا، فإسرائيل حينها، نشرت خطتها العسكرية وحققت انتصارها، ونحن نتفرّج!! فهي صحيحة بشكل نسبي! أما الآن فقد تغيرت المعادلة، ففي الأمة العربية من يقرأ، وفي الأمة من يفهم، وفي الأمة من يحقق انتصارًا على إسرائيل وترسانتها العسكرية، وهدفنا جميعًا أن ننفي هذه المقولة عمليًا لا نظريًا، والأمر بأيدينا إن أردنا تغيير الواقع، لنردد بعدها وبكل فخر مقولة: أمة اقرأ تقرأ! وهذا هو الهدف الذي ننشده جميعًا.

- **أستاذ حسن، أريد أن أعرف مجموعة الأسباب الحقيقية عن قلة القراءة في الوطن العربي وقلة الكتب المطبوعة، مقارنة بدول أخرى كأمريكا وأوربا مثلًا، وهناك إحصائيات مخجلة لا داعي لذكرها تبين ذلك؟**

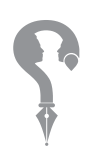


حسن آل حمادة: نحن نعاني من أزمة في صناعة الكتاب وتسويقه، ولو وجد ناشرًا حقيقيًا، لاستطعنا الترويج لآلاف النسخ من العنوان الواحد، فالناشر العربي عادةً، ناشر كسول لا توجد لديه حرفية في صناعة الكتاب وتسويقه! فطريقته المعتادة -في الأغلب- قبض تكلفة الطباعة من المؤلف ثم يسوق النزر اليسير، مع إيداعه معظم النسخ في المستودعات. وما يحدث في الغرب خلاف ذلك تمامًا، فالناشر هناك شريك حقيقي للمؤلف، فتجده

يقتـرح تعديلاً هنا، أو تصويبًا هناك، وربمـا اقترح تقديم فصل من الكتـاب، وتأخيـر آخر، كما تجـده يعمل دعاية ضخمـة لكتبه قبل طباعتهـا، لذا بمجـرد أن يصدر الكتاب تـرى الناس وقد تزاحمت حول أرفف المكتبات، لتحظى بشرائه.

عمومًا، فالأسباب التي تجعل مجتمعاتنا تعزف عن القراءة كثيـرة، ولعـلّ أهمهـا: غياب (سـلوك اقرأ) فـي تربيتنا: الأسـرية، والتربويـة، والاجتماعيـة، ولا نغفـل عن مسـألة تخلـي الكثير من وسـائل إعلامنا العربية عن ترسـيخ هذه العادة الحسنة، التي ترقى بالإنسان.

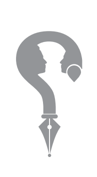
والخلاصة: نحن لا نقرأ؛ لأننا لا نعي أهمية القراءة ودورها فـي الارتقـاء بنا وبواقعنـا! و«مَنْ جَهِلَ شَـيْئًا عَـادَاهُ»! كما جاء في الأثر.



- **أحـد كتبكـم عنوانـه (كيـف نصنـع مجتمعًـا قارئًا؟)، حدثنا باختصار حول خطة العلاج التي وضعها الأستاذ حسن آل حمادة لهذا المرض؟**

حسـن آل حمـادة: في هـذا الكتـاب تطرقت بشـكلٍ مفصل، لجهات خمس من شـأنها أن تسهم في الترويج لعادة القراءة، وهي: الأسـرة، المدرسـة، الجهات الفاعلة في المجتمع، وسائل الإعلام،

الدولة. وقلت بأن الدولـة تتحمل العبء الأكبر بهذا الصدد، فبيدها أن تدعم الجهات الأخرى إن أرادت صنع المجتمع القارئ، وكلامنا هذا لا يعني تشجيع جهة ما لأن تتخلى عن مسؤوليتها، بهذه الذريعة، فـ«كلم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»، كما نقرأ في الحديث.



- **أحـد برامجكـم التلفزيونية (وما يسـطرون)، بثته قناة الأنوار الفضائية عام ١٤٢٨هـ، لفترة قصيرة، وأقـول مـن دون شـك وتـردد: إن هـذا البرنامج يمثـل خدمة كبيرة للكتّاب القطيفيين في إبرازهم وتعريـف المشـاهدين بهـم، وممـا يؤسـف أن البرنامج توقف، بوضوح تام حدثنا حول ذلك؟**

حسن آل حمادة: برنامج (وما يسطرون) كان من المحطات الجميلـة في حياتـي! وكما تعلم فإنـه يأتي امتدادًا لمشـروعي في الترويـج لعـادة القـراءة، فقد وجدت الفرصة سـانحة مـع بثّ قناة الأنوار الفضائية، لأن أعمل على تقديم برنامجٍ يخدم هذه الفكرة، فاقترحـت البرنامـج على القنـاة، ورحبت به على الفـور، والحمد للـه فقد قدّمت من خلاله أكثر من أربعين حلقة مع نفس العدد من المؤلفيـن القطيفيين والخليجيين أيضًا، وربما أسـهم البرنامج في الترويج لبعض الكتب، فبعد بث الحلقات تأتيني رسائل إلكترونية تسـألني عـن أماكن توافر هـذه الكتب التي عُرضت، كما سـمعت

الكلام نفسه من ضيوف البرنامج.

وربما أكرر تجربة تقديم برنامج (وما يسطرون) مع قناة فضائية أخرى إن وجدت عرضًا يحفظ لي جهدي المبذول؛ لأسهم بذلك في التعريف بالمؤلفين ومؤلفاتهم.

- **الكثير من التشريفات اقترنت باسمك، (عضو أساس في مجلتي (الكلمة)، (القرآن نور)، مُقدّم لبرنامج وما يسطرون، جائزة القطيف فرع الفكر والثقافة لعام ٢٠١٠م، مشروع القراءة الذي دافعت عنه لأكثر من عقد من الزمن، فماذا تعني لك هذه التشريفات في حياتك؟ وهل تشعر بسعادة تجاه ذلك؟**

حسن آل حمادة: أدين لكتاب «أمة اقرأ لا تقرأ»، بكل هذه الإسهامات، فبعد نشره، وجدت الكثير يسألني عن جديدي! وكان هذا الكتاب، خير محرِّضٍ لي على تقديم المزيد من العطاء والمزيد من القراءة أيضًا.

وحقيقة الأمر، أشعر بالسعادة لأني أسهمت بهذا العطاء اليسير، وآمل أن أتمكن من تقديم الأفضل ما حييت، فأنا أعتبر كل نتاجي السابق، بمثابة تدريب على الكتابة.



كلمة أخيرة للأستاذ حسن آل حمادة؟

أوّد أن أختـم بنصيحة تلقيتها من جدتي الهاشـمية، إذ قالت لي يومًا: «حسن! يا صغيري الجميل.

هناك قاعدة تقول: إن «لكل قارئ كتابه»، وأخرى تؤكد بأن: «لكل كتاب قارئه».

لـذا ينبغـي أن تقـرأ بنـاءً على القاعـدة الأولـى، ببحثك عن الكتب التي تُشـبع ميولك واهتماماتك، بعيداً عن اسم الكاتب، أو عقيدتـه، أو مذهبه، أو منطقتـه، أو...إلخ. وثق أن الكتاب الذي لا يناسبك، قد يناسب غيرك، فلكل معشوقة عاشق!

بني.. جدّتك، ليس لديها قائمة محددة بأسماء الكُتَّاب، ولا تؤمـن مطلقًا، بهذه الطريقة أثناء التحصيل المعرفي! فالعاقل يأخذ الحكمة أنى كان مصدرها.. أليس كذلك»؟




١١
الأستاذ السيد
عباس الشبركة



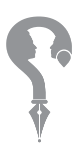
الأستاذ السيد عباس الشبركة

«لا نزهـة ألـذ مـن النظـر فـي عقول الرجال».

عبد الله المأمون

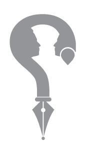
من المهتمين بالتصوير منذ صغره، له مشـروع فكري ثقافي وهـو مكتبة قطيفيات، وقد زرت مكتبتـه الواقعة في بيته فوجدتها مكتبـة ضخمة ومتخصصة في التـراث القطيفي، تحتوي على أكثر من مئة وعشـرين ألف صورة خاصـة بالقطيف من تصويره، وأكثر من ثلاثة آلاف كتاب قطيفي، ويتميز بتعاون منقطع النظير، نادرًا ما تجـده في أمثالـه، والدافع القوي، وأعتقد أنـه الوحيد، الذي جعل السيد عباس الشبركة يتبنى هذا المشروع هو إبراز التراث القطيفي.

إنهـا العزيمة الصادقـة المتولـدة ذاتيًا من نفسـه منحته تلك القـوة للقفز فوق العقبات وتجـاوز المصاعب للوصول إلى هدفه المنشود.



- **ألا تحدثنا عن نفسك قليلًا؟**

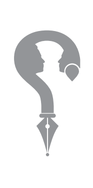
السيد عباس الشبركة: ولدت في الشويكة بمحافظة القطيف عام ١٣٨٤هـ، وقد درست الابتدائية والمتوسطة والثانوية الصناعية، وبعد ذلك التحقت بشركة أرامكو في عام ١٤٠٤هـ، وما زلت فيها حتى الآن.



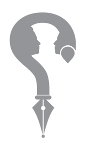
- **اشتهر عن السيد عباس الشبركة اقتناؤه الكتب القطيفية، فما هو الهدف من هذا المشروع؟**

السيد عباس الشبركة: إن الهدف الأساس الذي أسعى إليه من خلال المشروع الذي أقوم به، هو إبراز هذه المنطقة المغيبة عمدًا من قبل الآخرين وجهلًا من قبل أهلها ماضيًا وحاضرًا، والتعريف بتراثها الإنساني الفكري والثقافي؛ لأنه تراث إنساني غني ومهم، ولا بد له أن يخترق الحواجز الموضوعة في وجهه، ليرى النور ويعرِّف بنفسه، ومن الضروري التعرف عليه لكي تتم الاستفادة منه على غرار الإنتاج الفكري لباقي المناطق. فمنطقتنا مظلومة إعلاميًا حتى من أهلها، والكثيرون يجهلون أن عندنا هذا الكم الكبير من الكتب والمؤلفين والأدباء والمثقفين، ومما يزعج أن الكثير يحتفظ بالتراث لنفسه دون إبرازه، فأنا ضد أولئك الذين يحتكرون التراث لأنفسهم.

- **العقـلاء مـن أمثالكم يدركون أهميـة إبراز تراث المنطقـة، لكن مـاذا عن أولئـك الذين يحتكرون التراث لأنفسـهم كما ذكرت أعلاه، وعلى سبيل المثـال المخطوطـات القطيفيـة مثـلًا، يهمني أن أعرف من السـيد الشـبركة نظرته لهذه الفئة التي تحتكر التراث لأنفسها، وكأن التراث ملك لهم؟**



السـيد عبـاس الشـبركة: المشـكلة في الإنسـان نفسـه، الذي يحتكـر الأشـياء لنفسـه أو يمنعها عـن الآخرين، فيسـعى للتمتع بها وحـده دون غيـره، إن الجهل هو الذي يدفـع الكثير لفعل ذلك، فأي إنسـان يحتكـر التراث لنفسـه ولا يبرزه للآخرين للانتفـاع به هو بلا شـك جاهل، وأنا أعتقد مع بالغ الأسـف أن القطيف مغيّبة عمدًا من قبل الآخرين، وجهلًا من قبل أهلها، فالكثير من تراثنا مغيب بسـبب هـؤلاء الذيـن يحتفظون به لأنفسـهم، وأنـا هنا أقول مـن دون تردد: إن مـن يفعـل ذلك قد ارتكب جريمة في حق التـراث القطيفي، وأيّ جريمة أعظم من قتل التراث. فالعلم لا قيمة له إذا لم ينتفع به، وهذا أشـبه بالذي يجمع المال ويحتكره لنفسـه دون إنفاقه في سبيل الله. فالـذي يمتلك مخطوطة مثلًا لنفسـه دون أن ينتفع بها الناس فهو في الحقيقة يعيش في سراب ولا يملك شيئًا، فالسعادة الحقيقية هي نفع الآخرين، وأنا لست مبالغًا إذا قلت لك: إن بعض الباحثين يجلسون بالأيام في مكتبتي وأشعر بسعادة لا توصف تجاه هذه المواقف.



- **أخبرني عن بداية هذا المشـروع، متى تولّدت الرغبة في نفسك؟**

السيد عباس الشبركة: إن والدتي خادمة أهل البيت ومعلمة القرآن الكريم السيدة بتول الشبركة -رحمها الله- لها فضل كبير عليّ وعلى إخواني في حبّ القراءة، وهي التي زرعت في أنفسنا بذرة حب القراءة، كذلك الوالد المقدس العلامة الشيخ علي المرهون رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أبو الكتاب القطيفي، فقد اعتنى بهذه البذرة وسقاها حتى نمت وكبرت، وكان يحثني كثيرًا أن أتبنى هذا المشروع، وقد ابتدأت هذا المشروع في عام ١٤١٦هـ، وتوجهت إلى الكتاب القطيفي بشكل خاص في عام ١٤٢٠هـ، فمنذ ذلك التاريخ وحتى الآن فأنا لا أمتلك إلا الكتاب القطيفي فقط أو ما يتعلق بالقطيف!



- **ما هو أول كتاب قطيفي اقتنيته؟ وبكم اشتريته؟ ومتى كان عمرك؟**

السيد عباس الشبركة: إن أول كتاب قطيفي اقتنيته وهو أول كتاب اقتنيته ساحل الذهب الأسود للأستاذ المؤرخ محمد سعيد المسلم، واشتريته من العراق بدينار ونصف (١٦ ريال سعودي)، وكان عمري آنذاك ١١ سنة.

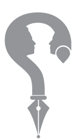


- **هنـاك صعوبـات كثيـرة في عمليـة حصولك علـى الكتـب لتكوين مكتبة قطيفية، كالسـفر إلى الخـارج مثلًا، أريـد أن تحدثني الآن عن بعض هذه الصعوبات؟**

السـيد عباس الشـبركة: هناك صعوبتـان، فالصعوبة الأولى هي دخول الكتاب للبلد، أما الصعوبة الثانية فهي تتعلق بالمؤلف، فالمؤلف ربما يحتكر الكتاب لنفسه ولا يعطيه دور نشر.

وإضافـة إلـى هاتيـن الصعوبتيـن، فهنـاك التكلفـة المادية، والمعانـاة فـي التنقيب عن الكتـب والبحث عنهـا، فبعض الكتب أتيت بها من مصر، وأخرى من ألمانيا، والقسم الثالث من بريطانيا، ولا غرابة إذا قلت لك: إن بعضها اشـتريته من أمريكا، فعلى سبيل المثال كتاب في علم الجغرافيا للدكتور محمد المعتوق، اشـتريته من مكتبة الأمزون في أمريكا، وقد كلّفني ما يقرب من ٤٠٠ ريال! والأغـرب من ذلك من الناحية المادية إن أحـد الكتيبات الصغيرة عنـدي وهو بين يديـك الآن يباع بنصف ريـال، لقد أنفقت ٦٠٠٠ ريال للحصول عليه، وهو من مؤلفات الوالد المقدس الشيخ علي المرهون رحمه الله.

- **بالرغم مـن اهتمام السـيد الشـبركة بالكتاب القطيفـي، إلا أننـا لا نـرى اسـمه فـي قائمـة**



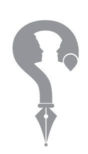
المؤلفيـن باسـتثناء كتيبيـن صغيريـن حـول الكاتب الدرورة، أمر يثير الغرابة؟

السـيد عباس الشـبركة: إنني لسـت بكاتـب، ومجالي ليس الكتابة، وإن اهتمامي بجمع الكتب لا يعني بالضرورة أنني كاتب، ولفهم هذه النقطة يجب النظر عن كثب إلى الذين يهتمون بالشـعر أو الرياضة ليس بالضرورة أن يكونوا شعراء أو رياضيين.

- **من الواضح أنك كنت لامعًا في مجال التصوير وقد تعرضت كيمرتك للكسر ثلاث مرات كما هـو معـروف، ولديـك أكثر مـن مئة وعشـرين ألف صـورة، وكنت عضوًا أسـاس في جماعة التصويـر بالقطيف، أريد أن تخبرنـي عن بداية هذا العشـق بينك وبين العدسـة، وخصوصًا أن التصوير في الماضـي كان أصعب من الحاضر بكثير، وذلك بسبب انعدام التقنية الرقمية؟**

السيد عباس الشبركة: لا غرابة إذا قلت لك: إن الوالد كان مهتمًا بالتصويـر، لدرجـة أنه كان يصوّرنا بعد سـاعة من ولادتنـا وفي جميع المناسبات وبالأخص في الأعياد، ويوجد عندي صورة وعمري ساعة واحـدة! لقد بـدأت الاهتمام الفعلي بالتصوير في سـن الرابعة عشـرة

وذلـك فـي عام ١٣٩٦هــ، فكنت قبل هذا السـن أقف أمـام الكاميرا، وبعد هذا السـن كنت أقف خلف الكاميرا! وهذه الكاميرا وهي الأولى التي أمتلكتها حصلت عليها هدية من المدرسـة، فكنت أصور مختلف أنواع الطبيعة الإنسـانية في القطيف المناسبات الوطنية وما شابه ذلك، وأصبحـت عضـوًا في جماعـة التصوير الضوئـي بالقطيـف، وإذا كان اهتمامـي الشـديد بالتصوير؛ ذلك لأنـي رأيت فيه تراثًـا أنقله للأجيال القادمـة، وهذا هو الواقـع بالضبط، فجمال التصوير أبلغ من عشـرات الكتب، والصورة تتكلم بما يعجز اللسان عن وصفه، وكتفسير لذلك، حريـق القديح مثلًا فعلى الرغم أن عدسـتي كسـرت في الحريق نتيجة افتقـار الناس للثقافـة، إلا أن الصور هي التي أوصلـت الكارثة لجميع سـكان العالـم، وقد اسـتفاد من بعض صوري الكثير، فقد قدمت آلاف الصـور لجهـات مختلفـة للانتفاع بهـا كالمواقع الإلكترونيـة والكتب والمجلات وبعض المهتمين، وبعد ربع قرن من رحلة التصوير قررت أن أعتزلها لأتفرغ لمشروع المكتبة القطيفية في عام ١٤٢٠هـ.



- **كـم من الكتب تحويهـا المكتبة؟ وهل يوجد بها مخطوطات؟ وكم عددها؟**

السـيد عباس الشـبركة: تحتـوي المكتبة علـى ٣٢٨٩ كتابًا قطيفيًـا، ومكتبتـي لا يوجـد بهـا مخطوطـات، ولـو كنـت أملـك مخطوطات لكتاب قطيفي لـم يطبع لطبعته بنفسي.

- **من خلال الإحصاء الذي يقوم به الشبركة، نلاحظ أن الكتب المطبوعة لا تتجاوز المئات، في حين أن المجتمع القطيفي بمئات الآلاف، ومما يزعج أكثر أن الكاتب يطبع ألف نسخة ويجد صعوبة في بيعها، لهذا يضطر إلى إهدائها، وهذا يدل بكل بساطة أن المجتمع القطيفي يفتقر للكتّاب أولًا، ويفتقر للقرّاء ثانيًا، هل تتفق معي في هاتين الرؤيتين؟**

السيد عباس الشبركة: المعدل السنوي للكتاب القطيفي ٢٥٠ كتابًا، وهذا الرقم بلا شك ضعيف جدًا مقارنة بتعداد سكان القطيف، ومع ذلك فإن الإصدارات القطيفية سنويًا أكثر من إصدارات البحرين والأحساء، وهذه نقطة جيدة تحسب للكتاب القطيفي مع غياب أي رصد للإصدارات في الأحساء والبحرين، وأنا أعتقد أن أحد الأسباب في ضعف الكتاب القطيفي هو الإعلام، فله دور كبير في تحجيم الكتاب القطيفي، وأنا أحتمل لو لا وجود هذه الصعوبة لارتفع عدد الكتب القطيفية إلى الضعفين، لهذا أقول: إن الرقم جيد في وجود مثل هذه الصعوبات. وأيضًا ثقافة التسويق لدى الكثير من المؤلفين لعدم تواصلهم مع الإعلام ومع المهتمين بالجانب الثقافي من مؤسسات، لجانًا أو أفرادًا.

بالنسـبة للنقطـة الثانيـة، فأنـا لا أؤمـن أولًا بمسـألة إهـداء الكتاب-الكتـاب المجانـي- بـل وأحاربهـا أيضًـا، فأكبـر إهـداء وشـرف بالنسبة لي هو توقيع المؤلف على نسخة قد دفعت ثمنها، ومما يؤسـف هـو عدم تشـجيعنا لبعضنا، فالكاتـب الغربي يصبح ثريًّـا إذا طبـع كتابًا، والكاتب القطيفي يفتقر إذا طبع كتابًا! وأقرب المقربين له من أصدقائه وأقربائه ينتظرون النسخة المجانية.



- **أريـد أن أسـمع تعليقـك علـى هـذا الشـطر: «وخيرُ جَليسٍ في الزَمانِ كتابُ»؟**

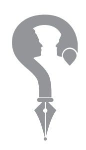
السـيد عباس الشـبركة: بكل تأكيـد أنا أتفق مـع المتنبي في كلمته،لأنك تطالع فيه عقول الرجال وتمضي حيث وقفوا وتنطلق مـن حيـث انتهوا، ثـم إن الكتاب لا يخلـو من فائدة، إمـا أن تعمل بهـا أو تحـذر منها، وليسـت العبرة باقتنـاء الكتب فـي المكتبات، وتصفيفهـا في الأدراج، ولكن العبـرة بالفهم والمطالعة فيها، فهي خير سمير في الليالي، وأجمل جليس، وأحسنه وأكرمه.

وأعظم الكتب وأكملها وأفضلها على الإطلاق كتاب الله جـلّ في علاه، وأقـول: كأن المتنبي قد شـعر بمعاناتنا، فالكتاب هـو الصديق الوفي الذي لا يخون ولا ينافق ولا يَملّ منك، وهو العـلاج لضغوطات ومتاعـب هذه الحياة عندما تنظـر إليه وتقرأ فيه.

- السيد المرعشي رحمه الله يلقب بحافظ التراث الكبير، لقد قام بمشروع عظيم، وهذا المشروع هو المكتبة التي تحتل المكانة الأولى في إيران ومكانة متقدمة في الوطن العربي، فهي تحتوي على عشرات الآلاف من المخطوطات، ومئات الآلاف من الكتب المطبوعة، وقد تكبد السيد رحمه الله العناء الذي من الصعب وصفه في جمع هذه الكتب، لقد ألغى وجبة من وجبات طعامه وعمل في مطاحن الرز ليجمع المال ويشتري الكتب، وفي عام ١٩٢٢م، اعتقل ودخل السجن بسبب مخطوطة اشتراها تحمل عنوان (رياض العلماء) أرادها الحاكم البريطاني في النجف آنذاك لنفسه، ومما يزيد من معاناة السيد رحمه الله غرابة، هو أنه كان يقضي الصلاة لمدة سنوات أو الصوم لعدة أشهر، عن والد صاحب المخطوطة من أجل الحصول عليها! وقد أوصى السيد رحمه الله- أن يدفن في مدخل مكتبته لتطأه أقدام باحثي العلوم الإسلامية ومحققيها! ماذا تعني لك هذه الشخصية العظيمة، التي حفظت التراث الإسلامي وقدمته للأجيال القادمة؟



السيد عباس الشبركة: من يقرأ تجربة السيد المرعشي قدس سره تسبب له صدمة للصعوبات التي تحملها والإنجازات العظيمة التي حققها، وكم تمنيت لو أصل لمقدار ١٪ مما حققه السيد رحمه الله إن شخصية السيد المرعشي رحمه الله شخصية فريدة في نوعها وتجربته تستحق الدراسات، وأنا شخصيًا قد زرت مكتبته وصدمت منها لما تحويه من كنوز قيمة. وأنا أرى أن الإنسان إذا انطلق من دافع ذاتي دون عوامل خارجية سيبدع كثيرًا فيما انطلق إليه، وتجربة السيد رحمه الله هي أكبر شاهد على صدق قولي.



- **بماذا يشعر السيد الشبركة، عندما يمتلك كتابًا قطيفيًا جديدًا؟**

السيد عباس الشبركة: إنني أشعر بسعادة ولذة لا توصف عندما أمتلك كتابًا قطيفيًا جديدًا، وأقول كما قال أرخميدس: «وجدتها وجدتها!» وهذا هو الواقع بالضبط، فالكتاب القطيفي بالنسبة لي كنز ثمين.



- **وماذا عن المشروع المستقبلي للمكتبة؟**

السيد عباس الشبركة: توسعة المكتبة القطيفية، وإقامة ندوات فكرية وثقافية للكُتّاب والمثقفين لعرض إنتاجهم، وفي الوقت القريب سوف يكون هناك موقع على شبكة الإنترنت

بعنـوان قطيفيـات سـيتم فيه رصـد وفهرسـة لجميـع الإصدارات القطيفية،كما سيتم فيه قراءة لبعض كتب المكتبة القطيفية، وأتمنى معـك أيهـا الصديـق العزيـز أن تكون جميـع الكتـب بصيغة كتب إلكترونية (PDF) على الموقع .



- **كلمـة مـن السـيد عبـاس الشـبركة للكتّـابِ القطيفيين؟**

السـيد عباس الشبركة: إنني أشـد على يد كل كاتب قطيفي، وأنصحه أن يواصل مشواره ويتجاوز جميع العقبات التي تعترض طريقـه، وهنـاك مـا يدعو إلـى التفـاؤل في اعتقـادي بـأن الكتاب القطيفي ستكون له مكانة في يوم ما، سواء في هذا الجيل أو الجيل الذي سـيأتي، فالكاتب لا يكتب لجيلـه بل يكتب لجيله والأجيال التي ستأتي من بعده، وهذه رسالتي للكتّاب القطيفيين.

كمـا أوجـه رسـالتي أيضًـا لرجـال الأعمـال والوجهاء في المنطقة بأن يساهموا في إنجاح الكتاب القطيفي من خلال دعمهم المادي لطباعة الكتاب، ولو طباعة كتاب واحد في السنة.


١٢
الداعية الشيخ
حسن الصالح



الداعية الشيخ حسن الصالح[1]

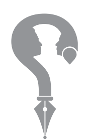
«وَاللَّـهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّـهُ بِهُدَاكَ رَجُـلًا وَاحِـدًا خَيْـرٌ لَـكَ مِـنْ حُمْـرِ النَّعَمِ».

الرسول محمد ﷺ

فـي هذه الحياة هناك مـن يتغرّب من أجل العمل والحصول علـى المـال، وآخر مـن أجل طلـب العلم، وشـخص ثالـث يريد أن يُكمـل دراسـته، وكم سـيكون غريبًا إذا عرفنـا أن ضيف حلقتنا عاش في الغربة لأكثر من خمس عشرة سنة في دولة عاشت تحت الاسـتعمار الروسـي وانتشـرت فيها قـوى الشـرّ المعاديـة للدين فأحرقـت المسـاجد وحولتها إلى بـارات ومخـازن للخمور، لقد مُحـي الإسـلام منها كما يمحـى اللوح مما كتب فيـه ولم يتبق من الإسـلام فيها إلا أمور بسيطة جدًّا كتغسـيل الميت والصلاة عليه،

(١) نشرت في مجلة الخط، العدد التاسع-ذو الحجة ١٤٣٢هـ.

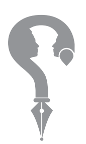
لـم يذهـب لها من أجـل العمـل والحصول على المـال، بل ذهب هناك لأكثر من خمس عشـرة سـنة لينشـر فيها العقيدة الإسـلامية والتعاليم الأخلاقية.



- **نبذة بسيطة عن سجل حياتك، هل تستطيع أن تخبرني عنها؟**

حسـن الصالح: ولدت في العوامية سـنة ١٣٩١هـ، درسـت المرحلة الابتدائية والمتوسطة لكني لم أكمل المرحلة الثانوية، فقد كانت لديّ رغبة شديدة في طلب العلم، وهذه الرغبة كانت تراودني كثيرًا والثقافة السائدة في المنطقة في تلك الفترة هو الخروج لطلب العلـم، فتركت الدراسـة الأكاديميـة وانتقلت لطلـب العلم في عام ١٤١٠هـ، ذهبت إلى سـوريا، وانطلقت منها إلى إيران، ودرسـت فـي حوزة القائم سـنة كاملـة ثم رجعت إلى سـوريا ودرسـت أربع سـنوات حتى عـام ١٤١٥هـ، وفي أثناء دراسـتي في سـوريا كنت أمارس الإرشـاد، حيث كنت أذهب كل يوم أربعاء إلى يوم الجمعة للساحل السـوري للقيام بالإرشاد، وهذا الإرشاد الذي أقوم به كان منطلقًا من رغبة نفسية أحببتها وليس تحت عوامل خارجية.

- **بلغة واضحـة، التبليغ مهمة صعبة جدًّا، لماذا اخترت هذه المهمَّة! على الرغم أنه بإمكانك**



أن تأتـي للبلد مبتعـدًا عن عنـاء الغربة وتقوم بدورك كأيّ رجل دين آخر؟

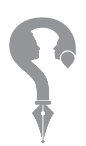
حسـن الصالـح: لقـد اختـرت التبليـغ على صعوبتـه؛ لأني أحببت هذا الدور، وهذا الحبّ بلا شـك قد أنسـاني هذه الصعوبة ولـم أعد أشـعر بها، علـى العكس تمامًا إنني أشـعر بسـعادة كبيرة عندما أرى تلك النتائج التي قمت بها وأعرف حينها أن ما بذلته لم يذهب سدى، فسعادتي لا توصف وأنا أرى الكثير من الذين أثرت في حياتهم وجعلتهم يتعلمون الإسـلام ويصلـون ويصومون بعد أن كانوا لا يعرفون الصلاة ولا الصوم ولا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولو رجع بي الزمن للوراء سوف أختار نفس الدور.



- **عندمـا أتيت إلى باكو –عاصمة آذربيجان– في عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، كم المدة الزمنية التي قررت أن تختارها للبقاء في هذه المدينة؟**

حسـن الصالح: كان من المقرر أن أبقى سـنتين في باكو، ثم عدلت هذه الرغبة وقررت البقاء حتى وصول عمري إلى الأربعين، وفـي أثنـاء عودتي إلى البلـد بالطائرة كان بجنبي أحـد الأمريكيين يعمل في آذربيجان في إحدى شركات النفط، وعمره كما يبدو ٦٥ سنة! فقلت في نفسي لقد وصل هذا الرجل إلى هذا العمر وما زال

يعمـل في بلـد غير بلده! فلمـاذا يتحتم عليّ أن أضـع حدًّا لعمري التبليغـي، فأخذت درسًـا من هذا الرجل وقـررت البقاء، ما دامت لي القدرة على العطاء!



- **أخبرني عن آذربيجان؟**

حسن الصالح: تقع على بحر قزوين غرب آسيا شمال إيران، ويحدها جورجيا، داغسـتان، أرمينا، تركيا، وغالبية البلد مسلمون وغالبيتهـم شـيعة أكثر مـن ٨٠٪ من تعداد سـكانها البالغ ٩ مليون نسمة، ويوجد بها أقلية يهودية ومسيحية وديانات أخرى.

وقـد احتلت مرتيـن من الاتحاد السـوفيتي، واسـتقلت عام ١٩٩١م بعـد أكثر من سـبعين سـنة مـن الغزو الروسـي لها، الذي أحرق المساجد وحولها إلى بارات ونشر الشيوعية ومحا الإسلام وانتشـر الفسـق والفجـور وشـرب الخمر، وقبـل ثماني سـنوات زرت إحدى المناطق هناك فشـاهدت مسـجدًا تحـول إلى مخزن للخمـور، ورغـم هذا الاحتلال فـإن بعض المراسـم الدينية ظلت قائمة كتغسيل الأموات وذكرى يوم عاشوراء.

- **من الواضح أنك ذهبت لمجتمع متهالك جدًّا قد ظلّ لأكثر من سـبعين سـنة تحت سـيطرة الاحتـلال الروسـي الثانـي، لقـد محيـت منه**

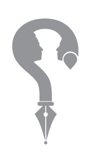


جميع تعاليم الإسلام كما يمحى اللوح مما كُتب فيه، ولم يتبق منه إلا أمور بسيطة جدًا كصلاة الأموات وذكرى عاشوراء، كانت فترة ذهابك قريبة جدًّا من الاستقلال حيث ذهبت بعد أربع سنوات فقط وذلك في عام ١٩٩٥م، فما هي الصعوبات التي واجهتها؟

حسن الصالح: لم تكن رغبتي أن أذهب إلى آذربيجان بل كان طموحي الذهاب إلى أندونوسيا، وقد اخترت أندونوسيا نتيجة إحدى الزيارات إلى البلد، كان في المنزل خادمة أندونوسية، فسألتها ذات مرة وفي ذكرى عاشوراء عن الإمام الحسين (ع) فصدمت أنها لم تسمع بهذا الاسم، ومن هذا الموقف قررت الذهاب إلى أندونوسيا للتبليغ، وعندما ذهبت إلى سوريا كان أمامي ثلاث خيارات ولم تكن أندنوسيا من ضمن الخيارات المطروحة، فعدلت رغبتي إلى آذربيجان، وذهبت إلى آذربيجان عام ١٩٩٥م.

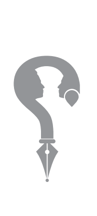
وواجهت صعوبات هناك كصعوبة اللغة، حيث اضطررت إلى تعلُّم اللغة الآذرية وهي اللغة الرسمية هناك، وصعوبة التعليم بكل تأكيد، حيث كنت أبدأ معهم من الأمور البسيطة جدًّا كالتشهد والوضوء، وقمت بممارسة هذا الدور الذي يحتاج إلى عزيمة وصبر، فكنت أعلّمهم الوضوء والصلاة بالمتابعة، كذلك الأمور المادية التي لا نستطيع تجاهلها إلّا أنها قد حُلّت من قبل الأهل وبعض رجال الدين

وبعض المؤسسات الدينية وعلى وجه الخصوص في دولة الكويت.



- **هناك سؤال مهم، يتعلق برجال الدين، فمن وجهة نظرك، ماذا يمثل رجال الدين للمجتمع؟**

حسن الصالح: إنني أعتقد أن وجود رجل الدين في المجتمع يعطيه حافزًا إيجابيًا نحو الإيمان، فالناس تتخذه كقدوة في أعمالها، وأنا أرى أن الإنسان إذا لبس هذا اللباس فعليه أن يتقيَّد به؛ لأن المجتمع ينظر لهذا اللباس بنظرة قداسة، ومن هذا المنطلق إن من لا يستطيع أن يتحمَّل مسؤولية هذا اللباس فمن الأفضل أن يتخلّى عنه، ونحن كطلبة علوم دينية كالثياب البيضاء تتسخ بأقل نقطة سوداء.



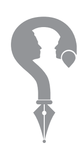
- **مشكلة التستّر بالدين قد عانت منها المجتمعات البشرية وما زالت تعاني منها حتى هذه اللحظة، فالرجل يظهر بمظهر الفضيلة وصفة التقوى وحبّ الخير، وفي الباطن هو خلاف ذلك؟ ما رأيك بهذه الظاهرة؟**

حسن الصالح: التستر بالدين شيء خطير جدًّا، وهذه ظاهرة سيئة، وهؤلاء الذين يتسترون بالدين ويتظاهرون بالتقوى وهم خلاف ذلك لا شك أنهم منافقون.



- **مـاذا حقّقت بعد أكثر من ١٥ سـنة من التبليغ في آذربيجان؟**

حسـن الصالح: المؤسسة الدينية التبليغية حقّقت الكثير من الانجاز هناك، فقد افتتحنا الكثير من المسـاجد، وطبعنا العشرات من الكتب الدينية بعشـرات الآلاف من النسخ، وهذه الكتب توزع مجانًا، وانتشـر الحجاب بشكل ملحوظ، والمحافظة على الصلاة والصيام وهناك بلا شك تغير إيجابي نحو الأفضل.



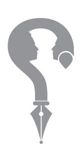
- **مـا مدى تعاون رجال الأعمال، ورجال الدين في المنطقة معكم؟**

حسـن الصالح: تعاون رجال الأعمال تقريبًا صفر! باستثناء شـخصية أو شخصيتين، وبعض التجار مع بالغ الأسف لا يكتفون بعـدم دعم المشـروع، لكـن المزعج أكثر من ذلـك أنهم يتعاملون بطريقة قاسـية جـدًّا، وأنا أعذرهـم، فلربما تكون هنـاك ظروف لا أعلمها جعلتهم يفعلون ذلك، وكما قال الشاعر:

لعلَّ لـه عُـذرًا وأنـتَ تلومُ   وكم لائـمٍ قد لامَ وهـوَ مُليمُ

وبالنسـبة لرجـال الدين فتعاونهـم واضح جـدًّا ولهم فضل كبيـر فـي اسـتمرارية هـذا المشـروع من خـلال دعمهـم المادي، فهنـاك الكثير من رجال الدين فـي المنطقة يباركون ويدعمون هذا

المشروع، فجزاهم الله كل خير على ما قدموه.

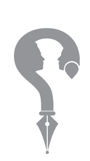


- **هل تشعر بسعادة تجاه العمل الذي تقوم به؟**

حسن الصالح: إنني أشعر بلذة كبيرة تجاه ما أقوم به، هذا لدرجة أنني في كل مرة أذهب فيها إلى آذربيجان أشعر وكأنها المرة الأولى! وكما يقول المثل العربي: (لكلّ جديدٍ لذّة)، وإنني أرى أنه من الواجب عليّ القيام بمهمة التبليغ، فهذا أقلّ ما أستطيع أن أقدّمه للإسلام، ولنا قدوة في الصحابة العظام كيف ضحوا بكل ما يملكون من أجل الإسلام.

- **مصعب بن عمير -رضوان الله عليه- الفتى المدلّل والشاب الجميل حديث حِسَان مكة، وأنعم أهل مكة، كان يلبس أرقى الثياب ويتعطّر بأطيب العطور، لقد أسلم فعلمت به أمه فحبسته واضطهدته، هاجر إلى الحبشة مرتين، قالت له أمه: اذهب لشأنك لم أعد لك أمًّا! لقد أصبح يلبس الثياب المرقعة فشاهده الرسول ﷺ فقال: «لقد رأيت مُصعبًا هذا وما بمكة فتىً من قريش أنْعَمُ عند أبويه نعيمًا منه، ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير في**

حبّ اللـه ورسـوله». اختاره الرسـول ﷺ كأول سـفير للإسـلام بعد بيعـة العقبة الأولى ليعلم أهل المدينة الإسلام، وقد نجح مصعب في مهمته واستطاع أن يدخل سادات الأنصار إلـى الإسـلام، وبعـد عـام جـاء إلى الرسـول ﷺ أكثـر مـن سـبعين رجـلًا مـن الأنصار وبايعـوه بيعـة العقبـة الثانيـة، لقـد اسـتطاع مصعـب أن يجعل الإسـلام يتفشـى فـي أهل المدينة الذيـن كانوا ينتظرون الرسـولﷺ في يوم الهجرة، اختاره الرسـول ﷺلحمل الراية في معركة أحد فقطعت يمينه ثم يساره! ثم استشهد رضي الله عنه ، ماذا تعني لك شخصية هذا الصحابي العظيم الذي ترك الدنيا بأكملها من أجل الله ورسوله، وقد اختاره الرسول ﷺ لمهمـة عظيمة جدًّا وهي السـفارة، فكان أول سفير للرسول ﷺ للمدينة؟



حسـن الصالح: اعتقادي الشـخصي أن مصعبًا ليس بزاهد! فقد عرف نعيم الدنيا بأنه لا يدوم فكيف يفضله على نعيم الآخرة؟! والإنسـان العاقل يفعل مثلما فعل مصعب بـن عمير-رضوان الله عليـه- وأتذكـر قصة جميلـة عن أحـد الخلفاء حينمـا امتدح أحد

الزهاد وأشـاد بزهده، فقال الزاهد: يا أمير، أنت أكثر زهدًا مني! أنا زهدت في ملك يبلى، وأنت زهدت في ملك لا يبلى!

فمن الغباء أن يبيع الإنسان النعيم الدائم بالنعيم الفاني، وقد قـال أميـر المؤمنين علي بـن أبي طالـب عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا لِعَلِـيّ وَلِنَعِيم يَفْنَـى، وَلَذَّةٍ لاَ تَبْقَى». ويقول الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن مثل الدنيا مثل الحيّة مسّـها ليـنٌ وفي جوفِها السَّـمُّ القاتـل، يحذرُها الرجال ذوو العقول ويهوي إليها الصبيانُ بأيديهم»، وشخصية مصعب بن عمير-رضوان الله عليه- هي شخصية عظيمة، ويعطي لكل سفير ومبلّغ الدافع والدعم القوي، وهو قدوتنا ومثلنا الأعلى.

كلمة أخيرة؟

حسـن الصالح: الإنسـان بحاجة إلى التوفيق والتوفيق عزيز المنـال، وفعـل الطاعـة يحتاج إلـى توفيق، وقـد ورد فـي الدعاء: (اللهـم ارزقنا توفيق الطاعة)، وأنا أشـكر الله سـبحانه وتعالى أنه وفقني لهذا العمل، كما أشكركم كثيرًا على هذا اللقاء.

القسم الخامس

رجـــال الأعـــمـــال

- شوقي المطرود
- علي الجنوبي
- محمد المحسن




١٣
رجل الأعمال
شوقي المطرود



رجل الأعمال شوقي المطرود[1]

قـد مات قـومٌ ومـا ماتـت مكارمهم
وعاش قـومٌ وهم في النـاس أمواتُ

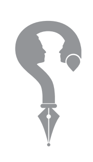
محمد الشافعي

الرجـل الـذي عـاش الفقـر وأخـذ العهـد علـى نفسـه أن يمحـو الفقر عـن الفقراء، فكان السـبّاق في فعل الخير ومسـاعدة المحتاجيـن وقضاء حوائج المؤمنين، وقد غطّت شـهرته محافظة القطيـف وتعـدّت إلـى أبعد مـن ذلك، حتـى لقب بألقـاب كثيرة، كرجـل القطيـف والرجـل الأول ورجـل الخيـر، وهـذه الشـهرة والألقـاب التي حاز عليها تدلّ بكل بسـاطة علـى تفانيه وإخلاصه في قضاء حوائج الناس لوجه الله سبحانه وتعالى.

في هذه الحلقة التقيت رجل الأعمال الأستاذ شوقي بن عبد

(١) نشرت في مجلة الخط، العدد السابع-شوال ١٤٣٢هـ.

الله المطرود في منزله بسيهات، ليحدّثنا عن عدد من المحاور وعن المرحوم والده وعن نفسه، أترككم أيها القرّاء مع هذا الحوار.



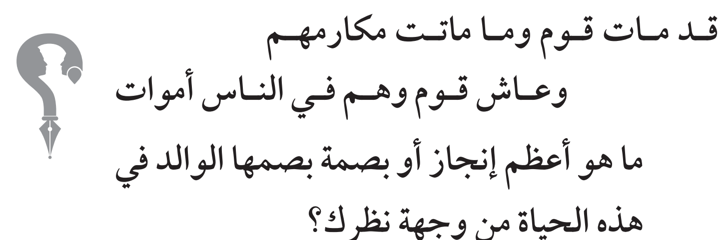
- **رغم أن الوالد لم ينشأ في بيئة تجارية، فلماذا اختار مشروع مصنع الألبان، هل من الممكن أن تحدثنا حول هذه النقطة؟**

شوقي المطرود: كان الوالد يعمل في البداية كعامل في مغسلة تُقدم خدمات لشركة أرامكو السعودية، وبسبب موقف حصل بين الوالد وبين صاحب المغسلة ترك الوالد هذه المغسلة، وعمل على إنشاء مغسلة يدوية مستقلة يديرها بنفسه في الظهران، وكان عمره آنذاك ٢٤ سنة، فأنشأ المغسلة الوطنية مع عمي إبراهيم، الذي كان آنذاك موظفًا في شركة أرامكو، وذلك في عام ١٩٤٧م، وكانت المغسلة تقوم بتقديم خدماتها لشركة أرامكو بجميع مرافقها، كالمستشفيات والمطاعم والمساكن، ووصل تدريجيًا عدد الموظفين إلى مئة وعشرين موظفًا سعوديًا، ثم تطورت هذه المغسلة من المغسلة اليدوية إلى الآلية وافتتح لها عدة فروع في الدمام والخبر والقطيف وسيهات ورحيمة وبقيق والأحساء.

ولم يكن الوالد في البداية بحاجة لرأس مال كبير حيث بدأ بطشت ومكواة فقط! هذه كانت بداية مشاريعه، وقد قدمت أرامكو لاحقًا تسهيلات للوالد سهّلت عليه تطوير هذه المغسلة.

وتم تأسيس مصنع الألبان كأول مصنع ألبان في المملكة العربية السعودية في عام ١٩٦٧م. وكان اختيار هذا المصنع بالتحديد نتيجة دراسات واستشارات، وكان الوالد يبحث بكل تأكيد عن تغطية الحاجة، فكانت الألبان آنذاك شحيحة وتنتج بطرق تقليدية، فعمل الوالد بكل طاقته على تحقيق ذلك وقد تحقق ذلك الحلم رغم الكثير من الصعوبات التي واجهت الوالد، وكانت أرباح المغسلة ساعدت في إنشاء هذا المصنع بالإضافة إلى التسهيلات والقروض التي قدمتها شركة أرامكو للوالد في إنشاء هذا المصنع، وكذلك إنشاء المخابز الوطنية التي تم تأسيسها عام ١٩٧٤م، وكانت هي أيضًا تغطي الحاجة حينها عندما كان الحصول على الخبز أمرًا غير يسير؛ وذلك بسبب زيادة الاستهلاك وقلة الإنتاج.

- **يقول الشاعر:**



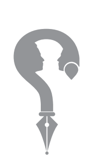
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم في الناس أموات

ما هو أعظم إنجاز أو بصمة بصمها الوالد في هذه الحياة من وجهة نظرك؟

شوقي المطرود: لو كان الوالد على قيد الحياة وسألته هذا السؤال، فبكل تأكيد سيجيبك تأسيس جمعية سيهات للخدمات

الاجتماعيـة، وكان ذلـك عـام ١٩٦٢م، وهـي أول جمعيـة خيرية بالمملكة.

- **مـا هو الدافع الذي جعـل الوالد ينفق من ماله ووقته لمساعدة الفقراء والمحتاجين والسعي فـي خدمة المجتمـع، في حيـن أن الكثير من الأثرياء لا يفعلون ذلك؟**

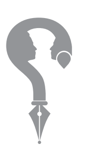


شـوقي المطرود: الوالد شـخصية تميزت بهذا الاتجاه، وهذه نعمة من الله، وكان الوالد يشعر بلذة وهو يساعد الفقراء والمحتاجين، ومـا زلت أذكر عندما يأتي محتاج وكان يسـاعده الوالد، فكان يقول بعـد ذلك: (الحمد لله جانـا رزقنا! هذا يعطينا ما يأخذ منا!)، فعندما تعطيه المساعدة أو الصدقة ففي الواقع أنت لم تعطه، فالمال هو مال اللـه، وهـذا المال أمانة، ونحن قمنا بتسـليم الأمانة لأصحابها، وفي المقابل يعطيك الله الثواب مقابل تسليم هذه الأمانة.

وأنا شـخصيًّا أرى أن كل إنسـان يحدد دوره في هذه الحياة، فهناك من يختار المتعة والسفر والراحة، وآخر يسعى وراء البحث والاستكشـاف، أما الثالث فيرى أن دوره في القيادة، وآخر وآخر، وأنـا أعتقـد أن الوالد حدد دوره لمسـاعدة الآخريـن، وهذا الدور اختاره الوالد قبل بلوغ العاشرة من عمره. وتحضرني قصة سمعتها منـه، فقد سـافر جدّي للبحث عن الـرزق، وكان عمر والدي ثمان

سنوات، فأرسلته جدّتي إلى أحد الجيران وهو تاجر تمور بطاسة ليحصل على بعض التمر بالدَّين، فما كان منه إلا أن رمى الطاسة في وجهه!! فأثرت هذه الطريقة القاسية في نفسه، وظلّ يدور حول البيت حائرًا، فكيف يعود إلى والدته بدون تمر؟! ولم يجد خيارًا إلا الدخول إلى البيت، ومن لحظتها أصبح يتأمل في هذه الدنيا ليحدد طريقه فيها، وكان يذكر هذه القصة حتى آخر أيام حياته، وإذا كان لهذا دلالة فهذا يدل على تأثر الوالد بهذا الموقف، فحمل على عاتقه القيام بكل ما هو ممكن لمساعدة الفقراء والمحتاجين.

- **ناقش ماكيافلي صفة الكرم بمنطق واقعي في كتابه الأمير، وقال فيها: (لا توجد خلّة مهلكة لصاحبها أشدّ من الكرم؛ لأنك بممارستها تفقد القدرة على ممارستها، فإما أن تصبح فقيرًا معدمًا، وإما تفّر من الفقر إلى الجشع والاغتصاب وتصبح مذمومًا مكروهًا. والكرم هو الذي يقودك إلى أحد هذين الخطرين. انتساب الإنسان للبخل أقرب إلى الحكمة؛ لأنه يجلب العار ولا يجلب البغضاء، وهو أفضل من الاتصاف بالجشع الجالب للعار والبغضاء جميعًا). وقد سمعنا بالرواية المشهورة أن حاتمًا من شدة الكرم**



نفدت جميع ثروته ولم يبق إلا حصانه فذبحه لضيفه! ما تعليقك حول صفة الكرم وحول قصة حاتم الطائي المشهورة؟

شوقي المطرود: الكرم صفة حميدة، وهي من صفات الله، لكن الكرم بدون حكمة قد تكون له نتائج سلبية، فالوالد كان حكيمًا وكان يضع المال في محله، حيث كان يتمثل بالحديث الشريف: (ما نقص مال من صدقة)، ولم تكن مساعدات الوالد محتكرة في المال فقط، بل كان يقدم نصائح واستشارات أو البحث لمحتاج عن وظيفة أو علاج، فكان العطاء ليس بالمال فقط، فالوالد يشخّص بحكمته الحالة المناسبة للمحتاج ويختار أنجع الطرق لعلاجها. أما بالنسبة للقصة المشهورة التي ذكرتها حول حاتم الطائي فربما تكون هناك أسباب مقنعة وترتبط هذه الأسباب بالظروف في تلك الفترة التي لا نحيط بها، دفعته لعمل هذا الشيء، وقد يكون هذا التصرف سليمًا.

فالمال هو عبارة عن وسيلة ربما تكون حصلت عليها بطريقة عمل أو إرث أو هدية، فهذا المال يذهب ويأتي، ويوجد للأسف مفهوم خطأ لدى أغلب الناس في التعامل مع المال، فهم يعتبرون المال ملكًا لهم وينطلقون من هذا المبدأ؛ لهذا يسعون للمحافظة عليه بشدة كبيرة، فإذا أعطى منه المحتاج القريب أو البعيد يعتقدون أنه ينقص، وبالتالي سيخسرون من هذا المال، في حين أننا شاهدنا أن الكثير قد خسر جلّ أمواله في الأزمات الاقتصادية كالأسهم في عام

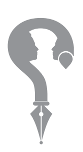
٢٠٠٦م مثلًا، وأنا شخصيًّا قدّرت الخسارة التي فقدت في محافظة القطيف وحدها في عام ٢٠٠٦م في سوق الأسهم، بأربعة إلى خمسة مليارات ريال!! وهذا رقم واقعي!! فلو خصص ١٠٪ من هذا المبلغ أي حوالي خمسمئة مليون ريال، لتغير وضع المجتمع إلى الأفضل كثيرًا. إضافة إلى أن الكثير يعتقد أنه بمحافظته على المال سيشعر بكثير من السعادة في حين أن المال لا قيمة له إذا لم تستخدمه، فوجوده كأرقام في البنوك لن يفيدك شيئًا على العكس تمامًا فالمال عملة وكما شاهدنا أن هذه العملة تتناقص قيمتها مع الزمن.

- **هناك سؤال شغلني كثيرًا وأريد تفسيرًا له، وهو سبب تمسك الناس بالمال لدرجة أن الإنسان يعيش في صراع مع أقرب الناس إليه من أجل هذا المال، فما هو في اعتقادك السبب الحقيقي الذي يجعل الناس يتمسكون بالمال لهذه الدرجة، لدرجة أن ماكيافلي نظّر لهذه الفكرة في كتابه الأمير وقال حول ذلك: «إن الناس أسرع إلى نسيان مقتل آبائهم منهم إلى اغتصاب أموالهم»؟**



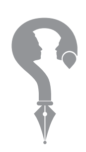
شوقي المطرود: بلا شك أن الإنسان توجد فيه غريزة الطمع وحبّ المال، والمال هو ابتلاء من الله سبحانه وتعالى لعبيده، فالإنسان المؤمن هو الذي يتعامل مع المال على أنه أمانة

مـن عند الله وليس ملكًا له، ويصرفه فيما أمر به سـبحانه وتعالى من فعل الخير، وهنـاك اعتقاد عند الناس في أنهم يعتبرون المال مصدر قوة، وهو بالفعل مصدر قوة لو اسـتخدموه وأنفقوه، لكن مـا الفائدة إذا كان هذا المال يوضـع في البنوك كأرقام فقط! وفي النهايـة توضع في القبر وتذهب هذه الأموال لغيرك، عند ذلك لا مجال للندم.



- **حدثنا عن دراستك الأكاديمية؟**

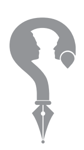
شـوقي المطرود: درست في مدرسـة ابن خلدون الابتدائية بسـيهات عام ١٣٨٧هـ، والدراسـة المتوسـطة كانت في مدرسـة موسى بن نصير بسيهات، ثم درست سنة واحدة في ثانوية سيهات، وانتقلت بعدها إلى ثانوية الدمام الشاملة، وفي عام ١٤٠٠هـ ذهبت إلى أمريكا على نفقة الوالد وقضيت في أمريكا سـت سنوات حتى عـام ١٤٠٦هــ، حصلت فيها على شـهادة البكالوريـوس في علم الاقتصاد من جامعة أوريجون بولاية أريجون.



- **وماذا عن السـجل الوظيفي بعد تخرجك من الجامعة؟**

شـوقي المطرود: عدت من أمريكا في عام ١٤٠٦هـ، وكان هدفـي العمل في شـركة الوالد بعد تخرجـي، وبالفعل فقد عملت

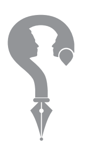
في شـركة الوالد ولم أفكر مطلقًا في العمل في أي شـركة أخرى، على الرغم من سهولة الحصول على وظيفة في شركات كبرى.



متى تسلّمت إدارة الشركة؟

شـوقي المطرود: عملت في شـركة الوالـد فور وصولي من أمريكا كمساعد له لمدة عشر سنوات، كانت صلاحياتي محدودة، وبعدهـا تطـور دوري تدريجيًا حتى أصبحـت رئيس مجلس إدارة الشـركة، وكانـت هذه المرحلـة بعد وفاة عمـي إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ وهو شـريك الوالد في عـام ١٩٩٨م، فخلال السـبع سـنوات بين وفاة عمـي إبراهيـم وأبـي (رحمهمـا اللـه) فـي عـام ٢٠٠٥م حدثـت تطـورات في الشـركة، حيث دخل ورثة عمي إبراهيم كشـركاء مع الوالد، ثم قام الوالد بإدخال أفراد أسـرته شـركاء في هذه الشركة، وقام بتغيير النظام الإداري وتشـكيل مجلس إدارة الشركة، وقد تم اختيـاري رئيسًـا لمجلس إدارة الشـركة من قبل أعضـاء المجلس وكان ذلـك قبل وفـاة الوالد بفترة قصيرة وما زلت حتى الآن، وهنا أودّ أن أشـير إلـى أمر بالغ الأهميـة، وهو تحول الشـركة بعد وفاة الوالد إلى شـركة مساهمة مقفلة، وأنا أنصح كل الشركات العائلية أن تدرس هذه الفكرة لتتحول إلى شـركات مساهمة مقفلة لتعطي مجالًا للشركة أن تستمر وتتطور وتنمو.

****



هل من كلمة أخيرة؟

شوقي المطرود: يجب علينا العمل على إبراز محافظة القطيف على الصعيد الاقتصادي، فقبل خمسين سنة كانت محافظة القطيف تمثل رقمًا اقتصاديًّا على مستوى منطقة الخليج، أما الآن فلا شيء، وإنني أشعر ببالغ الأسف لما فعلناه في تضييع ثراوتنا كالثروة الزراعية، فقد قتلناها، كما أننا أصبحنا نذهب خارج محافظة القطيف للبحث عن فرص العمل والحصول على الخدمات، مثل المستشفيات والكليات والجامعات، وكذلك الكثير من السلع سواء كانت استهلاكية أو غير استهلاكية. ونحن بحاجة إلى تغيير فكرنا لنبدأ بثقافة جديدة نطور من خلالها من اقتصاد محافظة القطيف ونستفيد من الثروات الكثيرة الموجودة والفرص المتوفرة، بل نؤسس مشاريع إنتاجية وخدمية تساهم في تطوير ونمو اقتصاد وطننا ومجتمعنا، ولو فعلنا ذلك فخلال سنوات قليلة يمكن تحقيق الكثير، وبدلًا من البحث خارج المنطقة عن وظيفة وعمّا نحتاجه من خدمات وسلع تصبح متوفرة داخل محافظة القطيف بل ويمكن التصدير إلى الخارج.


١٤
رجل الأعمال
علي الجنوبي



رجل الأعمال علي الجنوبي[1]

«لأن أقضي لأخ من إخواني حاجة، أحبّ إليّ من أنْ أصلّي ألف ركعة».

الحسن بن علي عليه السلام

ما أجمل أن يقرأ الإنسان سيرة الناجحين ليتعلم من تجاربهم، كيف وصلوا إلى تلك المراكز؟ إننا عندما ندرس حياتهم سنعثر على جواب عن هذا السؤال.

هذا اللقاء يتعلم منه القارئ قصة إرادة وكفاح لرجل أعمال من الأحساء، وهو صاحب مصنع مياه الشفاء، الأستاذ علي الجنوبي.

(١) نشرت في مجلة الخط، العدد السادس - رمضان ١٤٣٢هـ.

- **ماضي الإنسان وتاريخه له أهمية كبيرة في بناء مستقبله، وماضي الإنسان كثيرًا ما يتمثل في بطاقته الشخصية وموجز سيرته الذاتية، فنتمنى أن تحدثنا عن ذلك، أين ولدت ونشأت؟ وفي أي تاريخ كان مولدك؟ وكذلك الجانب التعليمي في حياتك؟**

علي الجنوبي: ولدت بمحافظة الأحساء التي تقع شرقي المملكة العربية السعودية، عام ١٩٥٧ م، في مدينة المبرز التي تعتبر المدينة الثانية في الأحساء.

وكانت دراستي الأكاديمية وغيرها بمحافظة الأحساء وبمدينة المبرز، فدخلت المدرسة الابتدائية الثالثة بالمبرز، وبعد أن أنهيتها دخلت المدرسة المتوسطة، وهي مدرسة متوسطة العلا بالمبرز، وبعد ذلك مدرسة الخليج الثانوية.

ثم التحقت بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، تخصص إدارة اقتصاد، فحصلت على البكالوريوس عن طريق الانتساب.

وشخصيًّا قد أفادتني ثقافتي كثيرًا في مجال التجارة، وبحمد الله أنا أحفظ أجزاء عديدة من القرآن الكريم بل آيات كثيرة، كما أنني أحفظ أربعة كتب فقهية علمية؛ لأن الفقه هو عبارة النظام الإسلامي الذي يعيش عليه المسلم، لتحديد الصواب من الخطأ.

كذا كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كان رفيقًا لي منذ صغري، و أحفظ جله تقريبًا.

وهـذا الكتاب عظيم لدرجة كبيـرة بإعطائه الحكم والأفكار الراقية من أمثال (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا).

وأمـا كتابـا (فلسـفتنا) و (اقتصادنـا) للسـيد الشـهيد محمد باقـر الصدر رحمه الله درسـتهما في أثناء دراسـتي المتوسـطة، وقمت بتدريسهما وأنا في الثانوية، ولديَّ بعض الأصدقاء هم الآن أساتذة في الجامعة، قد درَّستهم هذين الكتابين.

وكنـت لا أكتفـي بمـا ذكر فقط، بـل كنت عندما أسـافر إلى الخارج أصحب معي أحد العلماء لأستفيد منه كمكتبة علمية ثرية.



- **متـى بـدأت العمـل فـي إنشـاء مصنـع الماء (مصنع الشفاء)، وكيف كان ذلك؟**

علي الجنوبي: في عام ١٩٧٩م، قبل ما يقرب من ٣٢ سـنة، وعمـري فـي ذلـك الوقـت حوالـي ٢٢ سـنة تقريبًـا، وكان الوالد موجودًا في فترة إنشاء المصنع، حيث إنه انتقل إلى رحمة الله قبل ست سنوات تقريبًا.

وكان الوالـد يـزاول مهنـة التجـارة، حيـث بدأ عمـل الوالد

التجاري في إنشـاء مصنع للطابوق، إذ لم تكن هناك آلات لصنعه، ثـم أضـاف لذلـك اسـتيراد الأسـمنت، والمقـاولات، وكان مـن المتعاقدين الكبار مع شركة أرامكو في ذلك.

وحينمـا اختـار الوالد لنفسـه التقاعـد الذاتي، نشـأت فكرة مصنـع المـاء منـي، وكان تنفيذها على عاتقـي، لكن لا أنكـر أبدًا فضل والدي، حيث كان معي بتوجيهاته السـديدة من خلال خبرته الطويلة في مجال التجـارة، فكان التاريخ الفكري التجاري للوالد نعم المغذي لي في مسيرتي العملية.

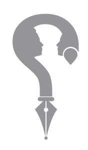
وفـي الحقيقـة فـي بداية العمل لـم تكن الفكرة فكرة إنشـاء مصنـع للمـاء، بـل كانت فكـرة إنشـاء مصنـع ألبان ضخـم، على مسـتوى مصنع ألبان الخرج مثلًا في ذلك الوقت، ثم بعد الدراسة عدلت عن هذه الفكرة.

وأجريـت بعض الاتصالات مع أحد المعارف، وكان لبناني الجنسية والمسكن، يملك مصنع زجاج في السنغال، وأشار بإنشاء مصنع للزجاج العازل؛ لأنه لا يوجد مثل هذا المصنع في المملكة العربية السعودية.

وكان مـن ضمـن الأفـكار المطروحة إنشـاء مصنـع للماء، وكنـت أدرس أفضل المشـاريع المناسـبة لوضع المملكـة العربية السعودية، فوجدت أن أفضلها إنشاء مصنع الماء.

فبدأت أعمل على الترخيص وحصلت عليه، فكانت هذه خطوة الانطلاق لي، فقمت باتصالات عديدة مع مجموعة من الخبراء في لندن وفرنسا، ثم استقدمت الآلات من شركة (سيدا) الفرنسية.

وأنشأت المصنع كرابع مصنع للماء في المملكة العربية السعودية، وأول مصنع للماء في المنطقة.



- **من أين حصلت على التمويل في إنشاء المصنع؟**

علي الجنوبي: إن التمويل يجب أن يكون مسألة ثانوية في مشاريع النجاح بصفة عامة، وإنني أعتبر أن أي إنسان ناجح في هذه الحياة يجب أن تتوفر فيه مجموعة من الصفات، وهي:

العزم، فعلى قدر العزم تأتي العزائم، والقدرة الإرادية مهمة جدًّا، والفكر كذلك، واختيار الفكرة أمر مهم جدًّا، ثم بعد ذلك التخطيط، ووضع الأنظمة الإدارية والأنظمة المالية.

وهناك عوامل مساعدة ومساهمة، فإذا كانت البلاد مهيأة، كالقوانين الحامية في الصناعة، فإن هذا العامل مشجع كثيرًا، ووجود أنظمة قروض مالية جيدة، والبيئة المحيطة، وحاجة البلد للمشروع.

وكل مشـروع تجـاري جيّـد فيـه أربـاح، لكن هـذه الأرباح تختلـف، فمشـاريع أرباحهـا ٥ ٪، ومشـاريع أرباحهـا ٢٠ ٪، ومشاريع أرباحها ٢٠٠ ٪، ويوجد مشاريع أرباحها أكثر من ذلك، ففكرة المشروع أهم من التمويل المالي.

ويجب ألَّا يبدأ الإنسان بمشروع متشبع الوجود، سواء على صعيـد الدولـة أو المنطقـة، وهذه الفكـرة هي التي دعتني لإنشـاء المصنع.

وعودة إلى السؤال الأساس التمويل كان من ثلاث جهات، هي:

كان التمويل من الوالد في البداية، وكانت مسألة إقناع الوالد مسألة مهمة؛ لأنه تاجر فيقوم بدراسة الفكرة من وجهة نظر تجارية؛ ولأن تكلفة المشروع عالية في ذلك الوقت، وإضافة إلى ذلك أني كنت شـابًا، فكيف أتسلّم مشـروعًا بهذا الحجم، والوالد كانت له مكانته الكبيرة، فخسارته -لا سمح الله- تعدّ كارثة!

كانـت لدى الوالد مجموعة عقـارات (أراضي) قمت ببيعها مـن أجـل رأس مال المشـروع، وقسـم مـن الصنـدوق الصناعي، وأخـذت قروضًـا أخـرى مـن البنـوك، لـذا كان رأس المـال ليس بالكامل من الوالد، وكانت كلفة المشروع في بدء الأمر ١٥ مليون ريال تقريبًا.

* * * *



كيف كانت البدايات الأولية في عملك في المصنع؟!

علي الجنوبي: كما تعلمون رواتب الإداريين في الشركات تمثل كلفة مادية من ميزانية الشركة، فقررت الاستغناء عنها! وفي ذلك الوقت اعتمدت على نفسي في كل شيء، فكنت المدير والمحاسب وغير ذلك.

وكانت هناك شركات كبيرة يجب أن أنافسها، فكنت خلال سنة كاملة أبيع فقط بالتكلفة بدون ربحية تقريبًا، مما جعل السلعة رخيصة ومنتشرة.

حتى بلغني أن مـلّاك الشركات انفعلوا على موظفيهم وإدارييهم، بسبب أن المصنع حقق أضرارًا لهم في السوق، خصوصًا أنه كان لتلك المصانع طاقم إداري متكامل متخصص.

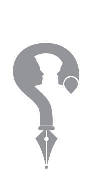
وفي المقابل، لم يكن الأمر بالنسبة لي كذلك، وكنت اقتصاديًّا حريصًا بكلّ ما تعني الكلمة، حتى وصل بي الاقتصاد إلى البنزين المستعمل، فكانت سيارات النقل التي لدي تعتمد على البنزين في نقلها، فأبدلتها إلى الديزل، كي أوفّر خمسة ريالات في تعبئة خزان الوقود.

وكان المستشار الأساس لي والدي بسبب خبرته الكبيرة، والاعتماد على الأجهزة الحديثة نفعني كثيرًا، فكنت أستخدم الهواتف التي تعتبر متقدمة كثيرًا في ذلك الوقت بدلًا عن السكرتير، وكنت أتابع سنترالها حتى في سفراتي إلى أمريكا وأوربا، فأنا من

المشـجعين كثيرًا للتقنيـة الحديثة، والإعلام مهـم جدًا وضروري ونفعني كثيرًا في بداياتي.

ولا شـك أن الوالد كانت له مسـاهمة كبيرة، بل هو الأساس بتشجيعه، وبوضعه الخطوط العريضة الأساس لي في هذه الحياة.

- **قد قمـت بمجازفـة وتضحية كبيـرة في ذلك الوقـت! لـو فرضنـا أن المشـروع فشـل -لا سـمح الله- ماذا كنت سـتفعل؟ وما سيكون موقفك؟ هل كنت ستلوم نفسك؟**



علـي الجنوبي: التوفيق من الله سـبحانه وتعالـى عزّ وجلّ، وقيل: «أنا أريد وأنت تريد، والله يفعل ما يريد».

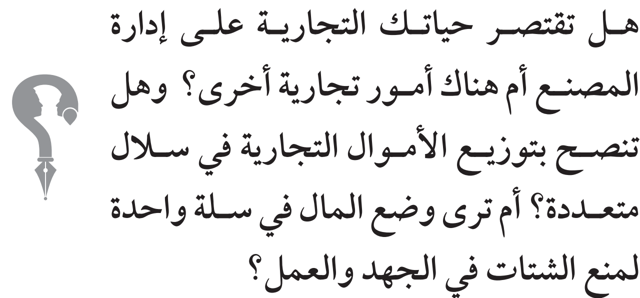
ولكـن يوجـد عوامل متعـددة تحقق النجاح، متـى ما حافظ عليها الإنسان وصل للهدف المنشود، وهذه العوامل، منها:

النظـام والحرص على العمل، فكنت أحضر إلى مقرّ العمل قبل ساعة كاملة.

كمـا أنـه يوجـد لـديّ عامل مهـم جـدًّا للنجاح وهـو عامل مـوروث من جدّي مرورًا بأبي وصولاً لـي، هو أننا نعمل من أجل العطـاء الاجتماعي، فبحمـد الله هناك مخصصـات كبيرة تصرف على هذه الأعمال الاجتماعية بشكلها العام، بدون أيّ تحديد، فأنا

ليس لديَّ تمييز طائفي أو عرقي أو قبلي أو قومي أو غيره من أنواع التمييـز، فأنا أحاول تطبيـق كلام الإمام علي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الناس اثنان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق».

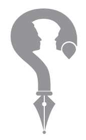
وربما يفشـل البعض في المشـاريع بسبب عدم وجود نظام، وكذلك الإهمال، وعدم المتابعة، وعدم التطوير، وغيرها...



- **هـل تقتصـر حياتـك التجاريـة علـى إدارة المصنـع أم هناك أمـور تجارية أخرى؟ وهل تنصـح بتوزيـع الأمـوال التجارية في سـلال متعـددة؟ أم ترى وضع المال في سـلة واحدة لمنع الشتات في الجهد والعمل؟**

علي الجنوبي: بالنسـبة لي أنـا أعمل في عدة مجالات، فأي مشروع قانوني، متطور مدني، لا يتعارض مع قانون السماء ولا مع قانون الأرض أعمل فيه.

وأنا أنصح بتوزيع المال في مشاريع متعددة متنوعة ومختلفة.



- **لا نرى اسمك بين تجار العقار أو الأسهم، ما سرّ ذلك؟! وهل تحبّذ هذا النوع من التجارة؟**

علـي الجنوبـي: أعمـل بشـكل قليـل؛ لأننـي لا أعتبـر هذه

المسألة إيجابية للمواطن بل هي سلبية، ويجب أن نركز استثماراتنا في الاستثمار في العقل البشري.

كان فيما سبق يستطيع حتى الفقير أن يمتلك أرضًا بكل بساطة، أما الآن بسبب عمليات المضاربة والسمسرة أصبح هذا حلمًا صعب المنال للكثيرين، لذا أحجمت عن العمل في العقار لكي لا أكون عاملًا مساعدًا في ضرر المواطن.

فأنا أرى أن العمل العقاري بهذه الطريقة أضرّ بالمجتمع والمواطن، ثم إن التجارة العقارية تليق بالإنسان الكبير في السن، أما من يملك روح الشباب فالأفق أمامه أوسع وأكبر.

وأتذكر أنني أيام شبابي اقتنيت أرضًا وخاتمًا، كان كلاهما بسعر ٥٠٠٠ ريال، الخاتم الألماس هذا سعره يقارب الآن ٢٠,٠٠٠، يزيد أو ينقص قليلاً، وأما الأرض فقيمتها ٥,٠٠٠,٠٠٠ ريال تقريبًا!

ودعني أخبركما بهذه الحادثة، كنت شريكًا لأحدهم في أحد المشاريع فأشار بنقل الأموال للأسهم، فكنت غير محبّذ لذلك، لكني لم أصرّح له، وكنت متوقعًا الخسارة فخسرت مبلغًا زهيدًا بالنسبة لي، ولم أتضايق كثيرًا؛ لأنني اعتبرتها خبرة، التي هي عبارة عن مجموعة تجارب فاشلة، ولا يوجد تجربة فاشلة بكل معنى هذه الكلمة، ولقد استفدت من هذه التجربة معرفتي

ببعض الأمور وحصول الانطباع العام.

الأسهم والعقار يستفيد منها أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة في الغالب! وأنا أحبّ أن أغلب شرائح المجتمع تستفيد، فالتجارة الحقيقية ليست الربح الذاتي فقط بل هي نفع الآخرين أيضًا.

وأنا أحبّذ الدخول في مشاريع مع الآخرين من أجل دعمهم، ولقد جربت عمليًّا هذا الأمر، ولقد خسرت من جراء ذلك، ولكن هذا من باب العطاء الاجتماعي.

لأنه يجب أن يكون عطاء الإنسان متنوعًا، فأنا شخصيًّا أساهم في التعليم وفي الصحة وفي الجمعيات الخيرية، أي الأمور التي تتسم بالنظام بل في أمر يفيد البلد والوطن.

ورجوعًا للسؤال، نعم أنصح بتوزيع الأموال في سلال متفرقة، فالفن الإداري يكمن في التنظيم، وأنا معجب بشخصية رجل الأعمال (عمر العقاد)، -الذي هو من أصل فلسطيني- حيث يدير ٢٤٠ شركة في دوام لا يتجاوز ٤ ساعات يوميًا فقط، ولقد عملت معه كشريك في إحدى الشركات، فكان يعمل من الساعة ١٠ صباحًا حتى ٢ ظهرًا، وكان يجتمع بإدارييه الكبار كل ثلاثة أشهر لتقييم العمل.

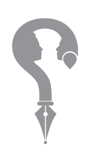
فالمدير الناجح إذا توسع عمله لا يعتمد فقط على نفسه، بل يعتمد على إداريين أكفاء، وبالنسبة لي بعد أن قام المشروع أنا الآن

اعتمد على كادر إداري متكامل منظّم.

ويجب أن تكون المحاسبة للأعمال التجارية في فترات متباعدة نسبيًّا، كي يمكن قراءة العمل من جهة استراتيجية اقتصادية، يجب إعطاء الموظفين صلاحية كي تتيح لهم مجالًا للإبداع والتطوير، فأنا أحاسب الموظفين على النتائج لا على الكيفية والطريقة، فمجال حرية العمل يجب أن يكون مفتوحًا دائمًا.

وقد عملت بتلك الطريقة في بداية المصنع للإضرار من الناحية الاقتصادية، وإلا أنا مؤمن بالتخصصية، بل والحرية في العمل التي تعني عدم التدخل في شؤون الموظفين في عملهم.

فانتقلت في عملي في المصنع لأني كنت كلّ الموظفين، حتى الوضع الحالي الذي أدير فيه بالرموت كنترول، فالإدارة هي فنّ الممكن.



- **هل ترى أن إمكانية تكوين ثروة في الوقت الحالي أمر متاح؟ خصوصًا حين تضع في البال المتغيرات الكثيرة في هذا الوقت؟!**

علي الجنوبي: بالطبع أمر ممكن وليس صعبًا، فالرجل الناجح يجب أن يكيّف وضعه مع الظروف والمتغيرات ويحقق أرباحًا أيضًا.

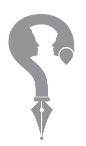
ويكون ذلك بالانطلاق نحو التجارة خصوصًا للشباب،

فالرسول ﷺ حثّ عليها؛ لأنها هي ذات المدخول العالي.

فرسالتي موجهة للشباب كلكم، تستطيعون تكوين ثروة، لكن يجب عليكم مراعاة النظام، والتطوير، والتعب، والإرادة، فالسماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، ولا بد من المحاكاة لما هو جيد مع تطويره، وقراءة قصص عظماء التجارة كيف وصلوا.

الحاج عبد الله المطرود بدأ بسيطًا، لكنه، أي والله، وصل ببطولة فذّة وإرادة قوية إلى مكانة سامية وراقية، كل هذا بسبب الإرادة والعزم الكبير الذي كان يمتلكه، فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، ﴿**وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[(١)].

وأعرف أن الجريسي نشأ يتيمًا في بدايته كيف جاهد ببطولة حتى وصل إلى ما هو معروف به، كان في بدايته بسيطًا وفي مكتب بسيط ولكنه وصل.



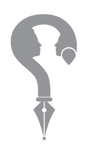
- **ما أفضل المشاريع التي تنصح الشباب بها للدخول في التجارة؟**

علي الجنوبي: هذا الأمر يتوقف على مجموعة أمور، من أهمها: القدرة التجارية، فالبعض لديه قدرة عامة، لكن ليست قدرة تجارية بالوجه الخاص، وسأضرب لك مثالًا على ذلك،

(١) البقرة:٢٦٩.

يوجد لي موظف إداري من الأكفاء جدًا، يمتلك من الذكاء والعبقرية الإدارية الكثير، لكنه لا يستطيع أن يعمل في مشروع تجاري بالاستقلال، وحاول ذلك وفشل للأسف الشديد.

فالقدرة التجارية تحتم على الإنسان اتخاذ قرارات جريئة ومهمة، ولا يملك البعض هذا الأمر، فيوجد مدير ناجح لكن ليس لديه صلابة رجل الأعمال!



- **يوجد برامج قروض بنكية استثمارية، ما رأيك في الاستفادة منها للشباب الطامح للتجارة؟**

علي الجنوبي: في تصوري الشاب يجب أن يتعاون مع غيره من الشباب لكي يجمعوا رأس مال جيّد، يستطيعون استثماره ولو في مشروع صغير، وإذا وصل رأس المال إلى مقدار ٥٠ ٪ من رأس مال مشروع كبير، يأخذ لو أحب قرضًا بنكيًا، ولكن البداية من الصفر مع القروض البنكية أمر فيه مجازفة وصعوبة.



- **(المال والدين) أحجية قديمة عند الكثير من الناس، فقد اختلفت آراؤهم حول ذلك، فكانت كالتالي:**

  قسم قال: إن الدين ينمّي المال حين دفع الحقوق الشرعية بجميع أنواعها، وهذا

ما يسمى بـ(الاستثمار في المجتمع) أو (الاستثمار الاجتماعي).

وقسم آخر: إن مفهوم التبرعات والمساهمات الخيرية بشكل كبير يؤدي إلى نفاذ الثروة والمال.

والقسم الأخير: يوضح أن الدين له واجبات يجب الالتزام بها، والثروة التجارية لها معاملات يجب إنجازها لا علاقة لهم بالآخر.

فإلى أي نظرة من النظرات تميل، ولماذا؟!

علي الجنوبي: أقول إنني لم أنجح إلا بعد دفع حق الله والتبرعات والمساهمات بكل الأنواع، ولكني أشترط دائمًا في الدعم أن يكون في مشروع منظم غير عبثي!

فالكرم لا يؤدي إلى الإفلاس، لكن هناك فرق بين الكرم والتبذير، فالتبذير وضع الأموال في غير موضعها السليم، فأنا مع رأي القسم الأول، كما هو واضح.

ومن ذاكرتي وذاكرة الكثيرين كيف كان رجل الأعمال الكبير والوجيه المرموق عبد الله الخضري كريمًا معطاءً لدرجة كبيرة، ولم يصب بالإفلاس أو ما شابه.



- **أنت صاحب منتدى أدبي وفكري حدثنا عنه؟**

علي الجنوبي: نشأ المنتدى قبل ما يقرب من ثماني سنوات، وهو يعقد كل ليلة سبت، ويتوقف الموسم الثقافي مع إجازة الصيف، وفي شهر رمضان المبارك، أما ضيوف المنتدى من جميع الشرائح الأدبية والفكرية والدينية، وليست هناك أي حساسية في استقبال واستضافة أي مذهب أو دين، فلدي مبدأ أسير عليه في المنتدى، وهو تقبل الآخر. وأنا أعتبر نفسي ربيب بيئتين تجارية وثقافية، وكان والدي محبًّا للثقافة والأدب.

- **يوجد كتاب عنوانه (قواعد الثراء) للكاتب والمؤلف (ريتشارد تمبلر) ذكر فيه مئة قاعدة لذلك. و الكتاب يقع في ٣١٣ صفحة في طبعته العربية. نود سماع تعليقك الشخصي على بعض تلك القواعد المنظَّر لها في الكتاب، وهي كالتالي:**

- **(إن معظم الناس يتكاسلون عن كسب المال)**

علي الجنوبي: طبيعة البشر يحبون الراحة، ونحن نرى أن أغلب الناس يريد المال بكل بساطة، من الأسهم ومن العقار، وغير ذلك، فأنا اتفق مع هذه العبارة.

- **(انظر للمال على أنه صديق لك وليس عدوًّا)**

علـي الجنوبـي: إذا وضـع المـال في محـل أمر اللـه به فهو صديـق دونما شـك، وغير ذلـك فهو عـدو، هذه العبـارة للكاتب تتوقف على هذا الشرط.

- **(اعلم أن المال يلد المال)**

علي الجنوبي: في الأغلب الأعمّ، ولكن هذه ليسـت قاعدة كلية، فنحن شاهدنا من يرث ثروة ثم يقوم بتضييعها.

- **(بإمكانـك البدء في تكوين الثـروة مهما كان عمرك)**

علـي الجنوبـي: هـذا صحيح، ولكـن هناك أصـح من ذلك عندي وهو يقينًا تستطيع تكوين ثروة ما دمت شابًا.

- **(لا تقـرض المال مطلقًا أحـدًا من أصدقائك أو أفراد عائلتك، لكن اسـمح لهم بالاستثمار معك)**

علي الجنوبي: المزاوجة بين الأمرين هو الأفضل، وإن كان التخوف من عدم رجوع القرض، فهذه يجب أن تكون فكرة مسبقة لـدى المقرض، ولكن يجب أن يكون الإقراض بشـكل لا يسـبب الضـرر للمقرض، وعلى العموم قليلٌ هم الذين يوفون بالقروض الشخصية.

ختامًا أقول: يوجد لدينا سلوك إنساني إسلامي ينبغي أن يكون هو الأساس في التعامل مع الآخرين.

- **(لا تبالغ في حماية أبنائك من تجربة الفقر)**

علي الجنوبي: أنا شخصيًّا أختلف مع هذه النظرة، يجب أن يكون الأب معلمًا لابنه في التدريب والعمل من أجل كسب المال، وإيضاح قيمته بالنسبة إليه.

- **لو لم تكن تاجرًا، هل تحب أن تكون أمرًا آخر؟؟**

علي الجنوبي: كانت أمنيتي الأولى أن أكون رجل دين، ولكن للأسف يوجد رجال دين اتكاليين، وأنا لا أحبّ هذا النمط، فنأيت بنفسي ألا أكون من أحدهم.

ولقد عدلت عن هذه الفكرة بسبب الأمر المذكور، ثم إني قيّمت نفسي أن ذاكرتي ليست حديدية، وأني لن أستطيع أن أفيد المجتمع وأقفز به قفزة كبيرة دينية وفكرية، فاخترت العمل في التجارة وأخذت العهد على نفسي أني لو وجدت شابًّا ذكيًّا يملك الاستعدادات الكبيرة أن أدعمه في مسيرته كاملة لكي يبذل ويعطي المجتمع، فـ (خيركم أنفعكم للناس)، هذه قاعدة الأنبياء والرسل والأئمة والصالحين.


١٥
رجل الأعمال
محمد المحسن



رجل الأعمال محمد المحسن(١)

«إن اللـه تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق».

جعفر الصادق عليه السلام

إن توصيـف رجال الأعمال بالكلمات فقط لا يكفي لمعرفة ذلك العالم الذي يعيشـون فيه، فمعظم رجال الأعمال لا تجمعهم عوالـم مشـتركة، لكن الـذي يجمعهم هـو الحصول علـى المال، فتجار العقار يضاربون في العقار وهدفهم ارتفاع أسـعار الأراضي التي فـي حوزتهم، كذلك يفعل مثلهم أولئـك الذين يضاربون في سـوق الأسـهم، ولا أظـن أن تجار الذهـب يرغبون بنزول أسـعار الذهب كي لا تنقص ثرواتهم.

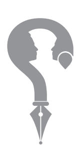
الكثيـر يجهلـون كيـف يصـارع رجـال الأعمـال مـن أجل

---

(١) نشرت في مجلة الخط، العدد الثامن-ذو القعدة ١٤٣٢هـ.

الحصـول علـى المال، إنهم يضحـون بوقتهم ويجهدون أنفسـهم بشـكل من الصعب توصيفه وخاصة في بداية مشوارهم التجاري، فالفـرص ليسـت على طبق مـن ذهب كما يظن الكثيـر، ولو كانت كذلك لأصبح كل الناس أثرياء ولم يعرفوا معنى الفقر، فالواقع هو أن رجـال الأعمـال مروا -على الأقل فئة كثيـرة منهم- بصعوبات ليست ببسيطة في تاريخ سجلهم التجاري.

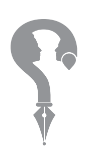
سـأرحل معكم في هـذه الحلقة إلـى الصيـن، وبالتحديد فـي مدينـة (جوا نـزو) وبالقرب من شـارع بكين، حيـث التقيت هنـاك رجل الأعمال الأخ محمد المحسـن، حيـث أجريت معه هـذا اللقـاء في مكتبه لنقـل تجربته للقارئ ومعرفـة كيف يكافح الإنسـان للوصـول إلـى هدفـه ويذلّـل جميـع الصعوبـات التي تعترض طريقه.



- **بإيجاز حدثنا عن تجربتك الشخصية؟**

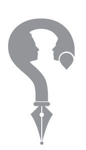
محمد المحسـن: أتذكـر أنني من الصغر حيـث كان عمري تسـع سـنين، كنت أعمل مع الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين محل في سوق مياس وبسـطه فـي سـوق الخميـس، حتى توفـي الوالـد فـي ١٤٠٥هـ، فحملـت علـى عاتقـي إكمـال مـا بدأ بـه، فتسـلمت عمـل الوالد التجـاري، وكان يوجد عنده آنذاك في سـوق مياس محل (عبايات المحسـن)، والبضائـع كانـت تجلب مـن مناطـق ودول مختلفة،

كالدمام، الرياض، جدة، البحرين، ثم توسعت بعد ذلك وفتحت محلًا بسوق مياس للملابس النسائية في عام ١٤١٨هـ، وكانت البضائع من جدة ، وكانت بداية الاستيراد في عام ١٤٢٣هـ، فقد ذهبت إلى تايلاند لاستيراد الملابس وبعد ذلك اتجهت إلى بنجلادش والصين.



- **متى كانت أول زيارة لك للصين، ولماذا؟**

محمد المحسن: كانت أول زيارتي إلى الصين عام ١٤٢٦هـ، وكان الهدف الاطلاع على الفرص التجارية والتعرف على الحضارة الصينية، ثم عدت في نفس العام بزيارة تجارية، وما زلت حتى الآن.



- **لماذا ومتى افتتحت المكتب؟**

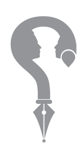
محمد المحسن: كما تعلم فإن الاستيراد من الصين يحتاج إلى مكتب وسيط يقوم بأعمال الترجمة والتنسيق مع المصانع واستلام البضائع وشحنها، فكنت أعتمد في استيراد البضائع على مكاتب أخرى، ولوجود الكثير من المشاكل قررت أن أفتتح مكتبًا خاصًا بي، وذلك في بداية عام ١٤٣٢هـ.

* * * *



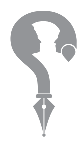
- **ما هي طبيعة عمل المكتب؟**

محمد المحسن: خدمة التاجر والسائح الذي يأتي للصين من أي دولة من دول العالم، الاستقبال في المطار، حجز الفندق، عمل برنامج تجاري أو سياحي حسب رغبة الزبون، توفير الترجمة طوال فترة الإقامة في الصين، الاستشارات التجارية بالنسبة إلى اختيار السلع والسعر وتنسيق المقابلة مع المصانع والمصدرين، توفير جميع المستندات اللازمة بالنسبة للشخص القادم للتجارة وشحن بضاعته إلى دولته.



- **مقدار العمولة التي يتقاضاها المكتب تجاه هذه الخدمات؟**

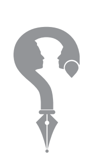
محمد المحسن: لا يوجد عمولة معينة، فقد يأخذ المكتب عمولة من قيمة البضاعة، أو قيمة الترجمة، فهذا يتفق عليه الطرفان قبل البدء .



- **هل أنت مستقر بالصين ومتفرغ لعملك طوال العام هناك؟**

محمد المحسن: نظرًا للكثير من المهام في البلد فإني اضطر

لتقسيم الوقت بين البلد والصين، فأقضي من أسبوع إلى أسبوعين شهريًا في المكتب ثم أعود للبلد لمزاولة أعمالي التجارية، وفي أثناء غيابي فإن الموظفين الذين هم على قدر كبير من تحمل المسؤولية يقومون بإتمام العمل على أكمل وجه، كما إني أتابع أعمالهم يوميًّا بوسائل الاتصال.



- **الفرص ليست على طبق من ذهب كما أظنّ، فالكثير يفكر أنه بذهابه للصين سيصبح من الأثرياء، فما تعليقك على هذا؟**

محمد المحسن: نعم، الفرص ليست على طبق من ذهب، لذلك على من يرغب بالتجارة خصوصًا في الوقت الحالي يجب علية أن يخطط ويضع أمامه النجاح هدفًا ولا يعمل على حسب هواه، بل يدرس السوق الذي سوف يعمل فيه والسلعة المناسبة لهذا السوق، ويجب علية أن يوفر السلعة المناسبة بالسعر المناسب في الوقت المناسب حينها سوف يحصل على طبق الذهب.



- **ما مقدار رأس المال الذي يحتاجه الفرد ليبدأ التجارة في الصين، وبماذا تنصح التاجر الناشئ؟**

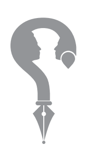
محمد المحسن: هناك أشياء أساسية ومصاريف ثابتة لا

يمكن تجاوزها: تذكرة طيران، السكن، عمولة المكتب، البضاعة، الشحن، التخليص الجمركي، وعلى هذا الأساس فكلما كان رأس المال أكبر توزع على المصاريف الأساسية فتقل قيمة السلعة، وأنا أنصح التاجر الناشئ ألا يبالغ في الشراء من تجربته الأولى في الصين، لأن الرحلة الأولى من الأفضل أن تكون للاستكشاف وأخذ الخبرة، ثم العودة من جديد على وعي.

- **من المشاكل الكبرى التي تواجه التاجر، وقد واجهتني شخصيًّا، هي تصريف البضاعة، فمن السهل الشراء، لكن الأصعب كيف تبيع هذه الكمية التي أتيت بها، ماذا تقول؟**



محمد المحسن: إذا كان التاجر لديه منفذ تسويق فإن هذا المنفذ هو الطريق لتسويق البضاعة، وعليه أن يستمر بتطويره، أما إذا لم يكن له منفذ أو وسيلة من قبل فإنه سوف تواجهه مشكلة دخول السوق، لذا عليه أن يبدأ تدريجيًا بالتسويق الشخصي بالتوجه للسوق والمستهلك بنفسه حتى يكسب الخبرة، فهناك التسويق عبر الانترنت، وأنا أعتقد أنه من الأفضل لمن كان رأس ماله بسيط، فيوجد في الانترنت مواقع كثيرة متخصصة في عرض البضائع ويزورها مئات الآلاف يوميًا، وبالإضافة لذلك هناك المحل والأسواق المتنقلة والمعارض ومندوبي المبيعات وصالات العرض.



- **وماذا عن طموح المكتب للمستقبل؟**

محمد المحسن: خدمة أبناء الوطن لأقصى الحدود وتشجيع التجار وخاصة الشباب الناشئين في تكوين تجارة ليحصلوا على حياة أفضل.



- **حدثنا عن السياحة في الصين؟**

محمد المحسن: لا غرابة إذا قلت لك إن السياحة في الصين ذات تميز خلّاب وعجيب، ففي (جوا نزو) مثلًا حديقة سفاري، وهي تعتبر أكبر حديقة في العالم بعد حديقة سنغورة، ويوجد بها تنوع عجيب في الحيوانات، كما يوجد أعلى برج تلفزيون في العالم وهو برج كانتون، وهنالك الكثير كمدينة الألعاب المائية وحديقة الزهور والجبال والمتاحف، وسوق بكين وسوق سوشاجيو، ومجمع شيان بلازا، ويوجد الكثير الكثير.



كلمة أخيرة

«مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ».

الرسول محمد ﷺ

إن قـرّاء هذا الكتاب سـوف يجـدون اللغة البسـيطة، إضافة إلى أنهم سيشـاهدون مسلسـلًا من حلقات اخترتها بدقة لتجارب ناجحة من مشارب مختلفة.

إن مـن يقرأ حلقـات هذا الكتـاب كاملة سـيقدر الجهد الذي بذلته فيه، والذي أخذ من وقتي ما يقرب من سنة كاملة، وقد اجتهدت بكل طاقتي أن أخرجه بأفضل صورة، وكنت أعاني كثيرًا في التنسيق لبعض اللقاءات التي أجريتها، ولست مبالغًا إذا قلت لكم: إن بعض هذه اللقاءات أخذ من وقتي عدة أشـهر، ورغم ذلك فإن خير ما آمُله أن يكون القارئ قد أفاد بالفعل من قراءته لهذا الكتاب، فأكون بذلك قد حققت الهدف الأساس الذي كُتِبَ من أجله.

إن من واجبي في هذا الوقت أن أشكر جميع من ساعدني وساهم معي في إخراج هذا الكتاب للوجود، وأعبر عن شكري الجزيل لهم، على تفرغهم لقراءة الكتاب، وتصويب الكثير من الأخطاء، وعلى النصح والتعليقات والإخراج والمساهمات المادية وجميع ما يتعلق به.

١-الأستاذ السيد هاشم الهاشم.

٢-الصيدلي موسى الخويلدي.

٣-الأستاذ مظاهر الخميس.

٤-الأستاذ علي الأصيل.

٥-المهندس حسن الجشي.

هذا وأسأل الله تقدس اسمه أن يثيبهم على ذلك، إنه سميع مجيب.

ملحق الصور



المؤلف مع الفيزيائي الفلكي أنور آل محمد



المؤلف مع المكتشف الدكتور محمد المحروس



المؤلف مع الباحث الدكتور جعفر آل توفيق



المؤلف مع المفكر الشيخ علي آل موسى



المؤلف مع الباحث التاريخي عبد الخالق الجنبي



المؤلف مع الشيخ الكاتب عبد الله اليوسف



المؤلف مع الأديب الشاعر سعود الفرج



المؤلف مع الأديب الخطيب محمد آل ناصر



المؤلف مع الروائي الصغير علي آل سليس



المؤلف مع الكاتب الإعلامي حسن آل حمادة



المؤلف مع الأستاذ السيد عباس الشبركة



المؤلف مع الداعية الشيخ حسن الصالح



المؤلف مع رجل الأعمال شوقي المطرود



المؤلف مع رجل الأعمال علي الجنوبي



المؤلف مع رجل الأعمال محمد المحسن